جـــذور الإســتبـــداد والــربيــع العــربـي





د. مصلـح خضـر الجبـوري



جذور الاستبداد والربيع العربي

الطبعـة الأولـى

1435هـ - 2014م



الأكاديميون للنشر والتوزيع

المملكة الأردنية الهاشمية

عمان – مقابل البوابة الرئيسية للجامعة الأردنية

تلفاكس : 0096265330508

جــوال : 00962795699711

E-mail: academpub@yahoo.com

رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية

2013/12 /4132

رقم التصنيف: **320.9**

المؤلف ومن في حكمه:

د. مصلح خضر الجبوري

الناشر

الأكاديميون للنشر والتوزيع

عمان – الأردن

عنوان الكتاب:

جذور الاستبداد والربيع العربي

الواصفات:

/الأحوال السياسية/

- **يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى .**

- **يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي شركة الأكاديميون للنشر والتوزيع .**

ISBN: 978-9957-449-68-1

جـذور الاسـتـبـداد

والـربيـع الـعـربـي

د. مصلح خضر شرقي الجبوري



الأكاديميون للنشر والتوزيع



المقدمة:

تشكل الدراسات السياسية أهمية كبرى في فهم التاريخ السياسي للمجتمعات البشرية، لأن تشكل القيم السياسية التي يزخر بها التراث الإنساني ويحفل بها حاضرنا هي من نتاج التطورات الاجتماعية والدينية التي تلعب دوراً فاعلاً في بلورة العلاقة بين الحاكم والشعوب من جهة وبين المجتمعات أو الدول فيما بينها من جهة أخرى.

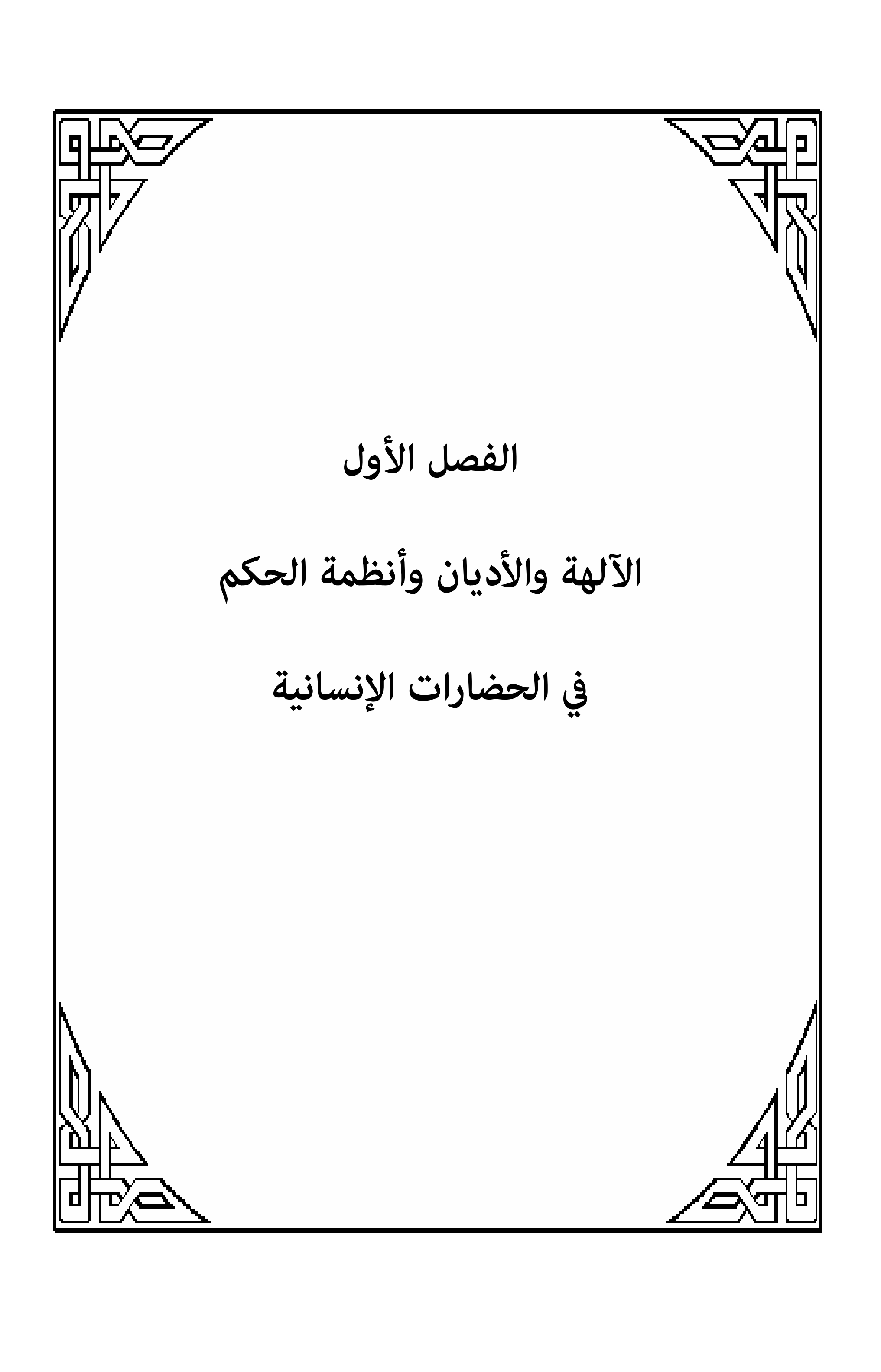
وهكذا فإن المجتمعات البشرية قطعت أشواطاً بعيدة في ميدان التطور والاستقرار السياسي والاجتماعي انعكست على التوسع في العمران وبناء المدن ونشوء قيم جديدة تحكم العلاقات بين الشعوب والحكومات.

لقد عانت البشرية طويلاً من الأنظمة الاستبدادية على مرّ العصور وعلى اختلاف الثقافات والبيئات الاجتماعية ودفعت الشعوب أثماناً باهظة بسبب الانصياع لهذه الأنظمة المستبدة التي دفعتها غرائزها السلطوية إلى المغامرة بأرواح شعوبها وخوض غمار الحروب من أجل التوسع والسيطرة والنفوذ وعلى مرّ التاريخ ظهرت حكومات مستبدة استغلت الدين وخاضت باسمه حروباً وأشعلت الصراعات تحت ذرائع دينية فكانت حروب اليهود والحروب الأوروبية ومن ثم الحروب الصليبية التي عصفت بالكثير من دول المنطقة وشعوبها لفترات طويلة، وما إن استقر النظام العالمي بعد الحرب العالمية الأولى ونشوء عصبة الأمم التي تنظم العلاقات بين الدول وتصور العالم أنه ارتاح من مخاطر الحروب حتى ظهرت حكومات استبدادية من نوع آخر ولكن الدافع بقي نفسه وهو الرغبة في التسلط وتوسيع النفوذ، إلا أن الحكام هذه المرة استخدموا

عربة التعصب القومي والعرقي لدفع الشعوب لتنفيذ مآربهم التوسعية، فظهرت الفاشية في إيطاليا التي احتلت أثيوبيا وعصفت بنظام عصبة الأمم الوليد، وأعقبها هتلر وحزبه النازي في رغبته الجامحة لاحتلال أوروبا وإنشاء إمبراطورية ألمانية على كامل مساحة أوروبا فخاض المغامرات والحروب من أجل ذلك، كما كان التعصب الأيديولوجي هو محرك الاستبداد في الاتحاد السوفييتي الذي تحالف مع بريطانيا العظمى وأمريكا لإجهاض الحلم الألماني وتقاسم النفوذ في دول أوروبا.

أما في آسيا، فقد عانت دول جنوب شرقها طويلاً من الاحتلال الأوروبي سواء كان الهولندي والبرتغالي أو البريطاني الذي جثم طويلاً على صدور أبناء هذه الدول، ثم أعقبه الاحتلال الياباني الذي سخرهم واستخدم خيرات هذه الدول وتحويلها لخدمة آلته الحربية في مواجهة دول المحور، وقد دفعت شعوب هذه المنطقة ثمناً باهظاً في مقارعة الاحتلال والنضال من أجل الحرية والاستقلال، فانطلقت حركات التحرر فيها، ومن أهم هذه الحركات نضال الشعب الإندونيسي من أجل التحرير الذي تحقق له ونال استقلاله في 17 آب 1945، واستمر نضاله بعد الاستقلال للتخلص من الأنظمة الاستبدادية التي حكمته بعد الاستقلال، حتى استطاع أن يتخلص من آخر هذه الأنظمة بإجباره الديكتاتور سوهارتو على الاستقالة في 21 أيار 1998.

وهكذا انطوت فترة الاستبداد وبدأ العهد الديمقراطي الجديد وتداول السلطة السلمي في إندونيسيا مع المحاولة الدائمة للتخلص من السلبيات والإبقاء على محاسن هذا النظام.



الفصل الأول

الآلهة والأديان وأنظمة الحكم

في الحضارات الإنسانية

الفصل الأول

الآلهة والأديان

وأنظمة الحكم في الحضارات الإنسانية

مقدمة:

تشكل الدراسات السياسية أهمية في فهم تاريخنا السياسي وذلك أن الكثير من القيم السياسية التي زخر بها تراثنا ويحفل بها حاضرنا هي نتاج التطور الاجتماعي والديني وممارسة الطقوس الدينية التي كان لها الأثر الكبير في بلورة العلاقة بين الحاكم والمحكوم في دولة المدينة آنذاك أو حتى في المجتمعات البشرية الفرعية مثل القبائل والعشائر، ولذلك عني أعمدة القوم والحكام آنذاك بتشبيه المزارات والمعابد الأولى لآلهتهم لكي يقصده سكان المدن والقرى حاملين معهم النذور والهدايا واعتادوا على دفن موتاهم بالقرب من تلك المعابد ليكونوا في حمايتها أثناء رحلتهم إلى عالم ما بعد الموت الذي كانوا يؤمنون به.

وهكذا فإن المجتمع البشري حينها قطع أشواطاً بعيدة في ميدان التطور وتحقيق الاستقرار الزراعي الذي أدى ارتفاع عدد السكان وانعكاسه على توسع الحركة العمرانية بسبب حاجة الناس إلى المساكن الآمنة لذلك تمركز بناء المساكن حول مراكز العبادة وأصبح عملية مميزة للفترة الكتابية الأولى وتدوين المعتقدات وما يرمز لها على جدران المعابد وبعد ظهور الكتابة وتفرغ الكهنة للنشاط الديني ساهموا في تضليل صورة الآلهة خدمة لمراكزهم ومواقعهم الاجتماعية وأخذوا يطلقون أسماءً متعددة تشير كل منها إلى وظيفة من وظائفها وبدون شك فإن التنظيم الجديد للمجتمع الإنساني انعكس بدوره على وعي الإنسان

الديني في إطار مجتمع الآلهة حتى تطور الاعتقاد أن البلاد ملك للآلهة أو الإله الخاص بالمدينة وأن مصير البشر وحكمهم بيدها وأن الآلهة لا تحكم البشر مباشرة بل تفوض الحكام والملوك لينوبوا عنها في حكم البشر. إذن فالإله لم يكن يملك كل شيء فحسب وإنما كان يشرف على إدارة المجتمع وتنظيم أموره على أساس ثيوقراطي تشرف الدولة على كافة وسائل الإنتاج ليكون في خدمة الإله ويتم ذلك بواسطة نائبه المفوض منه في إدارة المجتمع والدولة لذلك نشأت نظرية التفويض الإلهي أو الحق الإلهي ولذلك ظهرت في كل العصور والأزمنة من يلجأ إلى تأويل بعض المعتقدات والنصوص الدينية وتقديم تفسيرات ذاتية تمكنها من الحفاظ على السلطة لتكون لها مقاليد الأمور وكما قال المفكر العربي الكبير عبد الرحمن الكواكبي في كتابه (طبائع الاستبداد):«ما من مستبد سياسي إلا ويتخذ له صفة قدسية يشارك بها الله أو تعطيه مقاماً ذا علاقة بالله»[1].

وقد شهد العالم نماذج من الأنظمة الاستبدادية طيلة العصور القديمة والوسيطة والمعاصرة تشابهت في أساليبها وطرق استعبادها للشعوب ووسائل التحكم بالرقاب وتناول الباحث بعض هذه الأنظمة كنموذج لدراسة صفات وسلوك أولئك الحكام وعلاقتهم بشعوبهم أو علاقة شعوبهم بالتعامل مع أركان ومساعدي الحكام المستبدين وتناول الباحث دولة إندونيسيا نموذجاً لتطور النضال الشعبي للانتقال من الحكم الاستبدادي والتخلص من حكامها المستبدين من العسكر إلى نوع آخر من النظم الديمقراطية والحكم المدني.

1- عبد الرحمن الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، الطبعة الثالثة 2006، دار النفائس، ص38.

المبحث الأول

الآلهة والحكام في بابل ومصر في الزمن القديم

إن البحث تفصيلياً في أنظمة الحكم في المدن العراقية والدويلات في العصور القديمة، أمر فيه إشكالات كثيرة لأن الأنظمة السياسية وأنظمة الدويلات نشأت وتطورت مع نشأة وتطور المدن ذاتها حتى أصبحت فيما بعد دولة بمعناها الواسع الاجتماعي والديني والعسكري والسياسي ولأن المعطيات المتوفرة لدينا عن التنظيم السياسي في بلاد ما بين النهرين شحيحة لكنها مع ذلك تعطينا بعض الإشارات عن طبيعة تلك السلطة في مراحلها البدائية حيث كانت في الأصل جماعية وبأيدي الأحرار من أفراد المدن ثم تطورت حسب الضرورات الواقعية وحسب دوافع معينة عامة وخاصة أحيانا إلى حصر السيادة بأيدي مجلس يضم الذكور الأحرار من الشباب والرجال القادرين على حمل السلاح (المحاربون[1]، يرشدهم مجلس يضم الشيوخ من ذوي الحكمة والتجربة والخبرة و هذا الأمر تؤكده على سبيل المثال لا الحصر ألواح الفترة شبه الكتابية الأولى إضافة إلى ما يمكن أن تزودنا به الآثار من معلومات وتساعدنا كذلك النصوص التي تمثل الأناشيد والابتهالات التي تعود إلى ذلك الزمن في إلقاء الضوء على العلاقات الاجتماعية التي كانت سائدة آنذاك ونعني بذلك العصر الذي تكونت فيه الدولة ونشأت فيه رموز السلطة ممثلة في شخص الملك

1- د. بهنام أبو الصوف، التاريخ من باطن الأرض، مطابع شركة الاديب، عمان، 2009، ص73.

الكاهن الذي استطاع أن يجمع في يديه السلطتين الدينية والسياسية في آن واحد ويؤسس دولة منظمة تعتمد في اقتصادها على الزراعة ووسائل الري المختلفة متمكنا من استغلال الدين لمآربه السياسية وتوسيعها بحيث تشمل كل مجالات الحكم السلطوية حتى أصبح الراعي الذي اختارته الآلهة وسلطاته الملكية مهمات إلهية هبطت عليه من السماء وهو بموجب ذلك مفوض من قبلها يحكم لها وباسمها يقود الشعب على الأرض بحقٍ مكتسب يردده دائما على مسامع رعيته وحاشيته ويتلى عبر الأناشيد الدينية والصلوات الجماعية في أرجاء المعابد، فهو الراعي والحاكم الذي يحكم البلاد بشرعية الآلهة التي تمنحه بركاتها كما تمنحه شارات الملك لتمييزه عن الرعية وهي التاج والصولجان وعصا معكوفة وكانت الآلهة تمجد لأنها منحت الملك صولجان الحياة وأعطت الراعي عصا الرعاة ليهش بها على قطيعه بأناة ورفق ويقوم بها اعوجاج البشر ويهديهم سواء السبيل (بعصا العدالة التي أعطاك إياها الرب تسوس البشر وبالصولجان تقوم اعوجاجهم)[1].

بهذه المفاهيم الإلهية كان الملك يعطي لنفسه الحق كاملاً في استئثاره بالسلطة واستبداده بها وأي مقاومة مسلحة أو ثورة أو رفض أو احتجاج من قبل الشعب أو لأفراد لهذه السلطة وهذا الاستبداد محكوم عليه بالفشل لأنه اعتراض على إرادة الآلهة لأن أي قرار يتخذه الحاكم إنما هو في البداية والنهاية قرار إلهي لا راد له فالملك لم يعد يستمد سلطته أو شرعية حكمه من مجلس

1- د. تغريد جعفر الهاشمي وحسن حسين عكلا، الإنسان- تجليات الازمنة، تاريخ وحضارة بلاد الرافدين، دار الطليعة الجديدة، دمشق، 2001، ص168.

شيوخ أو اجتماع شعبي بل من الإله قضاءً وقدراً وهذا ما أكد الطابع المركزي لدولة بابل وجعلت الحاكم حاكماً مطلقاً على المناطق التي تحت سيطرته وبدا ذلك واضحاً في فترة حكم حمورابي فقد كان إدارياً مركزياً من الطراز الأول إذ استغل حالة الفوضى وعدم الاستقرار الكامل في الدويلات المجاورة من تركة الدولة السومرية وأخذ يحاول توحيد البلدان تدريجياً مستفيداً من أسلوب من سبقه وعاصره من الملوك ففي بادئ الأمر أراد أن يقضي على قوة ملك لارسا (ريم سين) بعد أن شعر بقوة تواجده العسكري في البلاد وهذا ما يتناقض مع طموحه بإقامة دولة مركزية قوية ولهذا تحالف مع ملك مدينة ماري مؤقتاً وما أن تمكن من القضاء على ملك لارسا حتى قام بعدها بالقضاء على جميع السلالات بما فيها مملكة ماري وآشور مؤسساً بذلك دولة مركزية قوية عاصمتها بابل[1]، إن الآلية المركزية التي اتبعها حمورابي تمثلت بربط جميع الحكام بالعاصمة بابل وتحديد صلاحياتهم بقضايا بسيطة[2]، ومن الأمور التي كان من شأنها تعزيز الطابع المركزي هو تعالي مركز الإله (مردوخ) إله مدينة بابل الذي صار إلهاً مركزياً لجميع الآلهة الفرعية في ذلك الوقت وقد ترتب على ذلك إعادة كتابة الأساطير بما يلائم الوضع السياسي الجديد في بلاد بابل فكان الإعلان عن

1- هنري فوستر، نشأة العراق الحديث، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الأولى، 1989م، ص25.

2- عبد الرضا الطعان، الفكر السياسي، دار الثقافة، بغداد، 2008، ص26-267.

سمو الإله مردوخ على باقي الآلهة بمثابة تعزيز النفوذ المركزي للحكومة السياسية في بابل[1].

أما في مصر الفرعونية فكان الفرعون يطرح نفسه على أنه إلهاً من سلالة الآلهة المقدسة ولم تكن هذه الإلوهية رمزية أو مجازية تشير فقط إلى سلطته المطلقة ومكانته السامية بل هي تعبر حرفياً عن عقيدة كانت إحدى السمات التي تميزت بها مصر الفرعونية وهي عقيدة تطورت على مر السنين بل هناك من النصوص ما يمجد الملك ويصفه بأنه في وقت واحد مجموعة من الآلهة وليس إلهاً بينها فهو إله الإدراك وإله الشمس وخالق البشر وحامي البشر...الخ[2]. ومعنى ذلك أن الفهم أو الإدراك والحكم الأعلى وإكثار السكان والحماية والعقاب هي كلها خواص إلهية متجسدة في شخص الملك، فالملك هو كل هذه الآلهة وعندما يعتلي فرعون العرش كان على الناس أن يفرحوا لأن أحد الأرباب أقيم رئيساً على كل البلاد بشكل مباشر ويرافق اسم الملك شارات ترمز إلى الحياة والصحة والقوة كما أن فرعون الذي هو الملك يتحول إلى إله بعد وفاته ومن هنا يستحق مناسك العبادة والتكريم الواجبة ذلك لأنه سيصعد إلى السماء ليتحد بقرص الشمس ويندمج مع أبيه ولهذا فإن الملك في مصر يتسم بما يأتي:

1- سامي سعيد الأحمد، العراق القديم، بغداد، 1978، ج2،ص 207.

2 -Babylonian Problems, p163 and p188.

1. شخصية إلهية مقدسة، فهو أقدس من أن يخاطبه أحد مباشرة بل أن كل إنسان من البشر لا يجرؤ على الدنو منه، وهذه الشخصية الإلهية تتمتع بعلم إلهي فلا تخفى عليه خافية وأن مشيئته وإرادته هي القانون وأن ما يتفوه به يجب أن ينفذ ويتحقق.

2. التسليم والخضوع لأوامره ونواهيه قوة وشكيمة وهكذا لا يسع المواطن المصري العادي إلا تطبيق العقيدة الدينية.

3. على القضاة والحكام أن يحكموا بما ينسجم مع رؤيته وأن الأحكام يجب أن توافق الإرادة الملكية التي يمكن أن تتغير إذا اقتضت رغبته ذلك. ولهذا كان الملك هو همزة الوصل الوحيدة بين الناس والآلهة فهو الكاهن الأكبر وهو الذي يعين الكهنة لمساعدته وهناك مفاهيم عقائدية سائدة أن الإرادة الملكية لا يمكن أن تهدف إلا لسعادة مصر وأبناء مصر وكثيراً ما كان يقول لابنه أو وزيره (أن الآلهة ترغب في كذا...)

وهكذا نجد استعداد الشرقيين لتأليه الحاكم ليس وليد اليوم وإنما هو أمر موغل في القدم منذ إن كان فرعون هو الإله الذي لا رادّ لقضائه فهو يعرف كل شيء بما في ذلك مصلحة الشعب الذي يعرفها أكثر مما يعرفها الشعب نفسه ثم مروراً بالعصر الوسيط حيث كان الحاكم الذي عينه الله ليسوس الناس ويروضهم لما فيه صلاحهم في الدنيا والآخرة إلى أن اخترعت فكرة الزعيم الأوحد والمنقذ الأعظم والرئيس المخلص ومبعوث العناية الإلهية الذي يأمر فيطاع لأنه استعار صفة من صفات الله ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون،

ليصبح استبداده استبداداً دينياً ولذلك فإن الحاكم دائماً يرافقه شعور بأنه فوق القانون والشعب معاً وأن الشعب خدم له وعبيد وقطعان يسيرهم كيفما يشاء ووفق ما يشاء، وهذا هو الواقع الذي كان يعيشه الشعوب فكل حاكم يحكم وكأنه ملك هذه الأوطان وما عليها من سكان وخيرات وهو مستعد أن يضحي بكل شيء من أجل أن يحافظ على موقعه أو كرسيه في التعبير المعاصر[1].

1- انطوان مورتكات، الفن في العراق القديم، ترجمة: د. عيسى سلمان وسليم طه التكريتي/ وزارة الإعلام العراقية، ص 93.

الأديان السماوية والتفويض الإلهي المزعوم للحكام

لقد ذكر لنا التاريخ عن حكام وسلاطين وملوك حكموا الناس بصفتهم أنصاف آلهة أو مفوضين من قبل الآلهة لحكم العباد وكما كان في وادي الرافدين ووادي النيل كان هناك الشيء نفسه في أوروبا خلال عصورها المظلمة. ففي العصور الوسطى كان الكهنة آلهة ويتحدثون باسم الله فهم أبناءه ويحكمون بتفويض منه وهم المعصومون الذين لا يخطئون ومن ثم فهم لا يسألون بل يجب على الشعوب أن يسمعوا ويطيعوا بلا نقاش وهذا ما أطلق عليه نظرية التفويض الإلهي ومن أقدم النظريات التي فسرت هذه النظرية هي التي تعتبر الدولة نظام إلهي أي أن السلطة خادمة الدولة ويجب تقديسها وطاعتها وقد تطور هذا المفهوم مع الزمن فظهرت مجاميع السحرة والمشعوذين تفسير هذه السلطات وواجب طاعتها للناس فصار للساحر والمشعوذ مكانة كبيرة في العصور الأولى لأنه كان صلة الوصل بين القوى الخفية والغيبية التي تدير مناحي الحياة المختلفة فكان هو الذي يحدد الأوامر والنواهي ومع مرور الزمن وتطور الحياة وزيادة الوعي عن الناس تحولت السلطة من الساحر إلى الكاهن ثم إلى تطبيق إرادة الآلهة في كل تصرفات الإنسان وأصبحت هذه هي السلطة السائدة في المدن القديمة واعتمد عليها الملوك في أوروبا في القرنين السادس والسابع عشر قبل عصر النهضة وقد أقرتها المسيحية في بادئ الأمر قبل أن تعلن عليها الحرب في عصر النهضة الأوروبية وقد أصبحت السلطة الدينية أو السلطة التي تحكم

باسم الدين سلطة مقدسة وتمارس مهامها وتطاع أوامرها وتطبق نواهيها بشكل مطلق حتى أصبح تأليه الحاكم أمراً مقبولاً عند الناس بشكل طوعي.

وقد سادت نظرية تأليه الحاكم في العصور الأولى عندما كان الإنسان الأول يعتمد على القوى الخفية طلباً وسعياً للأمن والطمأنينة حتى أصبح المجتمع يعتمد على الأساطير والرهبنة فاختلطت بذلك السلطة السياسية بالسلطة الدينية والعقائد مما أضفى على السلطة قدسية أكبر فأصبح الحاكم والزعيم إله يجب طاعته والخضوع له وحتى تقديم القرابين وهذا ما كان سائداً عند المصريين والرومان وحتى الهند واليابان[1]، ففي مصر الفرعونية كان الفرعون يأتي من صُلب الآلهة أو أنه إله كما ساد الاعتقاد في عهد الأسرة الفرعونية الرابعة والخامسة، لذا يجب طاعته وتقديسه وتقديم القرابين له حيث عبادة الفرعون هي عبادة الآلهة وهذا ولّد فكرة الملكية الإلهية التي كانت متأصلة في الفكر السياسي المصري القديم حيث استغلتها الأسر الأولى لدعم حكمها على اعتبار أن الحاكم هو الآلهة أو من أصلاب الآلهة لذلك فإن دور الكهنة بدأ يتضاءل وهذا ما خلق صداع بين الملكية المصرية وحكومة الكهنة آنذاك وكان الإله مانو في مصر القديمة هو الذي يمنح السلطات الدينية. وفي الهند كان الإله الأكبر براهما يمنح السلطات الدينية للملوك لذا يجب طاعتهم وتقديسهم. وفي اليابان كان الميكادو أي الملك أو الإمبراطور ينظر إليه أنه هو الله واستمر هذا

1- قصة الحضارة، وول ديورانت، الطبعة الاولى، مؤسسة الرسالة 2001م، الجزء الثاني، ص 471.

الحال عند اليابانيون حتى هزيمتهم في الحرب العالمية الثانية[1]. أما في المدن الرومانية فكان الحال ليس بعيداً عن ما ذكر ففي روما كان النظام ملكي مطلق حيث كان الملك يعتبر رئيس الديانات ويضع القوانين ويطبقها واستمر ذلك حتى العصر الإمبراطوري فكانت ديانة الإمبراطور هي الديانة الرسمية للبلاد وتقام للملك الشعائر الدينية وعند موته يصبح مقدساً وتصبح عبادته واجباً ولا يجوز مناقشته أو عصيان أوامره أو وصاياه التي يتلقونها من خلفه واختفى ذلك في العصر الجمهوري[2].

التفويض الإلهي للنظام الثيوقراطي

تعتمد نظرية التفويض الإلهي للحاكم على مبدأ يتم فيه اختيار اللـه للحاكم والملك بشكل غير مباشر أي أن اللـه لا يختار الملوك والحكام بإرادته مباشرة ولكن العناية الإلهية توجه الأحداث والأفراد لاختيارهم وتعلل هذه النظرية سلطة الحاكم المستمدة من إرادة اللـه وبذلك يمكن أن يستبد الحاكم بالسلطة لأنه يستمدها من اللـه.

والنظام الثيوقراطي هو غاية في تبرير قداسة السلطة التي يتمتع بها الحاكم في مواجهة المحكومين حتى تكون لتلك السلطة هيبة وقدسية في نفوس المحكومين وعامة الناس يخضعون لها ويتلقون أوامرها بدوافع تلقائية ونفوس راضية لأن

1- المرجع السابق نفسه، ص 488.

2- طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات، بغداد، طبعة عام 1955، ص 398.

سلطة الحكام بالأساس هي مستمدة من إرادة اللـه والحكام خلفاء اللـه في أرضه ينفذون إرادته وتشريعاته لذلك فهم لا يخضعون للمسائلة أو الاعتراض من قبل شعبهم وسلطتهم مطلقة تستمد إلى مصدر التشريع الذي هو اللـه ولكنهم يسألون أمام اللـه الذي منحهم تلك السلطة إذا لم ينفذوا إرادته وتشريعاته.

ويمكن تصنيف الأنظمة الثيوقراطية إلى ثلاثة أصناف من خلال التطبيق عبر التاريخ والتطور الزمني:

1. الطبيعة الإلهية للحكام.
2. نظرية الحق الإلهي المباشر.
3. نظرية الحق الإلهي غير المباشر.

أما الصنف الأول والذي تعتبر أن الحكام هم آلهة ولكنهم يعيشون بين البشر ومعهم لكي يحكمونهم وظهر هذا الصنف في الممالك والإمبراطوريات القديمة في مصر والصين وبلاد فارس وقد اندثر هذا الصنف من الحكام منذ زمن بعيد ولعل آخر بقاياها كان في اليابان والذي امتدت تأثيراته النفسية حتى الحرب العالمية الثانية حين انتهت وإلى الأبد النظرة المقدسة لإمبراطورهم الذي كان سبباً في هزيمتهم في الحرب.

أما القسم الثاني أو **الصنف الثاني** من الأنظمة الثيوقراطية فهو النظام الذي يعتمد على نظرية الحق الإلهي المباشر ويقوم هذا النظام على أساس أن الحاكم هو من البشر وليس له طبيعة إلهية كما يدعي أصحاب الصنف الأول

مثل فراعنة مصر لكنهم يعتبرون أنفسهم أن الإرادة الإلهية اختارتهم للسلطة وقد خصهم الـلـه بهذا الاختيار وحدهم دون الآخرين ومنحهم حق ممارسة السلطة دون تدخل من سكان الأرض من عموم البشر الذين عليهم فقط طاعة حكامهم دون نقاش وأن معصيتهم لهؤلاء الحكام تعتبر معصية لـلـه الذي اختارهم، وقد اعتنقت الكنيسة المسيحية هذه النظرية فتبناها الكهنة والقديسون ونادوا بأن الإرادة الإلهية هي مصدر كل سلطة على الأرض كما استخدم ملوك فرنسا هذه النظرية استخداماً كلياً حتى استطاعوا فرض سيطرتهم الشمولية على الشعب ومارس حكامهم الدكتاتورية نظاماً صارماً لإدارة البلاد في زمن لويس الرابع عشر في القرن السابع عشر[1].

أما **الصنف الثالث** الذي اعتمد نظرية التفويض الإلهي غير المباشر أو الحق الإلهي غير المباشر ويرى الحكام في هذه النظرية أن الـلـه هو الذي يختار الحاكم ولكن ليس بشكل مباشر بل بواسطة هداية الشعب لانتخاب هذا الحاكم أو ذلك الملك وبإرشاد وتوجيه من الإرادة الإلهية أي أن الاختيار هنا يتم بطريق غير مباشر حيث يعتبر الحاكم هنا مبعوث العناية الإلهية وأنه ملهم ولا يخطئ لأنه ثاقب الرأي وحاد البصر والبصيرة حكيم الحكماء وفقيه الفقهاء ولا يجوز لأحد من رعاياه من عموم الشعب أن يعارضه فهو الذي يعلم والناس لا يعرفون مصلحتهم وهو الذي يرى الحقائق والآخرون محجوبة عنهم لذلك هو يسعى دائماً للصواب والحق والعدل لذلك لا يمكن الخروج عليه ومن يحاول أن

1- د. بهنام أبو الصوف، التاريخ من باطن الأرض، مطابع شركة الاديب، عمان، 2009، ص49.

يفعل ذلك فقد خرج عن الناموس وفقد بذلك أي حق في الرحمة والتعاطف من النظام الذي نصّب قائده فوق الجميع فلا توجد قداسة على الأرض أكثر من قداسة الحاكم ولا شيء يعلو عليه. فالجيوش تجيش بإشارة من إصبعه والقوانين تشرع وتعدل حسب رغبته والإعلام يتحدث بما يشتهي ويرضيه والعالم يسير على هواه، فمشاريعه كلها صالحة وخطاباته كلها حكم والحكام في هذه الأنظمة دائماً على حق حتى لو اتخذوا قراراً وعادوا فيه فهم في المرة الأولى عباقرة وفي المرة الثانية حكماء وعلى العامة أن يصفقوا ويرقصوا ويمجدوا النظام والحاكم الذي يمثل النظام ويمدحونه نثراً وشعراً وأدباً ومن أشهر الدول التي تبنت هذا النوع من الأنظمة هي إيران والفاتيكان[1].

1- هنري فرانكفورت "فجر الحضارة في الشرق الأدنى"، ترجمة ميخائيل خوري - منشورات دار مكتبة الحياة- بيروت 1959، ص94.

المبحث الثاني

الكنيسة والملوك في أوروبا، والحروب الدينية

كان المسيحيون يواجهون اضطهاداً من قبل الإمبراطورية الرومانية في الفترة ما بين 58م وحتى 312م بسبب رفضهم الاعتراف بعبادة الأباطرة ومع ذلك فإن الدين المسيحي انتشر عن طريق الكنيسة والتجار والمبشرين في أنحاء العالم القديم ونمت المسيحية بسرعة كبيرة بالحجم والتأثير وظلت العلاقة بين الأباطرة والكنيسة سلبية حتى جاء الإمبراطور قسطنطين وأصدر مرسومه المشهور والمعروف باسم مرسوم ميلانو عام 313 وبذلك أنهى هذا المرسوم مرحلة الاضطهاد للمسيحيين وشكل اعتناقه للدين المسيحي نقطة تحول هامة في التاريخ[1]، وبعد هذا المرسوم سنت القوانين وانتهجت السياسات التي تتفق مع مبادئ المسيحية واعتمد يوم الأحد عطلة رسمية بالنسبة للمجتمع الروماني وشرع في بناء الكنائس وبدأت مرحلة التعاون بين الكنيسة والإمبراطورية (ومن ثم ترأس الإمبراطور مجمع نيقية المسيحي عام 325م)[*].

ومع ازدياد السكان والثروة في الإمبراطورية الرومانية الشرقية أنشأ الإمبراطور قسطنطين مدينة القسطنطينية لتكون عاصمة للإمبراطورية البيزنطية،

1 - Religion in the roman empire - wiley - blackwell, by james B., Rives page 196.

* سمي مجمع نيقية بهذا الاسم نسبة الى مدينة نيقية التي عقد فيها وتقع في الشمال الغربي لآسيا الصغرى، وهو أحد المجامع المسكونية السبعة وفقاً للكنيستين الرومانية والبيزنطية.

غدت مركز حضاري سيما بالنسبة للمسيحية الشرقية ومقر بطريركية القسطنطينية المسكونية وبالتالي ظهرت منافسة سياسية بين بطريرك القسطنطينية والبابا في روما حول زعامة العالم المسيحي.

وكان حصار روما من قبل القوط الغربيين والوندال عام 410م وصعد هذا التنافس حتى وصل أوجه عام 455 م على الرغم من التواصل الثقافي والتبادل بين الجانبين الشرقي والغربي للإمبراطورية الرومانية حتى وصل الأمر إلى الانشقاق الذي حصل بين الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة الأرثوذكسية عام 1054 وقد تجلى تحول المسيحية من طائفة هامشية إلى قوة رئيسية داخل الإمبراطورية حتى أصبح لها دوراً سياسياً مؤثراً في إدارة الأمور السياسية في الإمبراطورية وكان لأسقف ميلانو امبروسيوس وهو أحد معلمي الكنيسة الجامعة ومن أبرز الشخصيات الكنسية تأثيراً في القرن الرابع يلعب دوراً مهماً في السياسة الإمبراطورية ويتودد لنفوذه المتنافسون على العرش الإمبراطوري ويظهر هذا النفوذ بشكل واضح أثناء المذبحة التي أمر بها الإمبراطور ثيودوسيوس ضد الآلاف من المواطنين في مدينة سالونيك واعترض عليها الأسقف امبروسيوس ومنع الإمبراطور بعدها من دخول الكنيسة وقبول سر القربان حتى يقدم كفارة عملية وعلنية ويصلح ما يمكن إصلاحه من آثار تلك المذبحة وهو ما كان بداية سيطرة الكنيسة على الحياة السياسية في أوروبا[1].

1 -http://enwikisource.org/wiki/catholic Encyclopedia%281913%28/st.ambrose

بعد سقوط روما أصبحت البابونية مصدر استمراري للسلطة وسيطرت على المسائل العسكرية وقام البابا غريغوري الكبير بإصلاحات صارمة في إدارة الكنيسة وبرز كمحامي روماني ومسؤول وراهب ومثَّل التحول من الكلاسيكية إلى آفاق القرون الوسطى وكان أباً لكثير من الهياكل التابعة للكنيسة الكاثوليكية في وقت لاحق وكما هو مذكور في الموسوعة الكاثوليكية فإنه كان يتطلع إلى الكنيسة والدولة كوحدة مشتركة ولكنها عملت في مجالين متميزين، الكنيسة والعلمانية وعند وفاته كانت البابوية قوة عظمى في إيطاليا.

والبابا غريغوري الكبير جعل من نفسه في إيطاليا أقوى من قوة الإمبراطور أو حاكم الولاية وأنشأ نفوذ سياسي سيطر على شبه الجزيرة لقرون عديدة ومن ذلك التاريخ توجهت أنظار السكان المتنوعين في إيطاليا إلى البابا وواصلت روما عاصمة البابوية لتكون مركز العالم المسيحي كما ارتبطت بعض الكنائس المسيحية الشرقية في السياسة أيضاً تأثراً بتجربة روما.

وبحلول القرن الحادي عشر ومن خلال جهود غريغوري السابع نجحت الكنيسة بتأسيس وإعلان نفسها بأنها كيان مستقل من الناحية القانونية والسياسية داخل المسيحية الغربية[1][مما أتاح للكنيسة قوة سياسية وتأثير كبير على المجتمع الغربي وصارت قوانين الكنيسة وتشريعاتها هي القوانين النافذة ويمتد تأثيرها إلى السلطات القضائية وحياة الشعوب في جميع أنحاء أوروبا مما أتاح لها سلطة بارزة، ومن خلال نظام المحاكم الخاص بها احتفظت الكنيسة

1 - witte (1997). P.23.

بالولاية على جوانب كثيرة من الحياة العادية بما في ذلك الميراث والتعليم والزواج وخطاب القسم... الخ وباعتبارها واحدة من أقوى المؤسسات في العصور الوسطى فقد انعكست مواقف الكنيسة على القوانين العلمانية الحديثة وأصبحت أهم مصدر من مصادر التشريع الحديث.

كانت الكنيسة في القرون الوسطى أقوى مؤسسة في أوروبا وأكثر عالمية وديمقراطية خصوصاً في المنظمات الرهبانية التي تتبع القديس بندكت، وغدت الأديرة الملجأ الثقافي والعلمي في أوروبا وإليها لجأت مختلف النخب لتبرز في الآداب والعلوم وغيرها من الثياب الرهبانية أو الأسقفية في كثير من الأحيان خلال القرون الوسطى ومن الجدير بالذكر أن الكنيسة في ذلك الوقت أي خلال العصور الوسطى كانت تستبعد النساء من الحياة السياسية والتجارية ولكنها كانت تستثني من هذا الاستبعاد الحياة الرهبانية فرؤساء الأديرة والمنازل الرهبانية من النساء كان لهن تأثيراً يكاد يساوي تأثير رؤساء الأديرة من الذكور لقد عوملت النساء على قدم المساواة الكاملة فكان منهن أعظم الأساقفة والبارونات وكن حاضرات في جميع الاحتفالات الدينية والوطنية المهمة وعرفنَّ بإخلاصهن للكنيسة وشاركن في المجالس والمداولات الوطنية[1].

ومع ازدياد شعبية الإخلاص لمريم العذراء أم يسوع الذي كان له الفضل في جعل قيمة الأمومة قيمة مركزية في المجتمعات الأوروبية أصبح شارلمان إمبراطوراً للإمبراطورية الرومانية المقدسة وغزا البلدان المنخفضة وشمال

1 - kenneth Clarke: ciliziation, bbc, sbn, 563102799. first published 1969.

ووسط إيطاليا، وفي عام 800م توج البابا ليون الثالث شارلمان إمبراطوراً للإمبراطورية الرومانية المقدسة وبذلك أصبح الإمبراطور يتوج من قبل رجال الكنيسة[1].

وفي فترات القرون الوسطى كانت القوى المؤثرة على الصعيد السياسي في المجتمع الغربي هي:

1. طبقة النبلاء.
2. رجال الدين.
3. الملوك.

وقد نتج عن هذا التعدد في القوى الاجتماعية صراع في بعض الأحيان ينشأ بين تلك القوى، وكانت سلطة البابا قوية بما يكفي لتحدي سلطة الملوك، ولعل نزاع التنصيب كان أهم مراحل الصراع بين الكنيسة والدولة في أوروبا آنذاك إذ تحدَّت مجموعة من الباباوات السلطة الملكية في السيطرة على التعيينات لمسؤولين عن الكنائس مثل الأساقفة ورؤساء الأديرة سيما بلاد الإمبراطور فردريك الثاني وكان قصره في جزيرة صقلية إذ واجه توتر وخصومة ومنافسة مع البابوية من أجل السيطرة على شمال إيطاليا[2].

1- المرجع السابق نفسه، ص 742.

2 -bbc, sbn 563-10279: first published 1969 civilization, kenneth clarke.

وفي عام 1054 وبعد قرون من العلاقات المتوترة وقع الانشقاق العظيم وقسم العالم المسيحي بين الكنيسة الكاثوليكية التي تركزت في روما وسادت في الغرب وبين الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية والتي تركزت في القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية التي كانت تعتمد النظام الثنائي في إدارة الحكم بين الأباطرة البيزنطيين وبين البطاركة فوظيفة الإمبراطور البيزنطي حماية الكنيسة الشرقية وإدارتها من خلال ترؤسه المجامع المسكونية وتعيين البطاركة وتحديد الحدود الإقليمية لولايتها ولا يستطيع بطريرك القسطنطينية تولي منصبه إذا لم يحصل على موافقة الإمبراطور وكان هذا النظام يحظى بمعارضة الكثير من آباء الكنيسة الشرقيين ويرفضون سيطرة الأباطرة البيزنطيين على الكنيسة الشرقية ومنهم بطريرك القسطنطينية وبطريرك الإسكندرية.

وفي عام 1905 دعا البابا أوربان الثاني إلى الحروب الصليبية من أجل استرداد الأراضي المقدسة في فلسطين وعلى الرغم من النجاح الأولي في تلك الحملة إلا أنها انتهت في نهاية المطاف بالفشل بعد نحو قرنين من التواجد في المشرق.

العلاقة بين الكنيسة والملوك أبان فترة عصر النهضة

شهدت مرحلة عصر النهضة: (الإصلاح البروتستاني) في ألمانيا على يد مارتن لوثر[1]، إذ انتقد مارتن لوثر الفساد في الكنيسة الكاثوليكية وأهم ما انتقده قضية صكوك الغفران وشراء بعض المناصب العليا في الكنيسة والمحسوبية التي كانت سائدة آنذاك إضافة إلى ظهور ما يشبه عائلات مالكة تحتفظ بالكرسي الرسولي مثل آل – بورجيا – لذلك ظهرت بعض المذاهب البروتستانية التي ارتبطت مع الدولة مثل المذهب اللوثري في النرويج والدنمارك والانجليكانية في انكلترا حيث يكون الملك رئيساً للكنيسة بدلاً من البابا وغالباً ما تكون سلطة الملك فخرية في حين يتولى رئيس أساقفة معين من قبل الملك شؤون الإدارة الفعلية، وقد أسس هذا لبناء الدولة المدنية في أوروبا، وكم كنت أتمنى لو أن السياسيين في الوطن العربي يستفيدوا من هذه التجربة.

وفي عام 1453م استطاعت الدولة العثمانية فتح القسطنطينية وسقطت الإمبراطورية البيزنطية وبذلك تحول ثقل الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية من القسطنطينية إلى روسيا التي كانت الكنيسة الأرثوذكسية فيها مؤسسة قوية وبذلك أصبحت روسيا قائدة العالم الأرثوذكسي.

وظهر في هذه الفترة مبدأ ـ الحق الإلهي ـ من قبل الملوك لتبرير الحكم المطلق ومن هؤلاء لويس الرابع عشر الذي زعم أن سلطته الممنوحة له من الله

1- الندوة العالمية للشباب الإسلامي: البروتستانت، موقع ومجلة صيد الفوائد الالكترونية، عدد تشرين ول 2010، ص28.

لا يحق لأحد من رعاياه أن يحدها كما حاول جيمس الأول وتشارلز الأول ملوك انكلترا آنذاك استيراد هذا المبدأ.

وبذلك نمت المخاوف من أن تشارلز الأول ذاهباً إلى تأسيس حكم استبدادي وتمخضت تلك المخاوف إلى اندلاع الحرب الأهلية الانكليزية ، كما وصل رجال الدين إلى مناصب هامة و خطيرة في الدول الأوروبية مثل الكاردينال – ريشيليو – الذي كان وزير الملك الفرنسي لويس الثالث عشر والكاردينال – جول مازاران – الذي شغل منصب رئيس الوزراء في عهد لويس الرابع عشر .

ومع نهاية القرن السابع عشر ودخول القرن الثامن عشر نضجت الأفكار القومية والإلحادية في أوروبا وتزامنت مع تجربتين لهما عميق الأثر في المسيحية ، وهما التجربة الفرنسية عام 1789 والتجربة الأمريكية أواخر القرن الثامن عشر الميلادي بثورتها التي قامت تحت شعار حقوق الإنسان وفصل الدين عن الدولة، ولكن التجربة الفرنسية وعلى عكس التجربة الأمريكية، كانت هجومية عنيفة مضادة للكنيسة، فقد صادرت أملاك الأوقاف بما فيها الكنائس والأديرة وأخضعتها لسلطة الدولة الفرنسية، كما احتل نابليون الأول ايطاليا وثبت الاتفاقية الموقعة بينه وبين الكرسي الرسولي سنة 1801م، وبذلك أصبح تعيين الأساقفة والكهنة وإدارة شؤونهم بيد السلطات الفرنسية وليس بيد الفاتيكان[1].

1- تاريخ الحضارة، المجلد الحادي عشر، الكتاب الأول، الفصل الأول، صفحة 27.

وخلال فترة عصر القوميات تنامت فكرة القومية الايطالية منذ عام 1814م، ومع تفاقم عقيدة القومية الايطالية التي أفرزت نتيجة ذلك سيطرة المملكة الإيطالية على الدولة البابوية عام 1870م مع تخلي فرنسا عن مواقعها في روما مما سمح للمملكة الإيطالية ملء الفراغ وانتزاع الدولة البابوية من السيادة الفرنسية[1]، ورغم ذلك فان الفاتيكان والمباني المحيطة به ظلت ذات حكم خاص في ظل هذا الوضع الذي وعي به البابوات بشكل مجازي ـ سجناء روما ـ واستمرت العلاقة بشكل غير منظم قانونيا" حتى عام 1929م حين أبرمت اتفاقيات لاتران الثلاثة التي أوجدت الفاتيكان بالشكل المتعارف عليه اليوم، ونظمت التعاون السياسي والاقتصادي والأمني بين ايطاليا والفاتيكان.

أما الكنيسة الروسية الأرثوذكسية فقد كانت مؤسسة قوية في الإمبراطورية الروسية وكانت مرتبطة بالأسرة الحاكمة، وشكل النفوذ المتزايد للقس غريغوري راسبوتين أحد الأسباب لقيام الثورة البلشفية عام 1917م، مما أدى الى نجاح الشيوعية في الاستيلاء على الثورة، وكان لمجيء الشيوعيين أثراً سلبياً على الكنيسة الأرثوذكسية[2]، مما جعل الكنيسة في موقع معارض للشيوعية وقادت في زمن حبرية القديس يوحنا بولس الثاني معارضة عالمية ضد الشيوعية حتى انتهى الأمر بانهيار الإتحاد السوفيتي[3].

1- موقع أدب، الوحدة الإيطالية، 2010/10/28.
2- شبكة القديس سيرافيم، الكنيسة الروسية خارج الحدود، 2010/12/24.
3- موقع الأسر، البابا يوحنا بولس الثاني، ادوار ومهمات 24/ك2010/.

الحروب الدينية

عند نشوء أي حرب لا بد أن تكون لها دوافع مادية ومبررات أخلاقية أو دينية لذلك لا بد من تسويق الحرب بمسوغات تكون حافزاً للناس والمقاتلين لرفد جبهات القتال بمستلزمات الحرب المادية والمعنوية.

كانت الحرب بسبب الدين هي النموذج السائد في حروب العصور الوسطى والقديمة وكان الدين في تلك الفترة هو السبب والمحرك الرئيسي للحرب، وكانت الحروب تعد نزاعات يتجلى فيها تفوق آلهة بعض الشعوب على البعض الآخر وكانت تعتبر حروب خاصة بالآلهة نفسها وبيان لتفوقها.

الحروب الدينية اليهودية

تتسم الحروب المقدسة في اليهودية بأنها تعتبر حروب للسيطرة على كل الكائنات الحية من نساء ورجال وأطفال، وحتى الحيوانات لم تسلم منهم، وكذلك الأمر إحراق الممتلكات المادية ما عدا المعادن النفيسة مثل الذهب والفضة والنحاس والحديد، وكان يدعم هذه التكليفات تهديدات بعقوبات سماوية لمن يخالفها.

وبقدر ما كان كتاب العهد القديم "التوراة " ممتلئاً بالتفاصيل عن الحرب، فإن العهد الجديد خلا تماماً من أي شيء خاص بالحرب إلا أنه مع تحول المسيحيين إلى أغلبية في نهاية القرن الرابع للميلاد واعتناق الإمبراطور الروماني

للديانة المسيحية بدأت الحرب تأخذ شكلاً دينياً، وتعتبر دعوة القديس أمبروز[1] آنذاك أن البربر المتمردين على الإمبراطور المسيحي جراسيان هم أعداء اللـه في الأرض، أول شكل للحرب الدينية في المسيحية، وقامت بعد ذلك الحروب الصليبية لاستعادة فلسطين من أيدي المسلمين. وبعد ذلك ظهرت الحروب الدينية الطاحنة بين المسيحيين في أوروبا بعضهم البعض، إذ برزت الحروب بين البروتستانت والكاثوليك بعد انفصال الكنيستين عن بعضهما البعض وتعتبر معاهدة وستفاليا[2] أول معاهدة أبرمت بغير تعاليم دينية حيث ترك الأوربيين الدين كسبب للصراع.

الحرب الدينية في الإسلام

يعتبر الجهاد في الإسلام نموذجاً للحرب الدينية، ويعتبر في الإسلام أن الجهاد فرض على كل مسلم بالغ عاقل قادر وأن ثوابه دائماً هو الجنة، والجهاد هدفه هو الدفاع عن المسلمين وليس فرض الإسلام على أي شعب، وقد قام

1- اوريليوس امبروزيوس وبالانجليزية Aurelius Ambrosinus: كان قديس في مدينة ميلان، أصبح في القرن الرابع أحد الرموز المؤثرة في قيام الكنيسة. ولد لعائلة رومانية مسيحي ما بين عامي 337 و 340 بعد الميلاد في ترير: بعد موت والده قرر أمبروز إكمال مسيرة أبيه وتعلم في روما الأدب، القانون، والبلاغة. (تاريخ اوروبا الحديث، جيفري براون، المكتبة الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت 2009، ص 254).

2 - صلح وستفاليا (نسبة إلى مقاطعة ألمانية) اتفاق بين مونستر وأسنابروك المزدوج للسلام، وكان مؤتمر السلام هذا حدث أوروبي من المرتبة الأولى. وكان اول نجاح فيه هو سلام مونستر بين هولندا وأسبانيا، الذي أنهى 80 عاماً من النضال الهولندي من أجل الحرية. (تاريخ أوروبا الحديث، المرجع السابق نفسه، ص 286).

المسلمون بفتح العديد من المناطق، واستمرت الحروب الإسلامية بعد ذلك حتى وصلت الدولة الإسلامية لأقصى توسعاتها في نهاية الدولة الأموية حين وصلت إلى الهند والصين شرقاً وحتى الأندلس غرباً وجنوب فرنسا .

وتوقف التوسع الإسلامي في أوروبا حين هزمت الجيوش الإسلامية في معركة بواتييه ولكن الحرب تحولت من هجومية في الفترات الأولى للدولة الإسلامية إلى دفاعية بعد ذلك حين قام الصليبيون بشن حروبهم ضد المسلمين للاستيلاء على القدس وقيام حروب الاسترداد في اسبانيا" الأندلس "التي انتهت بطرد المسلمين من أسبانيا نهائياً في عام 1492 بسقوط غرناطة.

ومن المعروف أن أهم مبادئ الإسلام أن لا إكراه في الدين[1]، و محاربة من يحاولوا مقاتلة المسلمين فقط[2]، كما أن من أهم مبادئ الجهاد هو الدفاع عن المقدسات الدينية كما ينصّ القرآن الكريم[3] .ومع أن الوجود الإسلامي في الأرض المقدسة كان قد بدأ مع الفتح الإسلامي لفلسطين في القرن السابع إلا أنه لم يلحظ أي تدخل في شؤون الحج إلى الأراضي المقدسة بل كانت دول أوروبا الغربية أقل اهتماماً بفقدان القدس، في العقود والقرون التي تلت ذلك، عن طريق غزوات المسلمين وعدائية أخرى من غير المسيحيين، مثل الفايكنغ،

---

1 - (لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ) (سورة البقرة، الآية 256).
2 - (وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللـهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللـهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ) (سورة البقرة، الآية 187).
3 - (إِنَّ اللـهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ) (سورة الصف، الآية 4).

والسلاف، ومع ذلك، فإن نجاحات جيوش المسلمين وضع ضغوطاً متزايدة على الإمبراطورية البيزنطية الأرثوذكسية الشرقية.

من العوامل الأخرى التي ساهمت في هذا التغيير في المواقف الغربية إزاء الشرق حدثت في سنة 1009، عندما أمر الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الـلـه بتدمير كنيسة القيامة[1]، كما أن هناك اضطهادات أخرى تعرّض لها المسيحيون المشرقيون في مصر وبلاد الشام والعراق منذ عهد الخليفة العباسي التاسع المتوكل على الـلـه الذي اضطهد عموماً إلى جانب المسيحيين واليهود جميع من يخالفه في المذهب الشافعي[2]مع أن الدين الإسلامي لا يأمر بتدمير الكنائس .وفي عام 1039سمح خلفه للإمبراطورية البيزنطية بإعادة بناء كنيسة القيامة، وسمح بالحج في الأراضي المقدسة قبل وبعد إعادة بناء كنيسة القيامة.

الحروب الصليبية والحملات الصليبية

اسم يطلق حالياً على مجموعة من الحملات والحروب التي قام بها أوروبيون في الفترة بين أواخر القرن الحادي عشر حتى الثلث الأخير من القرن الثالث عشر (1096-1291)، وكانت بشكل رئيسي حروب فرسان، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى الذين اشتركوا فيها وتواروا تحت رداء الدين المسيحي وشعار

1 - Biddle, Martin; Seligman, Jon: Tamar, winter; Avni, Gideon (2000). the church of the holy sepulchre, distrbited by st. Martin's press.

2 - The jews of arab lands: a history and source book by, norman a stillman.

الصليب من أجل الدفاع عنه، وذلك لتحقيق هدفهم الرئيس وهو السيطرة على الأراضي المقدسة كبيت المقدس، ولذلك كانوا يخيطون على ألبستهم على الصدر والكتف علامة الصليب من قماش أحمر.

كانت الحروب الصليبية سلسلة من الصراعات العسكرية ذات الطابع الديني الذي خاضه الكثير من أوروبا المسيحية ضد التهديدات الخارجية والداخلية.

هدف الحروب الصليبية ــ في الأصل ـ احتلال القدس والأراضي المقدسة من المسلمين، وكانت القاعدة التي أطلقت في الأصل استجابة لدعوة من الإمبراطورية البيزنطية الأرثوذكسية الشرقية لمساعدتهم ضد توسع المسلمين السلاجقة في الأناضول.

مصطلح الحروب الصليبية يستخدم أيضاً لوصف حروب معاصرة ولاحقة من خلال القيام بحملات استمرت حتى القرن السادس عشر في الأقاليم خارج بلاد الشام؛ وكانت غالباً ضد الوثنيين، والزنادقة بحسب المعتقد المسيحي، لمزيج من الأسباب الدينية، والاقتصادية، والسياسية، كما أدت التناحرات بين المسيحيين والمسلمين على حد سواء لنيل الصلاحيات إلى التحالفات بين الفصائل الدينية ضد خصومهم، مثل التحالف المسيحي مع سلطنة رومية أثناء الحملة الصليبية الخامسة.

كانت للحروب الصليبية آثاراً بعيدة المدى، سياسياً، واقتصادياً، واجتماعياً، واستمر بعضها حتى وقتنا المعاصر.

بسبب الصراعات الداخلية بين الممالك المسيحية والقوى السياسية، وبعض البعثات الصليبية قد تم تحويل الحملات الصليبية عن الهدف الأصلي، مثل الحملة الصليبية الرابعة، والتي أسفرت عن تقسيم الإمبراطورية البيزنطية بين البندقية والصليبيين .وكانت الحملة الصليبية السادسة أول حملة صليبية دون مباركة البابا، وإرساء سابقة أنه يمكن للحكام بخلاف البابا أن يستهلوا حملة صليبية.[1]

ـ التسمية

سمي الصليبيون في النصوص العربية المعاصرة لتلك الأحداث، كابن الأثير في كتابه »الكامل في التاريخ «وأبي الفداء في كتابه »المختصر في أخبار البشر«، بالفرنجة أو الإفرنج أو الروم وسميت الحملات الصليبية بحروب الفرنجة أما في الغرب فقد سمي الصليبيون بتسميات متعددة كمؤمني القديس بطرس fideles Sancti Petri)) أو جنود المسيحmilites Christ))، ورأى من كان مندفعاً بدافع الدين من الصليبيين أنفسهم ,على أنهم حجاج، واستخدم اسم "الحجاج المسلحين "لوصفهم في إشارة إلى أن الحجيج لا يحمل السلاح في العادة .وكان الصليبيون ينذرون أو يقسمون أن يصلوا إلى القدس ويحصلوا على

1 - جيفري برون، تاريخ اوروبا الحديث، ترجمة علي المرزوقي، الأهلية للنشر والتوزيع، دمشق، 2006، ص213.

صليب من قماش يخاط إلى ملابسهم، وأصبح أخذ هذا الصليب إشارة إلى مجمل الرحلة التي يقوم بها كل صليبي.

وفي العصور الوسطى كان يشار إلى هذه الحروب عند الأوروبيين بمصطلحات تقابل الترحال والطواف والتجواب ((peregrination)) والطريق إلى الأرض المقدسة ((iter in terram sanctam)) وظهور مصطلح "الحرب الصليبية" أو "الحملة الصليبية" على ما يبدو أول ما ظهر في بحث لمؤرخ بلاط لويس التاسع عشر، لويس ممبور.

حالة دول أوروبا الغربية قبل بدء الحروب

أصل الحروب الصليبية تكمن في التطورات في أوروبا الغربية في وقت سابق من العصور الوسطى، فضلاً عن تدهور حاله الإمبراطورية البيزنطية في الشرق الناجمة عن موجة جديدة من الهجمات التركية المسلمة.

انهيار الإمبراطورية الكارولينجية[1] في أواخر القرن التاسع، جنباً إلى جنب مع الاستقرار النسبي للحدود المحلية الأوروبية بعد تنصير الفايكنج، والسلاف، والمجر، قد أنتجت الكثير من الطبقة المسلحة وبروز الطاقات التي كانت في غير محلها، وبدلاً من قتال بعضهم بعضاً، وإرهاب السكان المحليين؛

1 - الإمبراطورية الكارولينجية مصطلح يستخدم للإشارة إلى إمبراطورية الفرنجة تحت حكم سلالة الكارولينجين والذين يعيتبرون مؤسسي فرنسا والإمبراطورية الرومانية المقدسة، ومن اهم احداثها تتويج البابا ليو الثالث شارلمان بوضفه إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة في 768.

حاولت الكنيسة كبح هذا العنف مع حركات السلام والهدنة مع الـلـه، والتي كانت ناجحة إلى حد ما، لكن طبقة المحاربين كانوا يسعون دائما لإيجاد منفذ لمهاراتهم، وأصبح فرض التوسع الإقليمي، أقل جاذبية بالنسبة لقطاعات كبيرة من النبلاء .

كان للحملات الصليبية هدف أيضاً غير محاربة الإسلام والمسلمين إذ كان هدفها في البداية أيضاً محاربة البابا لمخالفيه، فقد جاء الصليبيون من شمال فرنسا إلى جنوبها لكي يقاتلوا الهراطقة الألبيجنسيين [1].ومنذ نهاية القرن الحادي عشر بدأت بوادر المقاومة ضد الكنيسة البابوية في روما وسيطرتها على شئون الحياة الأوربية .

1 - الهرقطة ويطلق عليها أيضاً الزندقة، وبالانجليزية heretic: هي تغير في عقيدة أو منظومة معتقدات مستقرة، وخاصة الدين، بإدخال معتقدات جديدة عليها أو إنكار أجزاء أساسية منها بما يجعلها بعد التغير غير متوافقة مع المعتقد المبدئي الذي نشأت فيه هذه الهرطقة.

دوافع الحروب الصليبية

بعد انتصار السلاجقة على البيزنطيين استنجد البيزنطيون بمسيحيي بلاد الغال)فرنسا (على أساس أنهما من نفس الديانة)المسيحية (وكانت الدوافع الاقتصادية والاجتماعية عوامل أساسية للدفاع عن الروم البيزنطيين.

الدوافع الدينية

كانت دعوة البابا للحروب الصليبية التي بدأها البابا أوربان الثاني في نوفمبر1095بعقده مجمعاً لرجال الدين في مدينة كليرمونت فران الفرنسية، وكان الكثير من الحملات قد بررت بتطبيق "إرادة الرب "عن طريق الحج إلى الأرض المقدسة للتكفير عن الخطايا، وكانت الدعوات تروي عن اضطهاد الحكم الإسلامي للمسيحيين في الأرض المقدسة وتدعو إلى تحريرهم، خصوصا بعد تدمير كنيسة القيامة في ١٨ أكتوبر عام 1009بأمر الحاكم بأمر اللـه الفاطمي .وتراجعت هذه الدوافع الدينية مع مرور الوقت لتصل إلى حد تدمير مدينة القسطنطينية المسيحية الشرقية في الحملة الصليبية الأولى والرابعة على أيدي الصليبيين أنفسهم.

الدوافع الاجتماعية

كان قانون الإرث المطبق في أوروبا يـنص عـلى أن يـرث الابـن الأكـبر عقـارات والـده وعبيـده بعـد موتـه، وتـوزع المنقـولات بـين أبنائـه، وبـسبب هـذا القـانون نــشأت طبقــة مــن النــبلاء أو الأســياد الــذين لم يكونــوا يملكــون إقطاعيــات،

فشاعت بينهم ألقاب مثل "بلا ارض "و"المعدم "دلالة على عدم ملكيتهم لقطعة أرض، ورأى الكثير من هؤلاء فرصتهم في الحملات الصليبية للحصول على أراض في الشرق، ورأى آخرون فيها فرصة لتوسيع أملاكهم بضمّ أملاك جديدة، كما كان الفقراء يجدون فيها فرصة لحياة جديدة أفضل ووسيلة تخرجهم من حياة العبودية التي كانوا يعيشونها في ظلّ نظام الإقطاع السائد في ذلك الوقت .ولا ننسى أيضاً رغبة المدن الساحلية الأوروبية تحقيق مكاسب تجارية نظير نقلها للمحاربين على سفنها ورغبة بعض فرسان أوروبا في التخلص من النظام الإقطاعي الفاسد عن طريق العيش في الشرق.[1]

العلاقة مع الإسلام

كانت العلاقات الخارجية لأوروبا مع المد الإسلامي لا تبعث على الطمأنينة .فالمسلمون الذين كانوا قد قاتلوا البيزنطيين منذ القرن السابع الميلادي قد وصلوا إلى جبال البيرينية في شمال أسبانيا وجنوب فرنسا بعد أن سيطروا على شمال أفريقيا، فكانت المناطق الأوروبية المتاخمة لحدود دولة الأندلس الإسلامية في شبه جزيرة إيبيريا وجزيرة صقلية تشعر بتهديد السيطرة الإسلامية عليها مما ساهم في تجنيد الأوروبيين بدافع الحماية والدفاع عن مناطقهم.

1 - موقع ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

التوترات بين روما والقسطنطينية

رأت البابوية في السيطرة على الأرض المقدسة دعماً كبيراً لنفوذها، كما رأت أيضاً، في السيطرة على الكنيسة الشرقية بالقسطنطينية وسيلة لإعادة توحيد الكنيسة تحت ظلّ البابوية، ولعبت العوامل الاقتصادية والتنافسية دوراً بدا واضحاً في الحملة الصليبية الرابعة .مما أدى إلى التضاؤل المستمر في دفاع الصليبيين عن الإمبراطورية البيزنطية. [1]

1 - الموقع السابق نفسه.

المبحث الثالث

الحملات الرئيسية في الحروب الصليبية

يصعب الفصل بين الأحداث التي وقعت في فترة الحروب الصليبية؛ لكن المؤرخين يقسمون الحملات الصليبية إلى الحملات التالية:

حملة الفقراء أو حملة الشعب

حملة قام بها الفقراء وجمهور قليل من الفرسان، حيث كان الوعد الكنسي بالخلاص والفوز بالغنائم سبباً مقنعاً لمغادرة حياتهم البائسة والتوجه إلى تحرير القدس؛ وهذه الحملة قادها بطرس الناسك حتى وصولها إلى القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية .وكانت الجموع تندفع دون توقف ودون انتظار أوامر القيادة، خلفت وراءها خراباً ونهباً في المجر والصرب واليونان وآسيا الصغرى، حتى سحقتهم قوات السلاجقة الأتراك في 21أكتوبر عام 1096م. وكان عدد الصليبين 25 ألف رجل[1].

الحملة الصليبية الأولى

كان البابا أوربان الثاني الذي كان بابا لروما آنذاك، هو الذي دعا أساقفة فرنسا والبلاد المجاورة إلى الاجتماع في كليرمونت في فرنسا عام 1095ميلادية وشهد هذا الاجتماع نحو ثلاثمائة شخص من رجال الدين المسيحيين وكانت

1 - موقع ويكيبيديا ، الموسوعة الحرة.

استجابتهم لقرار الحرب سريعة، فتحركت في أغسطس عام 1096من اللورين، طوابير قادها جودفري دي بوبون الرابع، وانضم إليها أتباعه)أخوه الأكبر الكونت يوستاس من بولون وأخوه الأصغر بلدوين من بولون أيضا، كما انضم بودوان له بورغ ابن عم جودفري، والكونت بودوان من اينو والكونت رينو من تول (على أثر الدعوة التي انطلقت لها حملة الفقراء، مشت هذه الفصائل على طريق الراين ـ الدانوب التي سارت عليها قبلهم فصائل الفلاحين الفقراء .حتى وصلت القسطنطينية نهاية عام 1096[1].

وأسفرت الحملة الأولى عن احتلال القدس[2] عام 1099وقيام مملكة القدس اللاتينية بالإضافة إلى عدّة مناطق أخرى كانت تحت سيطرة الصليبيين، كالرها) أديسا (وإمارة أنطاكية وطرابلس بالشام.

ولعبت الخلافات بين حكام المسلمين المحليين دوراً كبيراً في الهزيمة التي تعرضوا لها، كالخلافات بين الفاطميين بالقاهرة، والسلاجقة الأتراك بنيقية بالأناضول وقتها.

وباءت المحاولات لطرد الصليبيين بالفشل كمحاولة الوزير الأفضل الفاطمي الذي وصل عسقلان ولكنه تراجع بعدها أمام الجحافل الصليبية التي استكملت السيطرة على بعض البلاد الشامية والفلسطينية بعدها.

---

1 - منتديات ستارتايمز، التاريخ العالمي الإسلامي، مقال بتاريخ 2005/5/18م.

2 - وقعت القدس في ايدي الصليبيين عام 1099م/492هـ وحصلت في المسجد الأقصى مجزرة عظيمة لم يفرق فيها الصليبيون بين الأطفال والشيوخ والنساء والشباب. (المصدر السابق نفسه).

الحملة الصليبية الثانية

بدأت الحملة الثانية عام 1147وانتهت عام .1192وكانت قد أعقبت فترة من الهدوء، دعا إليها برنارد دي كليرفو، وكان قادتها لـويس الـسابع ملـك فرنـسا وكـونراد الثالـث هوهنـشتاوفن إمبراطـور الجرمان)ألمانيا)، وهي أول حملة يشترك فيها الملوك، تعرضت فيها الجحافل الألمانية لضربة قوية تمثلت في الجوع والمرض بعـد هزيمـة لحقـت بهـا أمـام فـصائل الخيالـة التابعـة لـسلطان قونيـة الـسلجوقي جوار ضورليوم، كما منيت القوات الفرنسية بهزيمـة خطـرة بجـوار خونـة .أنهـك الـسلاجقة الـصليبيين بغاراتهم المتواصلة .وفي 24يونيو1147م تلاقى لويس السابع وكونراد الثالث ووصية العرش ميليـساندا مع أعيان القدس .ومضوا لحصار دمـشق الحـصينة، لأن فتحهـا كـان يبـشر بغنـائم وفـيرة .دام الحصار خمسة أيام (من 23إلى 27يوليو، لكنه فشل)[1] .وتخلى ملك القـدس بـودوان وبـارون طبرية عن مطلبهما بعد تدهور موقعهم العسكري بـسبب منـاورة عـسكرية أو لعلـه برشـوة قدمها لهـما الـوزير الدمـشقي معـين الـدين نـور .وفي عـام 491هــ1097/م؛ تجمعـت قـوات الصليبيين في القسطنطينية، وبعد أن تـم إعـدادها عـبرت البوسـفور إلى الـشام، ودارت بيـنهم وبين السلاجقة معركة عام 1097م، عند "ضورليوم"، هزم فيها السلاجقة، ثم استولى الصليبيون على أنطاكية في شمالي الشام، وأسسوا بها أول إمارة لهـم[2]، ثـم اسـتولوا عـلى الرهـا في إقلـيم

1 - قصة الحضارة، مرجع سابق، المجلد الرابع، الفصل 23، ص 5284.

2 - إمارة أنطاكية باللاتينية Principatus Antiochenus: هي دولة صليبية تأسست عام 1098 بعد استيلاء الصليبيين على مدينة انظاكية خلال الحملة الصليبية الاولى (1099-1096)، أصبح الأمير بوهيموند أول حكام إمارة أنظاكية، استمرت الإمارة حتى عام 1268 حينما سقطت بيد المماليك بقيادة الظاهر بيبرس. (قصة الحضارة، مرجع سابق، ص 6112).

الجزيرة الشمالي، وأسسوا إمارتهم الثانية[1] واتجهوا إلى مدينة القدس وبها بيت المقدس .وأمام أربعين ألف مقاتل، لم يستطع جيش الفاطميين فك حصارهم للمدينة الذي استمر شهراً كاملاً، ودخلوها في النهاية في 15يوليو سنة 1099م، وأقاموا فيها مذبحة قضوا على سكانها جميعاً رجالاً ونساءً وأطفالاً وكهولاً، واستباحوا مدينة القدس أسبوعاً يقتلون ويدمرون حتى قتلوا في ساحة الأقصى فقط سبعين ألفاً من المسلمين .ويذكر أن ريموند القائد الصليبي احتل "مَعَرَّة النعمان"، وقتل بها مائة ألفٍ، وأشعل النار فيها، ثم أقاموا دولتهم الكبرى المعروفة باسم مملكة القدس .

وفي هذه الحملة، ظلّت بعض مدن الشام الهامة مثل حلب ودمشق في أيدي المسلمين . لقد تم الاستيلاء على القدس، وشعر الصليبيون أنهم حققوا واجبهم الديني باستعادة المدينة المقدسة .وقد قسم الصليبيون هذا الإقليم إلى أربع إمارات :إمارة الرُّها 492هـ1098 /م، وتشمل أعالي نهري دجلة والفرات، وتقرب حدودها الجنوبية الغربية من حلب، وكانت عاصمتها الرها التي توجد في بعض الخرائط باسم إدريسّا .أما الثانية فهي إمارة أنطاكية، وتقع

---

1 - امارة الرها باللاتينية Comitatus edessanus اسسها الكونت بلدوين الأول في الرها عام 1098، وكانت واحدة من أهم الإمارات الصليبية في المشرق، وذلك لقوة تحصيناتها، ونظرا لما كانت تسببه من تهديدات وأخطار على المناطق الإسلامية المجاورة لها. (قصة الحضارة، المرجع السابق، ص 6134).

في الإقليم الشمالي جنوب غرب إمارة الرها .ثم تليها جنوباً إمارة طرابلس[1]وهي تقع في شريط ضيق على الساحل وهي أصغر هذه الإمارات .أما الرابعة فهي مملكة القدس، وتمتد حدودها الشرقية من قرب بيروت الحالية، ثم تتبع نهر الأردن حيث تتسع قليلاً، وتتجه جنوباً إلى خليج العقبة، وكانت عاصمتها القدس نفسها .

وكان لكل إمارة من هذه الإمارات أمير أو حاكم يحكمها، لقد استولوا على القدس، وها هو ذا نصرهم قد تم، وها هي ذي أوروبا كلها في فرح متزايد، ولكن الخلافات بينهم قد عادت كأشد ما تكون بعد أن تم لهم النصر.

معركة حطين

في 4 يوليو 1187 وقعت معركة حطين التاريخية والمحورية .حيث انتصر فيها السلطان صلاح الدين الأيوبي[2] سلطان مصر والشام .فحرر القدس في 2أكتوبر1187، الأمر الذي دفع بالبابا غريغوري الثامن إلى دعوة الحملة الصليبية الجديدة[3]

---

1 - إمارة طرابلس امتدت من الفترة (1109-1289) وهي آخر إمارة صليبية تأسست في بلاد الشام، وتقع في شمال لبنان، وخضعت لسلطة بيرتراند كونت تولوز تابعاً لمملكة بيت المقدس تحت سلطة الملك بالدوين الأول، واستمرت الإمارة إلى أن سقطت طرابلس بيد السلطان قلاوون سنة 1289.

2 - الملك الناصر أبو النظفر يوسف بن أيوب 589-532هـ 1193-1138م، المشهور بلقب صلاح الدين الأيوبي، قائد عسري أسس الدولة الأيوبية التي وحدت مصر والشام والحجاز بعد أن قضي على الخلافة الفاطمية، قاد عدة حملات ومعارك ضد الفرنجة وقد تمكن في نهاية المطاف من استعادة معظم أراضي فلسطين ولبنان بما فيها مدينة القدس.

3 - شبكة السرداب الإسلامية (موقع الكتروني)، غزوات ومعارك اسلامية.

الحملة الصليبية الثالثة

دعا إليها البابا غريغوريوس الثامن، عام 1187رداً على استرداد صلاح الدين للقدس وعودتها للمسلمين .وقاد الجيوش الصليبية ملك فرنسا فيليب أوغست، وريتشارد "قلب الأسد" ملك إنجلترا، وملك الجرمان)ألمانيا (فريدريك برباروسا .لكن برباروسا غرق في 1190في نهر اللامس، فتشردت صفوف قواته .أما الفرنسيون والإنجليز، فلم ينتهوا من الاستعداد للحملة حتى 1190، وفي الطريق عمل ريتشارد الأول على توسيع نفوذه في صقلية مما وتر العلاقات مع الملك الفرنسي وأضعف التحالف بينهما.

قام الصليبيون بحصار عكا التي استسلمت في 12يونيو 1191 وغادر فيليب عائداً إلى فرنسا، وجرت مذبحة بأمر ريتشارد وتحت قيادته في عكا .بعدها تمت محاولاته لاحتلال مدن أخرى .لكنها باءت كلها بالفشل، وفي عام .1192عقد الصلح مع صلاح الدين، واحتفظ الصليبيون بشريط ساحلي يمتد من صور إلى يافا، وسمح صلاح الدين للحجاج والتجار بزيارة مدينة القدس والأماكن المقدسة.

الحملة الصليبية الرابعة

دعا إليها البابا أينوقنتيوس الثالث في .1202وكانت خطة الصليبيين الأولية تتلخص في دفع القوات إلى مصر، لضرب القوة الإسلامية الكبرى في المنطقة . ثم شن الحرب منها باتجاه القدس .لكن البندقيين الذين تولوا أمر توجيه

وتوفير وسائل النقل والغذاء للحملة مقابل 85ألف مارك ذهبي، أثّروا في مسار الحملة ووجهوها إلى القسطنطينية عمداً، لأن الصليبيين لم يوفروا المبلغ المتفق عليه .وأسفرت الحملة عن تخريب وتدمير القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية ومركز الثقافة الإغريقية العريقة، ولم تتخذ البابوية إجراءات فعلية تجاه هذا الحدث .وكانت تلك الحملة تمثل انحطاط الحملات الصليبية التي أصبحت فيما بعد بحاجة إلى تبرير مقنع، بعدما كانت أمراً إلهياً باسم الكنيسة.

الحملات الصليبية الطفولية

حدثت في حدود عام 1212وكانت هذه الحركة شبيهة بحملة الفقراء الأولى قبل 1096م، يختلف حولها المؤرخون لقلة ما كتب عنها.

يرى بعض المؤرخين أن هاتين الحملتين لم تكونا سوى جموعاً من الأقنان والفقراء الذين استاءوا من الفشل الذي لاقته الحملات السابقة بقيادة الأسياد، وإن تسميتهم بالحملة الطفولية أو حملة الأطفال جاءت كاستعارة صورية لهذه الجموع .ولم تكن ترتبط حقيقة بكون المشاركين فيها من الأطفال .لكنها تصوير لفظي أصبح فيما بعد وهماً تاريخياً .ويرى البعض من المؤرخين أنها كانت حملتين اشترك فيها أعداد كبيرة من الأطفال، وان لم تقتصر عليهم.

مات العديد من المشاركين بسبب الجوع والظروف القاسية، وتفرقت الجموع وركب بعضهم السفن فوقعوا في أيدي القراصنة وبيعوا كعبيد في أسواق النخاسة .ولم يصل المشاركون في أي من الحملتين إلى الأرض المقدسة.[1]

الحملة الصليبية الخامسة

سعى البابا إنوسنت الثالث إلى بدء حملة صليبية جديدة عام 1213. فبدأ بحملة وعظ دامت حتى انعقاد المجمع اللاتيني الرابع عام 1215 الذي اتخذ سلسلة من الإجراءات التي تتعلق بتنظيم الحملات الصليبية .تحركت قوات مجرية وجنوب ألمانية بقيادة أندارش الثاني وقوات نمساوية، ووصلت إلى عكا؛ وتوقفت هناك حتى انضمت إليها قوات ألمانية وهولندية .فتوجهوا إلى مدينة دمياط في شمال شرق الدلتا بمصر على النيل .واستولوا عليها عام 1219. وتحت إلحاح نائب البابا أونوريوس الثالث والقاصد الرسولي بيلاجيوس استكمل الهجوم نحو المنصورة .وفي ذلك الوقت بالذات بدأ فيضان النيل . وفتح المصريون السد على النهر .وقطع المسلمون طريق التراجع على الصليبيين .وحاصرت قوات المسلمين الصليبيين بأعداد كبيرة .وغرق المئات بمياه الفيضان .ووقع الصلح في 30أغسطس 1221 لمدة 8سنوات، وكان على الصليبيين مغادرة دمياط، ونفذوا ذلك في أوائل سبتمبر من نفس العام ومنيت الحملة الصليبية الخامسة بالفشل الذريع[2]

1 - ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

2 - المرجع السابق نفسه.

الحملة الصليبية السادسة

قادها الإمبراطور فريدريك الثاني هوهنشتاوفن الألماني الذي أراد أن يحقق مقاصده دون أن يسحب سيفه من غمده في صيف 1228، ولم تحظ هذه الحملة بمباركة البابوية بل حرم الإمبراطور من الكنيسة لتأخره في تنفيذ نذره بأخذ الصليب .تفاوض فيها فريدريك مع السلطان الكامل مما أسفر في فبراير 1229عن صلح لمدة 10سنوات تنازل بمقابله السلطان عن القدس باستثناء منطقة الحرم، وبيت لحم والناصرة وقسم من دائرة صيدا وطورون)تبنين حالياً (وكانت الحملة الأولى التي لا تبارك انطلاقها البابوية.

الحملة الصليبية السابعة

أدت الهزيمة التي لحقت بفصائل الصليبيين عام 1244وخسارتهم التامة للقدس إلى ترتيب الحملة الصليبية السابعة، فقادها الملك الفرنسي لويس التاسع وتوجه بها إلى مصر واستمرت الحملة بين عامي 1248و1254، فسيطروا في البدء على دمياط ثم المنصورة، ولكن المسلمين بقيادة الملك المعظم توران شاه نجحوا في تدمير قواتهم وفي حصر بقاياها في المنصورة حتى استسلموا، ووقع لويس في الأسر حتى تم فديه عام 1250فعاد إلى عكا وبقي فيها 4سنوات قبل العودة إلى فرنسا بخفي حنين.

الحملة الصليبية الثامنة

انطلق في هذه الحملة لويس التاسع ملك فرنسا في عام 1270 بعد حوالي 3 سنوات من التأخير، وقد قام بها عدد قليل من البارونات والفرسان الفرنسيون، إذ أن فشل الحملات الجليّ وانحطاط سمعتها صدّهم عنها، حتى أن مؤرخ سيرة حياة لويس التاسع الذي رافقه في حملته السابقة رفض الانضمام إليه هذه المرة، ويروي هذا المؤرخ أن نبأ الحملة الجديدة كان مفاجئاً للغاية بالنسبة له شخصياً وبالنسبة للأشخاص الآخرين المقربين من الملك، وأنه أذهل البارونات، وكانت المعارضة مجمع عليها تقريباً واضطر الملك إلى شراء حماسة الأسياد بالمال، ونذر مع الملك النذر الصليبي أبناءه الثلاثة وبعض تابعي الملك الآخرين، واتفق على أن توجه الحملة نحو تونس.

بدأت المفاوضات مع المستنصر أمير تونس ولما نزل الصليبيون في تونس وصلت المفاوضات إلى طريق مسدود، وعندها انضم شارل الأول كونت أنجو، الأخ الأصغر للويس وملك مملكة نابولي .واستولوا على قلعة قرطاجة القديمة، ولكن وباء دب في صفوف الفرسان، وتوفي على إثره الملك وأفراد العائلة المالكة المرافقة باستثناء فيليب الابن البكر للملك الذي شفي، وفي نفس يوم وفاة الملك وهو 25أغسطس 1270 وصل أخوه شارل الأول، وخاضت قواته برفقة قوات لويس بقيادة خلفه فيليب بضع معارك ناجحة ضد قوات أمير تونس، وفي أول نوفمبر 1270 وقعت معاهدة صلح مع المستنصر ألزمته بدفع جزية مضاعفة إلى

ملك الصقليتين، كما شملت حقوقاً تجارية متبادلة، وبعد 17يوماً من التوقيع، ركب الصليبيون السفن وغادروا[1]

الحملة الصليبية التاسعة

بانتهاء الحملة الصليبية الثامنة ومقتل لويس التاسع اطمأن السلطان الظاهر بيبرس وحول استعداده من مواجهة تلك الحملة منطلقاً إلى طرابلس غير أن أميرها الصليبي آنذاك بوهمند طلب المسالمة والصلح لمدة عشر سنوات فاستجاب السلطان بيبرس إلى ذلك، ثم غزا السلطان بيبرس بعد ذلك قبرص التي كان ملكها آنذاك هيو الثالث من ألدّ أعداء الإسلام والمسلمين، وكانت بلاده قاعدة لانطلاق الحملات العسكرية البحرية إلى بلاد الشام، ولسوء الحظ تعرض الأسطول الإسلامي إلى عاصفة بحرية هوجاء، حطمت معظم سفنه عند شواطئ الجزيرة ..فتراجع عن احتلال قبرص[2]

كما حدثت حملات صليبية أخرى غير رئيسية منها:

- الحملة على الهراطقة الألبيجيين في جنوب فرنسا بين عامي1209 و1229.
- الحملة الصليبية على الإسكندرية بين عامي1365 و1369 بقيادة الملك بطرس الأول ملك قبرص.
- حملة نيقيا عام .1396

1 - ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

2 - ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

وفي القرن الرابع عشر حدثت أكثر من 50 حملة ضد البروسيين الهادينيشيين ومدينة ليتاور نظمها الحاكمون في مناطق ألمانيا، وفي القرن الخامس عشر حدثت 4حملات صليبية ضد الهوسيين التشيكيين، ومن 1443 إلى 1444 حدثت آخر حملة صليبية ضد الإمبراطورية العثمانية [1]

تأثير الحملات الصليبية

كان للحملات الصليبية تأثيراً كبيراً على أوروبا في العصور الوسطى، في وقت كان السواد الأعظم من القارة موحداً تحت راية البابوية القوية، ولكن بحلول القرن الرابع عشر الميلادي، تفتت المبدأ القديم للمسيحية، وبدأ تطور البيروقراطيات المركزية التي شكلت فيما بعد شكل الدولة القومية الحديثة في إنجلترا وفرنسا وألمانيا وغيرها.

كان تأثر الأوروبيين بالحضارة العربية والإسلامية كبيراً في فترة الحروب الصليبية، ولكن يرى العديد من المؤرخين أن التأثير الأعظم وانتقال المعارف الطبية والمعمارية والعلمية الأخرى كان قد حدث في مناطق التبادل الثقافي والتجاري التي كانت في حالة سلام مع الولايات الإسلامية، مثل الدولة النورمانية في جنوب إيطاليا ومناطق التداخل العربي ـ الإسلامي مع أوروبا في الأندلس ومدن الازدهار التجاري في حوض المتوسط كالبندقية وجنوه والإسكندرية، ولكن ما من شك بتأثر الأوروبيين بالعرب خلال الحملات الصليبية أيضاً، فكان تطور بناء القلاع الأوربية لتصبح أبنية حجرية ضخمة كما

1 - تاريخ أوروبا الحديث ، مرجع سابق، ص 324.

هي القلاع في الشرق بدلاً من الأبنية الخشبية البسيطة التي كانت في السابق، كما ساهمت الحملات الصليبية في إنشاء المدن (الدول) في إيطاليا التي استفادت منذ البدء من العلاقات التجارية والمبادلات الثقافية مع الممالك الصليبية والمدن الإسلامية.

الحروب الصليبية في الذاكرة الإنسانية

يرى الشرق أن الحروب الصليبية كانت حروباً استعمارية، وتترسخ في الذاكرة الجماعية دمويتها ، بالإضافة إلى كونها استغلالية انتهازية سعى قادتها من الفرنجة إلى تطويع إيمان البسطاء للسيطرة على ثروات ومقدرات الشرق ويرى المسلمون في شخصيات صلاح الدين والظاهر بيبرس أبطالاً محررين، بينما يرى الأوروبيون الشخصيات المشاركة في الحروب الصليبية أبطالاً مغامرين محاطين بهالة من القداسة، فيعتبرون لويس التاسع قديساً ويمثل صورة المؤمن الخالص في فرنسا، ويعتبرون ريتشارد قلب الأسد ملكاً صليبياً نموذجياً، وكذلك مكانة فريدريك بربروسا في الثقافة الألمانية.

كما ينظر إلى مسمى حملة صليبية في عديد من الثقافات الغربية نظرة إيجابية على أنها حملة لأجل الخير أو لهدف سامي ويعمم المصطلح أحياناً ليتخطى الإطار الديني، فقد ترد عبارات كـ«بدأ فلان حملة صليبية لإطعام الجياع[1]، كما استخدم المصطلح من قبل الرئيس الأمريكي جورج بوش

1 - ww.abp-history.com

لوصف ما أسماه الحرب على الإرهاب في 16سبتمبر 2001في عبارة مثيرة للجدل :

"This crusade, this war on terrorism is going to take a while".

أي (هذه الحملة الصليبية، هذه الحرب على الإرهاب سيستلزمها وقت)[1].

أما في الشرق فيستغل المصطلح اليوم لوصم جماعات أو تحركات بأنها ذات دوافع عقائدية وأهداف استغلالية، أو للحصول على شرعية دينية لمواجهتها؛ وذلك بربطها بالذكرى المشتركة القاتمة لدى الشرق لحروب الفرنجة، فقد استخدم المصطلح من قبل معمر القذافي لوصف عمليات حلف الناتو في ليبيا عام 2011 متهماً الرئيس الفرنسي نيكولا ساركوزي بشن (حرب صليبية جديدة) في أفريقيا وقائلا (نحن بوابة أفريقيا ترس أفريقيا درع أفريقيا .أفريقيا كلها وراءنا ومعنا، وتدافع عن الأمة الإسلامية وتدافع عن الإسلام أمام حملة صليبية أعلنها رئيس فرنسا بنفسه).

1 - كرر الرئيس الأمريكي جورش بوش هذه العبارة في اكثر من خطاب، بعد هجمات الحادي عشر من أيلول، ومن احدها خطابه بتاريخ 6 آذار 2012. (مركز الشرق العربي للدراسات الحضارية والاستراتيجية، 2010/1/26).

المبحث الرابع

حرب الثلاثين عاماً في أوروبا

حرب الثلاثين عاماً هي سلسلة صراعات دامية مزقت أوروبا بين عامي1618 و1648م، وقعت معاركها بدايةً، وبشكل عام، في أراضي أوروبا الوسطى)خاصة أراضي ألمانيا الحالية (العائدة إلى الإمبراطورية الرومانية المقدسة، ولكن اشتركت فيها تباعاً معظم القوى الأوروبية الموجودة في ذاك العصر فيما عدا إنكلترا وروسيا .في الجزء الثاني من فترة الحرب امتدت المعارك إلى فرنسا والأراضي المنخفضة وشمال إيطاليا وكاتالونيا .خلال سنواتها الثلاثين تغيرت تدريجياً طبيعة ودوافع الحرب :فقد اندلعت الحرب في البداية كصراع ديني بين الكاثوليك والبروتستانت وانتهت كصراع سياسي من أجل السيطرة على الدول الأخرى بين فرنسا والنمسا، بل ويعد هذا السبب الرئيسي في نظر البعض، ففرنسا الكاثوليكية ساندت الجانب البروتستانتي في الحرب لإضعاف منافسيهم آل هابسبورغ لتعزيز موقف فرنسا كقوة أوروبية بارزة، فزاد هذا من حدة التناحر بينهما، ما أدى لاحقاً إلى حرب مباشرة بين فرنسا وأسبانيا.

إلقاء ممثلي الإمبراطور من النافذة في براغ كان شرارة إشعال الحرب ولكنه لم يكن السبب الحقيقي لها.

وكان الأثر الرئيسي لحرب الثلاثين عاماً والتي استخدمت فيها جيوش مرتزقة على نطاق واسع، تدمير مناطق بأكملها تركت جرداء من نهب الجيوش،

وانتشرت خلالها المجاعات والأمراض وهلاك العديد من سكان الولايات الألمانية وبشكل أقل حدة الأراضي المنخفضة وإيطاليا، بينما أُفقرت العديد من القوى المتورطة في الصراع. وقد استمرت الحرب ثلاثين عاماً ولكن الصراعات التي فجرتها ظلت قائمة بدون حل لزمن أطول بكثير .انتهت الحرب بمعاهدة مونستر وهي جزء من صلح وستفاليا الأوسع عام 1648 م.

وخلال الحرب انخفض عدد سكان ألمانيا بمقدار 30 ٪ في المتوسط؛ وفي أراضي براندنبورغ بلغت الخسائر النصف، في حين أنه في بعض المناطق مات ما يقدر بثلثي السكان، وانخفض عدد سكان ألمانيا من الذكور بمقدار النصف تقريباً .كما انخفض عدد سكان الأراضي التشيكية بمقدار الثلث.

و قد دمَّر الجيش السويدي لوحده 2000قلعة و 18000قرية و 1500مدينة في ألمانيا، أي ثلث عدد المدن الألمانية.

و جاء في موسوعة "قصة الحضارة"[1] تحت عنوان" :إعادة تنظيم ألمانيا "(1648-1715)هبطت حرب الثلاثين بسكان ألمانيا من عشرين مليوناً إلى ثلاثة عشر ونصف مليوناً، وبعد عام أفاقت التربة التي روتها دماء البشر، ولكنها ظلت تنتظر مجيء الرجال .لأن الحرب أفرزت وفرة في النساء وندرة في الرجال .حتى عالج الأمراء الظافرون هذه الأزمة البيولوجية بالعودة إلى تعدد الزوجات كما ورد في العهد القديم .

1 - قصة الحضارة، وول ديورانت، المجلد الثامن، الكتاب الثالث، الفصل الرابع عشر، ص 1106.

وبالرغم من انتهاء الحرب في مؤتمر صلح)أوغسبورغ 1555م (وانتهاء العنف بين اللوثريين والكاثوليك في ألمانيا، إلا أن العديد من المشاكل ظلّت بلا حل :فقد اعتبر الصلح في الواقع مجرد هدنة مؤقتة لا سيما من جانب اللوثريين، إضافة لذلك بنيت بنود معاهدة على أساس الانضمام إما إلى المعتقد الكاثوليكي أو اللوثري مستبعدة جميع المعتقدات الأخرى، بما في ذلك الكالفينية[1]التي أخذت في الانتشار بسرعة في عدة مناطق من ألمانيا في السنوات التالية وأصبحت القوة الدينية الثالثة في المنطقة ولذا لم يدعم الكالفنيون بأي شكل من الأشكال بنود اتفاقية أوغوسبورغ.

في أوائل القرن السابع عشر زادت التوترات السياسية والاقتصادية بين الدول الأوروبية، فقد فتح عصر الاستكشاف الطريق إلى موارد العالم الجديد، وانتشرت نظريات جديدة مثل الاستعمارية الإمبريالية الاستعمارية بين النخب السياسية، في حين أن النشاطات القومية الأولى بدأت بالظهور في هذا العصر .هذا عدا تنامي الأطماع الشخصية والحسد العائلي.

كانت إسبانيا ترغب بلعب دور حاسم في الإمبراطورية الرومانية المقدسة ومهتمة بضم الولايات الألمانية حيث أنها كانت تسيطر على هولندا الإسبانية المجاورة لحدود دول ألمانيا الغربية وتسيطر أيضاً على دول داخل إيطاليا متصلة

1 - الكالفينية والمعروفة أيضاً بـ (اللاهوت المصلح) هي مذهب مسيحي بروتستاني يعزى تأسيسه للمصلح الفرنسي جون كالفن، وكان هذا الأخير قد وضع بين عاي 1536م و 1559 مؤلفه (مبادئ الإيمان المسيحي) والذي يعتبره الكثيرين من أهم ما كتب في الحركة البروتستانية (ويكيبيديا، الموسوعة الحرة).

براً عبر الطريق الإسباني .لذا ثار الهولنديون ضد السيطرة الإسبانية خلال ستينات القرن السادس عشر، مما أدى إلى حرب استقلال ممتدة قابلة أن تستأنف بانتهاء هدنة السنوات العشر عام 1621م .

وشملت الإمبراطورية الرومانية المقدسة ألمانيا الحالية وأجزاء من الأراضي المجاورة، وكانت مقسمة إلى مجموعة دول مستقلة ومحكومة بإمبراطور روماني مقدس بوصفه رئيساً لاتحاد الأمراء (أحد هؤلاء كانت عائلة هابسبورغ النمساوية)[1]، كما شملت أيضاً بوهيميا والمجر، وكانت القوة الأوروبية الرئيسية وتحكم أكثر من ثمانية ملايين نسمة .كما ضمّت الإمبراطورية عدة قوى إقليمية مثل بافاريا وساكسونيا وبراندنبورغ وبالاتينات وهسي وترير وفورتمبيرغ وتتكون كل منها من 500.000 إلى مليون نسمة .ويكمل الإمبراطورية عدد كبير من الدوقيات الصغيرة المستقلة والمدن الحرة والأديرة والأسقفيات واللورديات الصغيرة (سلطتها أحياناً لا تمتد إلى أكثر من قرية واحدة) .وباستثناء النمسا وربما بافاريا لم يكن أياً من تلك الكيانات يمتلك السيادة على مستوى السياسات الوطنية؛ بينما كانت التحالفات بين الدول ذات الصلة العائلية شائعة، ويعود ذلك جزئياً إلى التقسيم المتكرر لميراث الحاكم بين مختلف الأبناء.

1 - آل هابسبورغ ويشار إليهم أحياناً باسم آل النمسا، كانوا أحد أهم العائلات المالكة في اوروبا وتشتهر كونها مصدر الاباطرة المنتخبين رسمياً لحكم الإمبراطورية الرومانية المقدسة بين 1438-1740، وكذلك حكام الامبراطوريات النمساوية والاسبانية والعديد من البلدان الأخرى. (ويكيبيديا، الموسوعة الحرة).

و كان الصراع السياسي جارياً بين الأمراء الألمان وإمبراطور آل هابسبورغ الذي أراد للقب إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة ألا يكون صورياً وتراثا عائداً إلى القرون الوسطى بل ممثلاً لقوة مؤثرة على الأراضي التابعة "اسمياً "للإمبراطورية الرومانية المقدسة، فارضاً سيطرة آل هابسبورغ على كامل ألمانيا منجزاً ما فشل فيه تشارلز الخامس.

وردّاً على ذلك واصل هنري الرابع ملك فرنسا سياسة أسلافه المعادية لآل هابسبورغ، والتي عزَّزَها احتمال خروج الأسبان منتصرين من حربهم مع هولندا وسقوط ألمانيا تحت سيطرة الإمبراطورية، فقد يعني هذا سحقها بمحاصرتها من كل الجهات بالأملاك الهابسبورغية، وفرنسا كانت حريصة على ممارسة سلطتها ضد الدول الألمانية الأضعف، لقد اجتاز هذا القلق العائلي العقيدة، وأدى إلى مشاركة فرنسا في الحرب إلى جانب البروتستانت خلافاً لمذهبها.

كما أن السويد والدانمرك كانتا تطمحان للسيطرة على دول ألمانيا الشمالية المطلة على بحر البلطيق.

وظلّ التوتر الديني قوياً خلال النصف الثاني من القرن السادس عشر، وأخذ صلح أوغسبورغ بالانحلال بعدم تسليم العديد من الأساقفة لأسقفياتهم إلى الكاثوليك كما نصّت الاتفاقية وكذلك سعى بعض حكام إسبانيا وأوروبا الشرقية لاسترجاع نفوذ الكاثوليك في المنطقة .ويتضح ذلك من خلال حرب كولونيا (1583-1582)عندما تحول الأمير الأسقف لمدينة كولونيا إلى الكالفينية،

وحيث أنه كان ناخباً إمبراطورياً قام بتكوين أغلبية بروتستانتية في المجمع الانتخابي الذي ينتخب إمبراطور الرومانية المقدسة وهو وضع طالما كان للكاثوليك، فقام الجنود الأسبان بطرد الأسقف ووضعوا مكانه إرنست بافاريا الكاثوليكي .وبعد هذا النجاح الكاثوليكي طبق بند (cuius regio eius religio) [1] بشكل أكثر قسوة في بافاريا وفورتسبورغ والدول الأخرى، مما اضطر البروتستانت المقيمين إما إلى الرحيل أو الارتداد عن معتقدهم. كما شهد البروتستانت تحول لوردات بالاتينات (1560) وناساو (1578)وهيسي كاسل (1603)وبراندنبورغ (1613)إلى مذهب الكالفيني الجديد، وهكذا بدأ القرن السابع عشر بكون أراضي الراين وجنوباً حتى نهر الدانوب كاثوليكية إلى حد كبير، في حين أن اللوثريين سادوا في الشمال، وهيمن الكالفينيين في مناطق معينة أخرى مثل غرب وسط ألمانيا وسويسرا وهولندا، بيد أن الأقليات من كل عقيدة موجودة في كل مكان تقريباً .وفي بعض اللورديات والمدن كان عديد الكالفينيين والكاثوليك واللوثريون متساوٍ تقريباً.

وهنا سمح أباطرة آل هابسبورغ الذين أعقبوا شارل الخامس بالتعددية الدينية تفادياً لحرب أهلية واسعة النطاق، سبق وأن حدثت في فترة السياسة غير المتسامحة دينياً في إنجلترا عام 1534 إبان عهد هنري الثامن في مناطق حكمهم

1 - في اتفاقية وستفاليا westphalia تم إقرار مبدأ هام للغاية وهو ان الأمير يحسم دينة المقاطعة التي يحكمها، او بمعنى أدق: (cuius regio eius religio) أي (الرعية على دين ملوكهم)، وقد فتح هذا الاتفاق المجال امام تطور مفاهيم أساسية، وعلى رأسها مبدأ السيادة في شكلها التقليدي. (www.el-wasat.com)

دون إكراه، مما أدى إلى سخط الداعين إلى التوحد الديني)الكاثوليك غالباً .(في الوقت ذاته حاولت السويد والدنمارك اللوثريتان دعم البروتستانت في الإمبراطورية الرومانية طمعاً في مكاسب سياسية واقتصادية.

وفي عام 1606م اندلعت مواجهة دينية أخرى في مدينة دوناوفورت الحرة إحدى مدن ألمانيا التابعة للإمبراطور الروماني مباشرة في منطقة شفابيا، حيث حاولت الأغلبية البروتستانتية منع الكاثوليك من أداء موكب ديني مسببين اضطرابات عنيفة، مما استدعى تدخل ماكسيمليان الأول دوق بافاريا)1573-1651) مسانداً الكاثوليك لإعادة الوضع إلى حاله. هذه السلسلة من الأحداث أوجدت شعوراً، بالأخص عند الكالفينيين (الذين ظلوا أقلية)، بوجود مؤامرة كاثوليكية لاجتثاث البروتستانتية، وإزاء هذا التهديد المزعوم قاموا في عام1608 بتأسيس الاتحاد الإنجيلي بقيادة فريدريك الرابع) 1583– 1610) الذي تزوج ابنه فريدريك الخامس من إليزابيث ستيوارت ابنة جيمس الأول ملك انكلترا الذي يمتلك منطقة بالاتينات على طول الراين والذي كان ضرورياً لإسبانيا للدخول إلى هولندا .فرد الألمان الكاثوليك عام1609 بإنشاء الرابطة الكاثوليكية تحت قيادة ماكسيمليان الأول؛ عند هذه النقطة كان الوضع السياسي في ألمانيا على استعداد للدخول في مواجهة طائفية.

وبحلول عام 1617م بدا واضحاً أن الإمبراطور الروماني المقدس وملك بوهيميا ماتياس الثاني سيموت بدون وريث من صلبه، لذا عين في نفس العام أقرب أقرباءه الذكور ابن عمه فرديناند من ستيريا وليا للعهد (سيصبح ملك

بوهيميا والإمبراطور الروماني المقدس فيرديناند الثاني عام 1619 بعد وفاة ماتياس).

تلقى فيرديناند تعليمه على يد رهبان يسوعيين وكان كاثوليكياً متعصباً يريد فرض أحادية الدين على أراضيه .فجعله هذا مرفوضاً شعبياً في بوهيميا ذات الغالبية البروتستانتية الهوسية، وتسبب منعهم لبناء عدد من الكنائس البروتستانتية في ثورة عنيفة عام 1618 بلغت ذروتها عندما تم إلقاء اثنين من ممثلي الإمبراطور من نوافذ القصر الملكي في براغ بيد أنهما لم يصابا بأذى بالغ لسقوطهما على كومة من السماد العضوي، وأشعل هذا الحدث شرارة حرب الأعوام الثلاثين[1]

تنقسم حرب الثلاثين عام إلى أربع مراحل رئيسية:

- الثورة البوهيمية.
- التدخل الدنماركي.
- التدخل السويدي.
- التدخل الأسباني والفرنسي.

1 - ويكيبيديا ، الموسوعة الحرة.

الثورة البوهيمية من1618 حتى1625 م

لكونه دون ذرية سعى الإمبراطور ماتياس الثاني لضمان انتقال سلس للسلطة خلال حياته بتعيين ولي عهد من عائلته)الكاثوليكي المتعصب فرديناند من ستيريا، ولاحقاً فرديناند الثاني الإمبراطور الروماني المقدس (وانتخاب لعرشي بوهيميا والمجر الملكيين المفصولين .فتخوَّف بعض زعماء البروتستانت البوهيميين من فقدان الحقوق الدينية التي منحهم إياها الإمبراطور رودولف الثاني بالوثيقة المسماة "رسالة الفخامة ."كانوا يفضلون البروتستانتي فريدريك الخامس ناخب بالاتينات) خليفة فريدريك الرابع مؤسس رابطة الإتحاد الإنجيلي(ومع ذلك أيد بروتستانت آخرون موقف الكاثوليك فدعمت الدول البوهيمية تواجد القوات الكاثوليكية في أراضيها، وانتخبت فرديناند عام 1617حسب الأصول ليصبح ولياً للعهد وتلقائياً ملك بوهيميا القادم بعد وفاة ماتياس، بلغ الاحتقان حده بمنع ماتياس بناء بعض الكنائس البروتستانتية، ولمَّا أرسل الملك المنتخب اثنين من مستشاريه الكاثوليك (فيلهلم سلافاتا وياروسلاف بورزيتا (كممثلين له إلى قلعة هارادشاني في براغ مايو 1618، حيث اختارهم فرديناند لإدارة الحكومة في غيابه. فقبض البوهيميين الهوسيين عليهم وحاكموهم صورياً وألقوا بهم من نافذة القصر المرتفعة بأكثر من 20متراً .بيد أنهم نجوا دون أن يلحق بهم أذى بالغ لسقوطهم على كومة من السماد العضوي[1]

1 - قصة الحضارة ، مرجع سابق، المجلد الرابع، ص 1615.

أشعل هذا الحدث المعروف باسم الرمي الثاني من نافذة براغ، الثورة البوهيمية، وسرعان ما انتشرت في كافة أنحاء بوهيميا الكبرى أي بوهيميا وسيليزيا ولاوزيتس ومورافيا .وكانت مورافيا متورطة أصلاً في صراع بين الكاثوليك والبروتستانت.

كاد الصراع أن يبقى محلياً وما كانت الحرب لتستمر .لولا أن وفاة الإمبراطور ماتياس شجعت زعماء التمرد البروتستانت وهم الذين كانوا على وشك التوصل إلى تسوية .أدى ضعف كل من فرديناند)الآن أصبح رسمياً الإمبراطور (والبوهيميين إلى اتساع رقعة الحرب إلى ألمانيا الغربية .واضطر فرديناند لطلب المساعدة من ابن أخيه الملك فيليب الرابع ملك إسبانيا[1]

تهور البوهيميين من أجل الحصول على حلفاء ضد الإمبراطور، فطلبوا الانضمام إلى الاتحاد الإنجيلي والذي يقوده مرشحهم الأول لعرش بوهيميا الكالفيني فريدريك الخامس[2] ناخب بالاتينات وألمحوا له أنه سيكون كذلك لو سمح لهم بالانضمام للاتحاد وتحت حمايتها، وهي نفس الوعود التي قدمها

1 - فيليب الرابع Felipe IV (أبريل 1605-17 سبتمبر 1665) ملك إسبانيا بين 1621 و 1665، وذو سيادة في هولندا الإسبانية وملك البرتغال حتى 1640. عرف برعايته للفنون بما في ذلك الفنانين مثل فيلاسكيز دييغو حكمه إسبانيا خلال فترة حرب الثلاثين عاما. (1648-1618) (ويكيبيديا، الموسوعة الحرة).

2 - فريدريش الخامس بالألمانية Friedrich V: ناخب بالاتينات (1632-1610)، كان ملك بوهيميا 1620-1619 ونظرا لعهد القصير لقب بملك الشتاء، كان عضواً بارزاً في الرابطة البروتستانتية، وهي منظمة أسسها والده لحماية البروتستانت في الإمبراطورية. (ويكيبيديا، الموسوعة الحرة).

أعضاء آخرون من الدول البوهيمية إلى كارلو إمانويلي الأول دوق سافويا ويوهان جورج ناخب سكسونيا، وغابرييل بتلن أمير ترانسيلفانيا .ويكشف الدعم الكبير للبوهيميين خاصة في ساكسونيا انقسام النمساويين.

لذلك رجحت كفة البوهيميين عند بداية التمرد .فقد انضم لثورتهم الكثير من نبلاء النمسا العليا اللوثريين والكلفنيين، وما لبثت النمسا السفلى أن انتفضت عام 1619، وحاصر الكونت تورن بجيشه فيينا نفسها، وفي الشرق قاد أمير ترانسيلفانيا البروتستانتي حملة قوية إلى المجر بدعم من السلطان العثماني .بادر الإمبراطور الذي كان مشغولاً بحرب الأسكوك بإعداد جيش لوقف اجتياح البوهيميين وحلفائهم لكامل لبلاده .فهزم الكونت بوكوي قائد الجيش الإمبراطوري قوات من الإتحاد البروتستانتي بقيادة الكونت مانسفيلد في معركة سابلات في العاشر من يونيو1619. مما أدى لقطع اتصالات الكونت تورن مع براغ فتخلى عن حصار فيينا، كما تكلفت هزيمة سابلات البروتستانت حليفهم الآخر المهمّ كارلو إمانويلي الذي لطالما عارض توسع آل هابسبورغ .كان كارلو إمانويلي قد أرسل فعلاً أموالاً ضخمة للبروتستانت وحتى جنوداً إلى حامية القلاع في بلاد الراين، كشف أسر المستشار الميداني لمانسفيلد مشاركة دوق آل سافويا فأجبر على الخروج من الحرب.

رغم هزيمة سابلات، شكّل وجود جيش الكونت تورن قوة فعالة، وتمكّن مانسفيلد من إعادة تنظيم جيشه في شمال بوهيميا .وقعت النمسا العليا والسفلى التي ما زالت تحت سيطرة الثوار تحالفاً مع بوهيميين أوائل أغسطس .

وفي 17أغسطس1619عُزل فرديناند رسمياً عن عرش بوهيميا واستبدل فريدريك الخامس ناخب بالاتينات. في المجر ورغم نكث البوهيميين لوعودهم فيما يتعلق بالتاج استمر الترانسلفانيون في إحراز تقدم مدهش، وقد نجحوا في طرد جيوش الإمبراطور من البلد بحلول عام 1620، وفي تلك الأثناء، أرسل الأسبان جيشاً من بروكسل بقيادة أمبروسيو سبينولا لدعم الإمبراطور .إضافة إلى ذلك أقنع السفير الإسباني في فيينا الدون إنييغو فيليس دي أونياتي بروتستانت ساكسونيا بالتدخل ضد بوهيميا في مقابل الحصول على لاوزيتس، فغزا الساكسونيون البوهيميين ومنع الجيش الإسباني في الغرب قوات الإتحاد البروتستانتي من مساعدتهم .تآمر أونياتي لنقل اللقب الانتخابي من بالاتينات إلى دوق بافاريا مقابل دعمه والرابطة الكاثوليكية.

تحت قيادة الجنرال يوهان تسيركلايس كونت تيلي قامت قوات الرابطة الكاثوليكية)كان في صفوفها رينيه ديكارت (بتهدئة الأوضاع في النمسا العليا، في حين أن قوات الإمبراطور فعلت ذات الأمر في النمسا السفلى .وتحرك الجيشان المتحدان نحو شمال بوهيميا .وحقق فرديناند الثاني انتصارً حاسماً على فريدريك الخامس في معركة الجبل الأبيض[1]، ونتيجة لذلك ـ فضلاً عن كثلكتها ـ بقيت بوهيميا في قبضة آل هابسبورغ لما يقارب الثلاثمائة سنة.

---

1 - معركة الجبل الابيض وقعت في 8 نوفمبر 1620م، حيث التقى جيش مكون من حوالي 20.000 رجل من البوهيميين والمرزقة تحت قيادة كريستيان امير انهالت، بعدة جيوش مجتمعة هي جيش الإمبراطور الروماني فرديناند الثاني تحت قيادة تشارلز بنافيتور بوكو، وجيش الاتحاد الكاثوليكي بقيادة جوهان تزركليس دوق تيلي، التقى الجمعان في تشيكيا بالقرب من براغ وأدت المعركة الى نعاية الحقة البوهيمية من حرب الثلاثين عاماً.. (ويكيبيديا ، الموسوعة الحرة).

أدت هذه الهزيمة إلى انحلال رابطة الإتحاد الإنجيلي وفقدان فريدريك الخامس لأملاكه .فقد جردته الإمبراطورية الرومانية المقدسة من حقوقه وأعطيت أراضيه في بالاتينات الراينية إلى نبلاء كاثوليك .وأعطي لقبه ناخب بالاتينات لابن عمه البعيد ماكسيمليان دوق بافاريا .الآن بات فريدريك لا يملك أرضاً، وجعل نفسه منفياً معروفاً في الخارج، يبحث عن دعم لقضيته في السويد وهولندا والدانمرك.

كانت هذه ضربة قاصمة للطموحات البروتستانتية في المنطقة .وأكد انهيار التمرد ومصادرة الممتلكات على نطاق واسع وقمع نبلاء البوهيميين أن البلد ستعود إلى الجانب الكاثوليكي بعد أكثر من قرنين من الهوسية والتناحرات الدينية .أخذ الأسبان الساعين لتطويق الهولنديين بالتحضير لحرب الثماني سنوات بأرض فريدريك .انتهت المرحلة الأولى من الحرب في شرق ألمانيا في الحادي والثلاثين من ديسمبر عام1621 بتوقيع أمير ترانسيلفانيا والإمبراطور صلح نيكولسبورغ الذي أعطى ترانسيلفانيا عدداً من أراضي المجر الملكية.

يعتبر بعض المؤرخين الفترة ما بين عامي 1621-1625 جزءاً متميزاً من حرب الثلاثين عاماً تسمى بـ"مرحلة بالاتينات". بعد الهزيمة الماحقة للجيش البروتستانتي في جبل الأبيض ورحيل أمير ترانسيلفانيا هدأت أوضاع بوهيميا

الكبرى. ومع ذلك فان الحرب في بالاتينات تواصلت. تتكون هذه المرحلة من الكثير من المعارك الأصغر، ومعظم الحصارات قام بها الجيش الأسباني. سقطت مانهايم وهايدلبيرغ في عام 1622 ثم فرانكنتال بعد ذلك بعامين، مما جعل بالاتينات في قبضت الأسبان.

هربت بقايا الجيوش البروتستانتية بقيادة مانسفيلد وكرستيان من براونشفايغ إلى هولندا .ورغم أن وصولهم ساعد على فك حصار بيرغن أو زوم لم يكن بوسع الهولنديين توفير مأوى دائم لهم خوفاً من ملاحقتهم فيها ومن ثم فقدانهم لأراضيهم .فدفعوا لهم مقابل ذلك وأرسلوهم لاحتلال شرق فريزلند المجاورة .

بقي مانسفيلد في هولندا، ولكن كرستيان جاب الأرض من أجل مساعدة قريبه في دائرة ساكسونيا السفلى مثيراً حفيظة تيلي .مع أنباء عدم مساعدة مانسفيلد له تراجع جيش كرستيان مطرداً نحو الأمن على الحدود الهولندية .في السادس من أغسطس عام 1623 لحق بهم جنود تيلي الأكثر انضباطا على بعد 10 أميال من الحدود الهولندية. فاندلعت معركة شتاتلون التي هَزم تيلى فيها كرستيان هزيمة ساحقة مبيداً أكثر من أربعة أخماس جيشه الذي ضم حوالي 15000مقاتل .بعد هذه الكارثة أنهى فريدريك الخامس الموجود في المنفى في لاهاي تورطه في الحرب تحت ضغط متزايد من حماه جيمس الأول، متخلياً عن أي أمل في إطلاق المزيد من الحملات، لقد سُحق التمرد البروتستانتي[1].

---

1 - ويكيبيديا، الموسوعة الحرة

التدخل الدانماركي من 1625 إلى1629 م

كانت الدنمارك، بصفتها مملكة بروتستنتية، متخوفة من كون وجودها واستقلالها مهددين. وقد كان حاكم الدنمارك في فترة حرب الثلاثين عاماً، كرستيان الخامس) والذي كان دوق هولشتاين أيضاً(، قد وصل بدولته لمستوٍ عال من الثبات والأمن والاقتصاد المنتعش لم تصله أغلب دول أوروبا، كما أن نفوذه بدأ يقوى في الأراضي الألمانية.

بدأت فترة التدخل الدنماركي عندما قام كرستيان الخامس ملك الدنمارك والذي كان لوثرياً بإرسال جيش لمحاربة الإمبراطورية الرومانية دعماً للوثريي شمال ألمانيا .عين كرستيان الخامس مسؤولاً لجيشه في ساكسونيا السفلى)شمال ألمانيا (وزاد عدد جنوده 20000ألف مقاتلٍ في تلك المناطق .

بسبب هذه التحركات العسكرية، وازدياد نفوذ كرستيان في مناطق شمال ألمانيا، أرادت الإمبراطورية الرومانية المقدسة وضع حد للدنمركيين وإيقاف توغلهم في أراضي أوروبا.

بعد هذه الأحداث، طلب فيرديناند الثاني مساعدة عسكرية من أحد نبلاء بوهيميا وهو ألبرخت فان فالنشتاين .كان فالنشتاين رجلاً ذا نفوذ، وكان قد جمع ثروة طائلة بمصادرته أموالاً وعقاراتٍ من قبل البوهيميين أنفسهم، كما كان

عنده ما يتراوح بين 30ألف و 100ألف جندي .وافق فالنشتاين على مساعدة فيرديناند شرط أن تمنح للأول الأراضي الجديدة المحتلة[1]

رد الإمبراطورية الرومانية

فاجأت قوات فالنشتاين، مشتركة مع قوات الجنرال تيلي، قوات الملك كريستيان الدنماركي، الذي لم يكن يعلم بوجودها في الأصل، كما لم يسمع بتحركاتها نحو أراضيه؛ فاضطر كرستيان إثر ذلك إلى الانسحاب، ولم تجد محاولات كرستيان بالاستعانة بحلفائه، ففرنسا كانت تعيش حرباً أهلية، والسويد كانت تخوض حرباً ضد بولندا، وإنجلترا كانت تعيش فترة سيئة في تاريخها بسبب المشاكل الدينية والانقسامات بين البروتستانت من جهة وأيرلندا الكاثوليكية التي ترفض حكم الإنكليز وتسبب لهم المشاكل، فكانت مقسمة ضعيفة، وحتى المقاطعتان الألمانيتان، ساكسونيا وبراندنبورغ، فضلتا عدم التورط في الحرب والجنوح للسلم.

هزمت قوات فالنشتاين قوات مانسفيلد البروتسنتي في معركة جسر ديساو) 1626م) وخسر مانسفيلد أكثر من نصف جنوده ومات بعدها بعدة أشهر.

كما هزم الدنماركيون من قبل قوات الجنرال تيلي في معركة لوتر(1626) م[2]

---

1 - تاريخ أوروبا الحديث، مرجع سابق، ص 620.

2 - ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

سقوط الأراضي الدنماركية

قامت قوات فالنشتاين بالتحرك شمالاً تجاه مناطق الدانمركيين، فاحتلت (مكلينبيرج، وبومرانيا) [1] وهي مناطق ألمانية جنوب الدانمارك، حتى وصلت ليوتلاند أو شبه الجزيرة الدانماركية وسيطرت عليها، إلا أن تلك القوات لم تستطع الوصول إلى جزيرة زيلاند[2] حيث لم تكن تملك أي أساطيل بحرية تساعدها في الوصول إلى مبتغاها، كما أن مدن الرابطة الهانزية الموجودة في المنطقة لم تسمح لقوات فالدشتين ببناء أي أسطول على موانئها .اتجه فالدشتين إلى السواحل الألمانية على البلطيق حيث مدينة شتر السند الواقعة في أقصى شمال شرق ألمانيا، وذلك بعد أن يئس من تجاوب موانئ الدنمرك لمطالبه، بالإضافة إلى أن ميناء هذه المدينة يحوي المصانع والأدوات اللازمة لبناء أسطول بحري كبير كاف لأداء مهمة احتلال كوبنهاجن والجزر الدنمركية الأخرى، إلا أن

1 - بوميرانيا باللاتينية Pomerania، بالألمانية Pommern ، بالبولندية Pomorzee منطقة تاريخية وجغرافية تقع في شمال بولندا والمانيا على الساحل الجنوبي لبحر البلطيق، عاصمتها شتتن، أرضها زراعة منخفضة بها آلاف البحيرات.. (ويكيبيديا، الموسوعة الحرة).

2 - تعد جزيرة زيلاند (Seeland) أكبر جزيرة (7.031 من مربع) في الدنمرك، وترتبط بجزيرة فين (Funen) عن طريق جسر الحزام العظيم بالسويد عبر جزيرة اماجير (Amager) وجسر اوريند، وتقع عاصمة الدنمرك، كوبنهاغن، جزئياً على الشاطئ الشرقي لجزيرة زيلاند ويقع الجزء الآخر على جزيرة اماجير. (ويكيبيديا، الموسوعة الحرة).

بناء الأسطول البحري لم يكتمل إذ أن تكلفته كبيرة مقارنة مع الفائدة التي ستجنى إذا اكتمل غزو الدنمرك.

معاهدة لوبيك

أدت هذه الظروف إلى توصل الأطراف المتنازعة إلى اتفاقية لوبيك عام1629م، وتنص هذه الاتفاقية على استرجاع الملك كرستيان الخامس الأراضي الدنمركية مقابل تخليه عن نصرة البروتستانت في الأراضي الألمانية، وتوقفه عن التدخل في شؤون تلك الأراضي، وكنتيجة مباشرة لهذه المعاهدة ازداد نفوذ الكاثوليك في هذه مناطق الشمال الألماني.

في هذه الأثناء يمكن القول أن الحرب بدأت تضع أوزارها. إلا أن أفراد العصبة الكاثوليكية قاموا بإقناع فيرديناند الثاني باسترداد الممتلكات اللوثرية والتي كانت وفقا لصلح أبسبرج من حق الكاثوليك. قام فيرديناند بإصدار مرسوم إعادة الوضع عام1629 م (إعادة تنفيذ بنود صلح أبسبرج)، وعمل على استرداد 16 أسقفية ومئات الصوامع والأديرة. سقطت جميع أراضي ألمانيا عدا مدينة شترالسند التي صمدت بفعل الدعم الدنمركي ثم السويدي(1).

1 - تاريخ أوروبا الحديث، مرجع سابق، ص 703

التدخل السويدي من1630 إلى 1635م

في عام 1630 قرر ملك السويد غوستافوس أدولفوس[1] أن يتدخل في الحرب وقال لشعبه "كما تتبع الموجة موجة أخرى، كذلك سيأتي الطوفان البابوي إلى شطآننا "وأمر جنوده بالاستعداد للتحرك.

نزل على شاطئ ألمانيا الشمالي ووصل كبطل لينقذ البروتستانت وكان أكثر قوة من الملك كرستيان الدنمركي.

مرة أخرى تختلط المصالح الدينية بالدنيوية فقد كان ملك السويد ينوي السيطرة على الرابطة الهانسية وتحويل البلطيق لبحيرة سويدية واستطاع على الرغم من فقر بلده أن يزودها بجيش مجهز جيداً بالإضافة إلى الدعم من الكاردينال الفرنسي ريشيليو.

أصبحت في يد غوستاف أدولف القوة وكانت لديه المهارة التخطيطية ليغير مسار الحـرب فشن حملة على مدينة ماغدبورغ عندما احتلت من قبل الإمبراطوريين فأحرقت ونهبـت وقـدر الجنرال بابنهايم الذي احتل المدينة أن 20000شخص قتلوا، وكان هذا في مايو من العام 1631، انتصر غوستاف لاحقا في نصرين حاسـمين هـما معركـة برايتنفلـد في 17سـبتمبر 1631 ومعركـة لـوتزن في 16نـوفمبر 1632 ومـات فيهـا برصاصـة مـن الخلـف إمـا بالخطـأ أو مـن قبـل

1 - غوستاف الثاني ادولف (9 ديسمبر 1594-6 نوفمبر 1632)، ويعرف باسمه اللاتيني غوستافوس (الثاني) ادولفوس وبالسويدية Gustav Adolf den store، يعتبر اعظم ملوك السويد وأحد اهم الشخصيات البروتستانية، كما يعتبر في جميع المراجع العسكرية أبو الحرب. (ويكيبيديا، الموسوعة الحرة).

خائن. لكن تدخله هذا كان قد قلب الطاولة على الجميع فها هو فالنشتاين يتراجع نحو مقره الشتوي ويقوم بمفاوضات حيرت المؤرخين فقد حاول وضع نفسه كوسيط بين البروتستانت ومحكمة فيينا أكثر الإمبراطوريين تطرفاً الذين دعوا الأسبان للانضمام، وربما كان هذا بدافع وطني لتوحيد ألمانيا لكن اغتياله عام 1634ألغى كل خططه، ومع أن الإمبراطور لم يتورط بشكل مباشر في اغتياله إلا أنه كان قد كافأ قاتله.

التدخل الأسباني والفرنسي من1635 إلى 1645

ارتأت أسبانيا أن الأفضل لها أن تتحرك ضد هذه التهديدات المتواصلة فضربت البروتستانت عندما هزمتهم في معركة نوردلينغن في 5سبتمبر1634 وبعد موت فالنشتناين وغوستاف أدولف كانت السويد قد أصبحت قوة في ألمانيا على يد جنرالاتها بعد أن تولت كرستينا ابنة غوستاف أدولف الحكم بعد موته وهي طفلة في السادسة وفي عام 1642 انتصروا في معركة لايبزيغ الثانية وهددت بوهيميا والنمسا مركز أسرة هابسبورغ.

لكن الانتصارات أصبحت سويدية أكثر منها بروتستانتية مما أخاف كريستيان الرابع ملك الدنمرك من السويد القريبة أكثر من النمسا البعيدة فأعلن الحرب عليهم لكنه انهزم وتم غزو أراضيه مجدداً وأخذت منها يامتلاند وهالاند وجزيرتي أوسل قرب إستونيا وغوتلاند مما أدى لترك الدنمرك الحرب.

قررت فرنسا التدخل طالما أنها لم ترى أن الدعم كافٍ فعبرت قواتهم الراين لتشترك في النزاع وتلاحمت مع الجيوش الأسبانية في روكروا في

19مايو1643 لتقوم بتحطيم قوة مشاتها التي لا تقهر، ثم وقع صدام بين الإمبراطوريين والبروتستانت في معركة يانكوف في بوهيميا يوم 5مارس 1645 كان النصر فيها للبروتستانت.

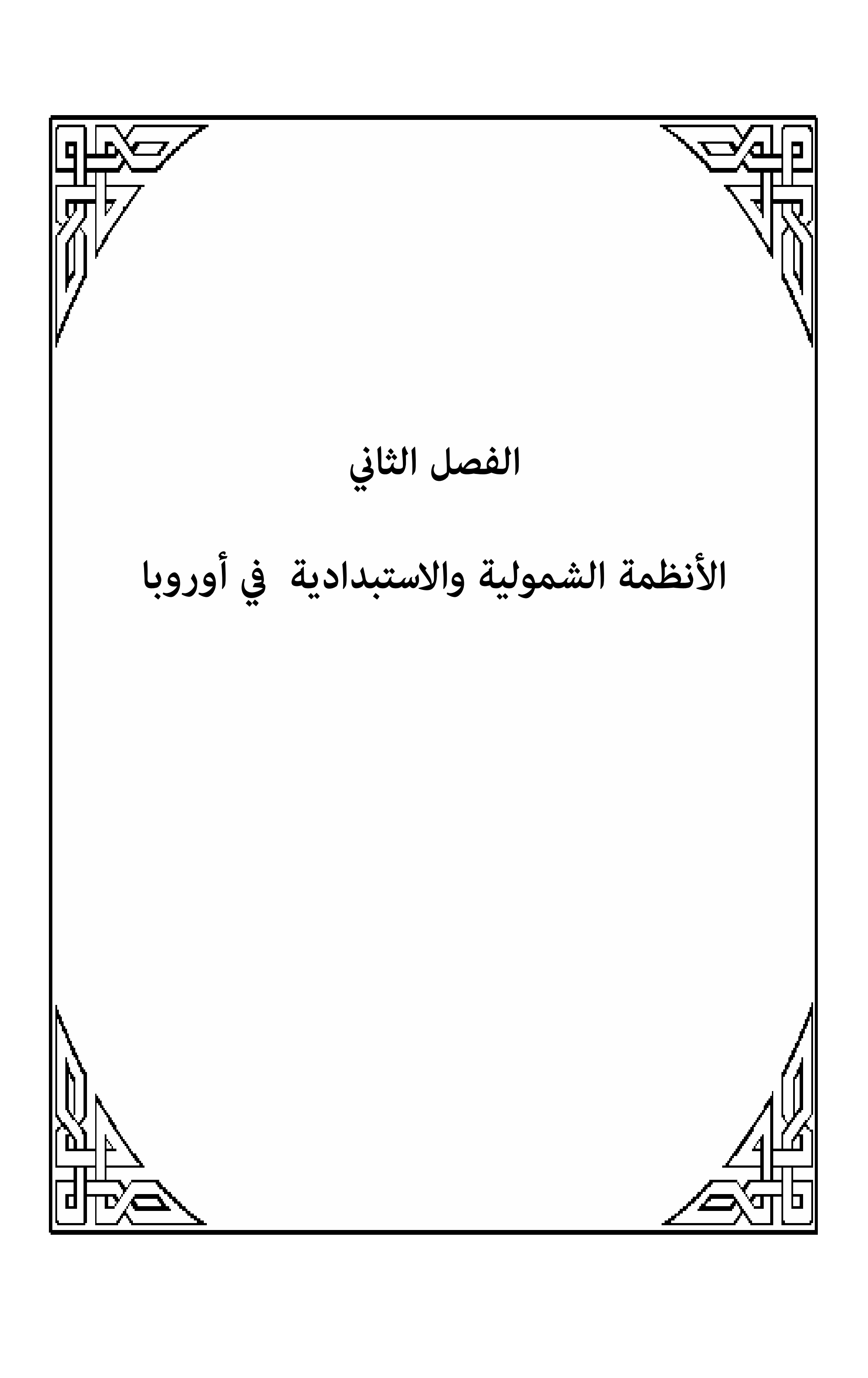
كانت الدنمرك قد استسلمت وأعلنت اتفاقية سلام منفردة مع السويد في1645 تدعى اتفاقية برومسبرو ومات كريستيان ملكها بعد ثلاث سنوات عام1648 في حكم استمر على بلاده استمر 59عاماً. وفي نفس السنة أعلن صلح وستفاليا منهياً الحرب بهزيمة هابسبورغ وانتصار السويديين والفرنسيين.

نهاية الحروب الدينية

مع عام 1648 بدأ تأثير الحروب الدينية بالانتهاء، ومع أن الدين ظلّ لفترة من الوقت يُستخدم كحافز للجنود إلا أنه ومنذ القرن السابع عشر لم تشن حرب بسبب الدين في أوروبا و مع أن الدولة المدنية قد أعلنت في الدول الإسلامية إلا أنه لا تزال فكرة الجهاد تسيطر على الكثير من الحروب في المناطق الإسلامية مثل الحرب في لبنان ضد الاجتياح الإسرائيلي والجهاد ضد السوفيت في أفغانستان والقتال في الشيشان ضد الروس.

إن الحروب الدينية في حقيقة الأمر لم تنتهِ وإنما كانت نهاية لمرحلة من مراحلها، وبدء صفحة أخرى حيث انتقلت بعد ذلك إلى شمال أفريقية ثم عادت من جديد على شكل تحالف دول أوروبا ضد الدولة العثمانية وما تزال الدوافع الدينية مستمرة إلى يومنا هذا ولكن بأشكال وأساليب مختلفة[1].

1 - تاريخ أوروبا الحديث، مرجع سابق، ص 735.



الفصل الثاني

الأنظمة الشمولية والاستبدادية في أوروبا

الفصل الثاني

الأنظمة الشمولية والاستبدادية في أوروبا

مقدمة:

قبل الحديث عن الأسلوب المركزي المتبع في الأنظمة الشمولية والاستبدادية وأنواعها بشكل عام لا بد من تعريف هذا النوع من الأنظمة، وباختصار فإنه نظام يعتمد على حصر السلطات والصلاحيات السياسية والإدارية بيد الحاكم أو الملك بشكل مطلق وإصدار القوانين والتشريعات اللازمة بما يعزز تكريس السلطة بيد الحاكم واختلاف موجبات تشريع تلك القوانين وإيجاد المسوغات اللازمة لذلك وعادة ما تكون تلك المبررات لظروف خارجية تحتم ذلك، أو مستلزمات النهوض الداخلي لبناء الدولة الديمقراطية التي تعتمد على مبدأ الفصل بين السلطات في إطار الدولة الموحدة وتميز بين المركزية السياسية التي تعني احتكار مركز القوة في الدولة لمظاهر السلطة السياسية وامتيازاتها ومن ثم احتكار سلطة الأمر الذي يعني الانفراد في السلطة[1] أي سلطة صياغة القرارات وأوامر تنفيذها وبالتالي فإن المركزية ما هي إلا سلطة جزئية تابعة للسلطة المركزية السياسية، ولقد مرّ تسمية الأنظمة الاستبدادية في أوروبا بعدة مراحل وتسميات حتى استقرت تسميتها على

1 - محمد طه البدوي، أصول علم السياسة، المكتب العربي الحديث،2011، ص175.

الأنظمة الشمولية أو الديكتاتورية. فقد كان نظام القياصرة الرومان خلال الأزمات التي تستدعي حل مؤسسات الدولة مؤقتاً ثم يتم انتخاب بمجلس قنصلي يجمع السلطات في يده وينفرد بالرأي ليقوم بحل الأزمات المطروحة خلال فترة زمنية تنتهي بعدها صلاحية هذا المجلس وكان الخوف دائماً متأتي من تمديد فترة حكم المجلس القنصلي فيؤدي إلى حكم استبدادي لا ينتهي. أما مفهوم الديكتاتورية فقد كان غائباً عن الاستخدام تقريباً حتى مجيء ديكتاتوريات القرن العشرين وقامت بإحياء هذا المصطلح وبشكل خاص بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية إذ تم اعتبار نظم الحكم القائمة على الشمولية والقمع نظماً ديكتاتورية.

وقديماً لم تكن هناك ديكتاتورية للنظام والمؤسسات بل كان هناك الديكتاتور الحاكم المستبد الفرد، ونظام حكم الديكتاتور الروماني كان قانونياً ولم يكن له مؤسسات ديكتاتورية تابعة له ولذلك يمكن اعتبار الديكتاتورية في عهد الرومان مثل حكومة مؤقتة مهمتها حل أزمة محددة. وفي عصر النهضة الأوروبية صار الحكم الاستبدادي يستند إلى مؤسسات كاملة. والاستبداد كتعبير قديم هو ما يعني الديكتاتورية الحديثة وقد استعمل مصطلح الاستبداد في زمن الإمبراطوريات، بينما مصطلح الديكتاتورية أطلق على الأنظمة الجمهورية ويعتبر النظام السياسي نظام ديكتاتوري عندما تكون كل الصلاحيات مجتمعة في يد الحاكم. وفي القرن التاسع عشر عندما استخدم ماركس ولأول مرة تعبير

ديكتاتورية البروليتاريا[1] وهي الطبقات الدنيا أو الفقيرة في المجتمع وبذلك كان يعني دعوة للطبقات الفقيرة في المجتمع على استخدام القوة في تحقيق أهدافها ووصولها للسلطة بالثورة المسلحة على الأنظمة المستبدة، وهناك من أشار إلى أن تعبير الديكتاتورية السلبي بمعنى القهر والظلم بدا استخدامه بعد الحرب العالمية الأولى وقد تطور استخدامه حتى أصبح مرادفاً لمفهوم الاستبداد والحكم المطلق.

1 - ديكتاتورية البروليتاريا: هي السيطرة السياسية والاقتصادية للطبقة العاملة على وسائل الإنتاج وأجهزة الدولة من خلال من خلال مجالسها العمالية ومدوبيها المنتخبين. وتلك السيطرة العمالية لا يمكن أن تتحقق إلا بإرادة الطبقة العمالية أي لا يمكن أن تتحقق إلا بثورة العمال أنفسهم. فالسلطة العمالية هي التحرير الذاتي للطبقة العاملة. (ويكيبيديا، الموسوة الحرة).

المبحث الأول

الفاشية في إيطاليا

ترجع كلمة فاشية ـ كمصطلح أو مفهوم سياسي ـ إلى نهاية القرن التاسع عشر على الأقل وذلك حين ظهرت في صقلية جماعات تعرف بفاشيي إيطاليا وكان هدفها مناهضة النظام الإقطاعي، وعلى الرغم من أن الكثيرين منا يعتقدون أنه قد انتهى كمفهوم سياسي معمول به في نظم بعض الدول وذلك بنهاية الزعيم والأب الروحي للفاشية بينتو موسوليني 1883-1943 بعد سقوطه في الحرب العالمية الثانية، إلا أن هذا المصطلح قد عاد مرة أخرى يجوب في الأوساط السياسية عندما سمعنا البعض يتهم حكومات الشرق الأوسط بأنها حكومات فاشية ويجب القضاء عليها وتحرير شعبها من القمع الذي تعاني منه!!! لذا كان لزاماً علينا أن نتحدث عن الفاشية كمفهوم وحركة سياسية.

الفاشية المعنى والأصل

ترتبط كلمة فاشية Fascismo في المصطلح السياسي المعاصر بكل نظام شمولي رجعي يقوم على العنف، وسيطرة نظام الدولة القمعي، ولكن العجيب أن الأصل التاريخي أو الحقيقي لكلمة الفاشية غير معناها الذي اكتسبته الآن تماماً، فقد اشتقت كلمة فاشية وفاشي من كلمة Fascio باللغة الإيطالية ـ وتعني حزمة الأغصان أو الأفرع ـ وعادة ما تقترن في تعريفها الأصلي بكلمة (Littorio) وهي العلامة أو الشارة ذات الأصل الأتروسكي غالباً وهي شعوب

جنوب ووسط إيطاليا في القرن السابع قبل الميلاد وكانت عبارة عن حزمة من الأغصان أو الأفرع مربوطة مع فأس قتال بحزام ويحملها ضباط أو موظفون كانت مهمتهم هي مرافقة مواكب القضاة في روما القديمة ويدعون (Littori) وكانت هذه الشارة ترمز إلى السلطة المطلقة وهي السلطة الممنوحة لديكتاتور روما في فترة الجمهورية حيث يتم تعطيل سلطة السناتور "مجلس الشيوخ" وذلك عند تعرض البلاد لخطر خارجي داهم، وتنتهي هذه السلطة بزوال الخطر الداهم.

وكما نرى فإن كلمة فاشي أو فاشية وإن عبرت عن سلطة مطلقة قهرية تمنح لفرد واحد إلا أنها اقترنت بفترة زمنية محددة لم تتجاوز العامين ـ وتلك هي فترة حكم أي ديكتاتور في روما القديمة في أغلب الأحوال ـ كما أنها خلت من أية مضامين أو مفاهيم سياسية أو أيديولوجية.

ولكن بعد ذلك ارتبطت كلمة فاشية ـ تاريخياً ـ بالدولة الشمولية الـتي قامت في إيطاليا مهد الفاشية في العالم، واقترن اسمها بشكل خاص بزعيم الحركة ومؤسسها ورئيس وزراء إيطاليا لعشرين عاماً متواصلة موسوليني.

الزعيم الفاشي

مادمنا سنتحدث عن الفاشية لابد لنا من الحديث عن "موسوليني"، فمن خلال استعراض قصة "موسوليني" نستطيع أن نتتبع خطوات صعود الفاشية إلى السلطة لتصبح موجهاً لسياسة دولة استعمارية كبرى بأكملها.

ولد "موسوليني" في بلدة بريدابيو بالقرب من فورلي عام 1883 وبتأثير من والده الذي كان يعمل حداداً بسيطاً، اقترب في صباه من الاشتراكية، وفي عام 1902 نزح إلى سويسرا هرباً من أداء الخدمة العسكرية وظلّ هناك حتى عام 1904 حيث تشكل وعيه السياسي كاشتراكي، عاد بعدها إلى إيطاليا ليمارس مهنة التدريس قبل انخراطه في السلك الصحفي وأدار جريدة أسبوعية اسمها "مستقبل العامل". ومن العجيب أنه عام 1911 قد شارك في العديد من المظاهرات التي قامت ضد الاحتلال الإيطالي لليبيا آنذاك، مما أدى إلى الحكم عليه بالحبس لمدة خمسة أشهر، بعدها بدأ اسم "موسوليني" يلمع كأحد الاشتراكيين البارزين حتى أصبح مديراً لجريدة أفانتي (Avanti) ولكن تم فصله بعد ذلك منها نتيجة تأييده دخول إيطاليا للحرب العالمية الأولى على الرغم من موقف اليسار الرافض للحرب. ولكنه بعد ذلك أسس جريدة مستقلة بعنوان "الشعب الإيطالي"، تطوع في الجيش برتبة عريف وحصل على وسام الشجاعة بعد إصابته في إحدى العمليات[1].

1 - الموسوعة الحرة، ويكيبيديا.

أصحاب القمصان السود

تأسس الحزب الفاشي الاشتراكي على يد "موسوليني" عام 1919 في مدينة ميلان، وكان قوام الحزب الفاشي عدداً من الاشتراكيين المنشقين وكان البرنامج السياسي للحركة "قومي/معادي لليبرالية/اشتراكي"، وقد طالبت الحركة بوضع حد أدنى للأجور وتحديد ساعات العمل 8 ساعات يومياً "وهو الأمر المعمول به في مختلف الدول الغربية"، ومع تزايد الخطر الأحمر الشيوعي واحتمالات وصوله للسلطة خاصة بعد نجاح ثورة أكتوبر الشيوعية في روسيا. ومع انتشار حالة من الفوضى السياسية في إيطاليا أخذت الحركة الفاشية تكسب أرضاً وأنصاراً جدداً، وكان ممن جندتهم الفاشية أيضا أبناء الطبقة المتوسطة الذين نظروا بعداء شديد تجاه النظام البرلماني القائم الفاسد. وعلى الرغم من وجود قاعدة شعبية للفاشية، ساعد عليها توجس الحكومة والملكية في إيطاليا "فيكتور عمانويل الثالث"[1] من سيطرة اليسار والشيوعيين على السلطة إلا أنها لم تحرز نصراً في انتخابات 1919-1920 التي سيطرت عليها الحركات اليسارية والاشتراكية بمختلف اتجاهاتها، إلا أن هذا لم يمنع "موسوليني" من الوصول إلى مقعد البرلمان كنائب عام 1921.

1 - فيكتور عمانويل الثالث بالإيطالية Vittorio Emanuele III، آخر ملوك مملكة إيطاليا، وابن الملك أومبيرتو الأول، ولد في 11 نوفمبر 1869، في مدينة نابولي في إيطاليا وتوفي في 28 ديسمبر 1947 بمدينة الاسكندرية في مصر ودفن بها. (الموسوعة الحرة، ويكيبيديا).

ونتيجة لذلك ظهرت فرق خاصة تعرف باسم (squadre) والتي مارست العنف على نطاق واسع ضد أعداء الحركة الفاشية والشيوعيين بشكل خاص، وفي ظل تلك الصورة القاتمة من تهاون السلطة البرلمانية في الرد على عنف الفاشية وانقسام الاشتراكيين على أنفسهم والخوف من تكرار ثورة أكتوبر الشيوعية، قفز "موسوليني" إلى السلطة عام 1922 إذ قام بالزحف بفرق الفاشية المسلحة ـ التي اتخذت من القميص الأسود رداء لها (Le Camice nere) أو أصحاب القمصان السوداء ـ في 28 أكتوبر 1922 نحو روما وقامت بإسقاط الحكومة القائمة، وتسلم "موسوليني" أمراً لتشكيل الحكومة الجديدة من الملك "فيكتور عمانويل الثالث".

هكذا صعدت الفاشية إلى السلطة في إيطاليا لتفتح صفحة جديدة في الحكم وأساليبه، ليس فقط في إيطاليا، بل في أوروبا كلها.

موسوليني دائماً على حق

اعتمد الحكم الفاشي على الاستبدادية المطلقة في إدارة شؤون السياسة الداخلية، وخلال أقل من عامين تخلص "موسوليني" كرئيس الوزراء من كل منافسيه ومعارضيه في البرلمان، على طريقة المافيا فمارس الخطف والقتل، وعمد إلى ما يشبه تحويل المجتمع الإيطالي إلى حزب فاشي كبير؛ فألغى كافة التجمعات النقابية أو على الأقل صار عليها أن تعبر عن نفسها من خلال قنوات شرعية "فاشية بالطبع!!!!"، وامتلأت الشوارع بالشعارات الفاشية، أشهرها كان "موسوليني دائما على حق" وبذلك استطاع "موسوليني" أن يلعب، ليس فقط على

الجانب السياسي، ولكن أيضاً على الجانب النفسي الذي استطاع أن يستغله أحسن استغلال.

حتى الأغاني كانت تعبر عن الحماس "هلموا للسلاح يا رفاق الفاشية نحن أعضاء الفاشية...قضيتنا سنساندها حتى الموت وسوف نناضل... من أجل عدالة قضيتنا.... هؤلاء البلاشفة... أعداؤنا اللدودون موقنون من خسارتهم... وإنهم ليرتجفون لمجرد سماع صرخاتنا."

ونظرا لولع "موسوليني" باستلهام الرموز القديمة التاريخية، ولا سيما المرتبط منها بمجد الإمبراطورية الغابرة، انتحل لقب دوتشيه (Duce) المأخوذ عن كلمة دوكس الرومانية اللاتينية والتي تعني الزعيم أو القائد، وهو لقب يقترن عادة باسم "موسوليني" عند كل من كتب عنه، بل وأصبحت تلك العادة مقترنة بأي ديكتاتور أراد أن يحذو حذو "موسوليني" ومن أقربهم عهداً له كان هتلر حين اتخذ لقب "الفوهرر" أو الزعيم بالألمانية لدى وصوله للسلطة في ألمانيا عام 1933 وكان شديد الإعجاب بـ"موسوليني".

بعد ذلك بدأ "موسوليني" ، وقد رأينا كيف أن "موسوليني" الاشتراكي عارض العدوان الإيطالي على ليبيا، بالتوسع في الرقعة التي سيطر عليها الفاشيون في ليبيا من خلال القمع الوحشي لحركات المقاومة الوطنية، والتي خمدت بالإيقاع بالزعيم الليبي "عمر المختار"، فكان عام 1936 هو عام إعلان الإمبراطورية الإيطالية رسميا بالغزو الفاشي لإثيوبيا، والذي يقول فيه:

"أيها الرفاق... أخيراً صار لإيطاليا إمبراطورية ومن الآن فصاعداً، سأضيف لألقاب ملك إيطاليا لقب إمبراطور ليتوارثه أبناؤه من بعده، وسوف يدافع الشعب الإيطالي عن إمبراطوريته بأسلحته وأسنانه"[1].

بداية النهاية

مع نشوب الحرب العالمية الثانية عام 1939 أعلن الزعيم الداهية حياد إيطاليا، على الرغم من التحالف المعقود قبل ذلك بسنوات بين إيطاليا وألمانيا، إلا أن ضغوط "هتلر" المتزايدة ونجاح القوات الألمانية المذهل في غزو معظم أوروبا في وقت قياسي؛ دفعا "موسوليني" لدخول الحرب مع ألمانيا.

كانت تلك هي بداية النهاية التي ربما شعر بها "موسوليني"، وفي أقل من عامين منيت الفاشية بعدة هزائم أفقدتها مستعمراتها في إفريقيا الشرقية.

في يوليو 1943 حطت القوات البريطانية والأمريكية على ساحل صقلية لتبدأ زحفها على إيطاليا من جهة الجنوب وهو نفس الشهر الذي شهد تجريد "موسوليني" من سلطاته على يد أعضاء الحزب الفاشي نفسه والتحفظ عليه، بعدها بشهرين أعلنت إيطاليا في 8 سبتمبر من نفس العام انتقالها من معسكر المحور إلى معسكر الحلفاء.

---

1 - http:// www.startimes.com

ولم تتوقف محاولات هتلر لإنقاذ حليفه موسوليني ـ المبهور به ـ حتى نجح في إنقاذه من سجنه بعملية عسكرية ليضعه على رأس جمهورية في شمال إيطاليا عرفت باسم الجمهورية الإيطالية الاشتراكية، إلا أن إعادة وضع "موسوليني" في السلطة كانت أشبه بعملية تنفس صناعي لجسد فارقته الحياة، إذ فقد بريقه و"كاريزميته" التي ميزته طوال عشرين عاماً هي مدة حكمه للنظام الفاشي، وكأن المصائب لا تأتي فرادى، فقد دخلت البلاد على مدى عامين في حرب أهلية بين معسكر مناوئ للفاشية والنازية وآخر مؤيد لها. من ثم فقد لقي "موسوليني" مصرعه في 8 أبريل 1945 على يد رجال المقاومة الإيطالية مع عدد صغير من أنصاره أثناء محاولته الهرب إلى سويسرا.

أما من وجهة النظر الاقتصادية كان هذا النظام يعمل على تكوين نقابات من العمال وأرباب العمل، ويفترض بأعضاء هذه النقابات أن يكونوا كلهم من الحزب الفاشي .كما يسعى لإيجاد نوع من التعاون بين الطبقات يؤدي لتحقيق السلام الاجتماعي، ولهذا فهو لا يؤمن بحق الإضراب ولا يستهدف القضاء على الرأسمالية الوطنية.[1]

ويرى أنصار هذا المذهب بأن تدخل الدولة يجب أن يكون فقط عند عدم كفاية المشروعات الفردية .وبأن يأخذ هذا التدخل شكل الرقابة أو تحسين النوعية أو الإدارة المباشرة للمشاريع الاقتصادية في حالة عجز أفرادها عن إدارتها، وهذا يعتبر شكل من أشكال الحكومات التي يرأسها دكتاتور، وغالباً ما

1 - www.sh3r.net المكتبة السياسية.

تنم عن سيطرة الحكومة سيطرة تامة على النشاطات السياسية والاقتصادية والدينية والاجتماعية.

وتشمل المظاهر الأخرى للفاشية التطرف الوطني، والسياسات النازعة للعسكرية، والتوسّع، والغزو واضطهاد الأقليات حتى أصبحت كلمة فاشية، صفة أيضًا لكل نظام حكم، أو مفهوم سياسي، يشبه حكم بنيتو موسوليني، وأدولف هتلر وسياساتهما .

الحياة في ظل الفاشية

الحياة السياسية

يأتي الفاشيون إلى السلطة -في أغلب الحالات -على إثر حدوث انهيار اقتصادي بالبلاد أو هزيمة عسكرية أو كارثة أخرى .ويكسب الحزب الفاشي تأييدًا شعبيًا لما يبذله من وعود بأنه سينعش الاقتصاد، وسيسترد كرامة البلاد .وقد يستغل الفاشيون خوف هذه الشعوب من الشيوعية أو الأقليات . ونتيجة لذلك قد يستحوذ الفاشيون على السلطة عن طريق انتخابات سلمية أو عن طريق القوة.

بعد أن يستولي الحزب الفاشي على السلطة، يتسلم أعضاؤه الوظائف التنفيذية والقضائية والتشريعية في الحكومة .وفي أغلب الحالات يتولى رئاسة الحكومة شخص واحد، وغالبًا ما يكون ذا نزعة استبدادية وجاذبية لدى

الجماهير .وأحيانًا، تتولى قيادة الحكومة هيئة من أعضاء الحزب .ولا يسمح الفاشيون بقيام حزب آخر أو معارضة لسياستهم.

يؤدي شغف الفاشيين بتمجيد الوطنية إلى ازدياد الروح العسكرية .وقد يجنحون، عندما تزداد القوات المسلحة قوة، إلى غزو بلاد أخرى واحتلالها.[1]

الحياة الاقتصادية

تسمح الفاشية، بل وتشجع النشاط الاقتصادي الخاص، ما دام يخدم أهداف الحكومة .بيد أن الفاشية تسيطر سيطرة تامة على الصناعة للتأكد من أنها تنتج ما تحتاجه البلاد .وتعوق الحكومة الاستيراد بوضع رسوم جمركية عالية على بعض المنتجات الضرورية، أو بحظر استيرادها؛ ذلك أنها لا تريد الاعتماد على بلاد أخرى في المنتجات الحيوية، كالنفط والفولاذ .

وتحظر الحكومة أيضاً الإضرابات؛ حتى لا يضطرب الإنتاج .وتحرم الفاشية النقابات العمالية وتستعيض عنها بشبكة من المنظمات في الصناعات الكبرى .ويطلق على هذه المنظمات التي تتكون من العمال وأصحاب الأعمال، اسم المؤسسات .لكنها تختلف عن تلك التي تنشأ في بلاد أخرى.

يفترض في المؤسسات الفاشية أن تمثل العمال وأصحاب العمل معًا .وفي حقيقة الأمر فإن هذه المؤسسات تخضع لسيطرة الحكومة، وعن طريقها تحدد

1 - http://www.ahewar.org.

الحكومة الأجور، وساعات العمل، وأغراض الإنتاج .لهذا السبب يسمى البلد الفاشي أحيانًا دولة.

الحرية الشخصية

الحرية الشخصية مقيدة تقييدًا شديدًا في ظل الحكومة الفاشية، فعلى سبيل المثال، تقيد الحكومة السفر إلى البلاد الأخرى، وتحد من أي اتصال بشعوبها، وتهيمن على الصحف ووسائل الاتصال الأخرى في بلدها، وتبث الدعاية للترويج لسياساتها، وتمارس رقابة صارمة على المطبوعات لقمع الآراء المناوئة لها .ويفرض على كل الأطفال الالتحاق بمنظمات الشباب، حيث يتدربون على المسيرات ويتعلمون المفاهيم الفاشية .وتسحق الشرطة السرية أية مقاومة .وقد تؤدي المعارضة إلى السجن والتعذيب والموت.

يعتبر الفاشيون كل الشعوب الأخرى أدنى من قوميتهم التي ينتمون إليها، لذلك قد تضطهد الحكومة الفاشية أو تقتل حتى الغجر أو من ينتمون إلى أقليات أخرى.

مبادئ الفاشية

تؤمن الفاشية بإحياء مجد الأمة والسمو بها إلى مدرج الكمال، وعدم المساواة بين الأفراد، كما تؤمن بأن الطبقة الممتازة هي القادرة على تحمل المسؤولية التي تعمل لصالح الشعب، وتضحية الفرد في سبيل المجموع.

1. الدولة فوق الجميع أي يحق للدولة أن تتدخل في حياة الفرد الخاصة.

2. وظيفة الفرد هي خدمه المجتمع.

3. إلغاء الحريات الفردية مثل :حق الحياة، حق الكرامة، الخصوصية ..إلخ.

4. تريد الفاشية أن تكون قوية وعظيمة على حساب الآخرين.

5. الفاشية تشك بأن يصبح سلام دائم بين جميع دول العالم.[1]

خصائص الفاشية

يتميز مذهب الفاشية بالخصائص الآتية:

- تركيز السلطة في يد الطبقة الممتازة.
- تقييد حريات الفرد مثل حرية الصحافة وحرية الاجتماع.
- سيطرة جهاز الحكم على وسائل الإعلام واستخدامها للتأثير في الرأي العام.

عوامل صعود الفاشية إلى الحكم

1. شعور الإيطاليون بخيبة أمل بسبب مؤتمر فرساي الذي لم يعطيهم نصيب وافر للمستعمرات.

2. بعد الحرب عانت إيطاليا من مشاكل اقتصادية أدت إلي اضطرابات وإضرابات عامة.

3. السلطات الديمقراطية لم تستطع أن تصلح أو تعيد النظام إلى الدولة.

4. الخوف من الشيوعيين في الاستيلاء على الحكم.

1 - http://facismbonus.blogspot.com

الفاشيون في السلطة

طالب موسوليني بتأليف حكومة قوية إلا أن طلبه رُفض فألف جيشا وعمل على ما يسمى "بالمسيرة إلى روما "حيث جمع جميع الفاشيين في كل مكان وهدد بالاستيلاء على الحكم، فقدمت الحكومة استقالتها وطلب موسوليني من الملك حكومة فقبل طلبه وأصبح رئيسا على الحكومة.(1)

تطبيق المبادئ على أرض الواقع

بعد أن عين موسوليني رئيسا على الحكومة، أراد تطبيق الفاشية، حيث أولاً ارجع النظام إلى الدولة وأصلح المشاكل الاقتصادية وغيرها ..ثانيًا جرى تغييرات جذرية في الحياة السياسية ومن الأمور التي قام بها موسوليني:

1. أصبحت الدولة مطلقة الحكم.
2. تم دمج الفاشية مع الدولي حيث أصبحت المؤسسات الدولية هي نفسها الفاشية.
3. صودرت الحريات وأغلقت الصحف المعارضة للحكم الجديد.
4. صدرت صلاحيات واسعة لموسوليني مما أدى إلى عدم وجود أي دور للملك.
5. حلت جميع نقابات العمال ما عدا نقابات الفاشية.
6. أقام موسوليني جيشًا قويًا مما أدى إلى خوف جيران أوروبا وعصبه الأمم.

---

1 - http://legalcounsel.own0.com

المبحث الثاني

النازية في ألمانيا

ألمانيا النازية:

بالألمانية(Nazideutschland) : هي الفترة التي حُكمت فيها ألمانيا من قبل حزب العمال الاشتراكي القومي الألماني) الحزب النازي (بقيادة أدولف هتلر في الفترة من 1933 حتى 1945.

الاسم الأصلي لألمانيا لم يتغير عندما جاء النازيون إلى الحكم عام 1933بل بقي كما هوDeutsches Reich أي الرايخ الألماني وهو الاسم الذي سميت به منذ العام 1871. لكن في العام 1943قامت الحكومة النازية بتعديل الاسم إلى الرايخ الألماني الأعظم Großdeutsches Reich الذي بقي مستعملاً إلى العام 1945 حين هزمت ألمانيا النازية. استعمل الحزب النازي أسماء أخرى منها الرايخ الثالث ورايخ الألف عام لوصف ألمانيا، إلا أنه أسقط استعمال وصف (رايخ الألف عام) من إعلامه الرسمي في العام 1939.

في 30يناير 1933 ،أصبح أدولف هتلر مستشارا لألمانيا، الذي عينه الرئيس باول فون هيندنبورغ .على الرغم من أنه يرأس حكومة ائتلافية في البداية، عملت الحكومة النازية على تطوير الدولة والازدهار الاقتصادي وتوفير فرص العمل وانتهى به الإنفاق العسكري الثقيل على الحروب بالنصر والتوسع بينما قمع النقابات العمالية والاضرابات .أعطاهم هذا الازدهار شعبية هائلة

وجعلت نظام حكم هتلر في الغالب الأقوى دون منازع، وعلى الرغم من المقاومة، التي تصاعدت بعد بداية العدوان العسكري، وبلغت ذروتها في المؤامرة الفاشلة في 20يوليو .1944دمر الجستابو)الشرطة السرية (في إطار هاينريش هيملر الليبرالية والمعارضة الاشتراكية والشيوعية واضطهد اليهود، في محاولة لإجبارهم على السفر إلى المنفى و أخذ ممتلكاتهم .اتخذ الحزب السيطرة على المحاكم، والحكم المحلي، وجميع المنظمات المدنية باستثناء الكنائس البروتستانتية والكاثوليكية .وكانت السيطرة على كل تعبيرات الرأي ودعاية هتلر من قبل الوزير، جوزيف غوبلز، الذي كان يبث الحماس للشعب بالمسيرات، وساعده أسلوب ومهارة هتلر بالخطابة.

هتلر والنازية

الولادة والنشأة :

ولد الزعيم الألماني أدولف هتلر في مدينة ألمانية صغيرة تدعى بروونو تقع على الحدود النمساوية الألمانية في 20أبريل 1889 وكان عنده خمس أخوات كان تسلسله الرابع أما أبوه فهو ألويس هتلر الذي كان يعمل موظفًا في الجمارك وأمه كلارا هتلر كانت زوجة أبيه الثالثة.[1]

نشا هتلر في بيت مضطرب العلاقة، وكان أبواه ينتميان للمذهب الروماني الكاثوليكي، ولكنه بعد أن ترك منزل والديه، وعاش على منحة حكومية لإعانة

1 - ويكيبيديا، الموسوة الحرة.

الأيتام ودعم مالي تقدمه له والدته منذ عام 1905، لم يحضر أي قداس أو يلتزم بالطقوس الدينية للكنيسة ، ولكنه بنفس الوقت لم يتخلّ عن الكنيسة أو يمتنع عن دفع الضرائب الخاصة بها لذلك اعتبر المؤرخون أن هتلر اسمياً يمكن اعتباره كاثوليكياً .وكان يمتدح التراث المسيحي والحضارة المسيحية علانية وأعرب في مذكراته عن اعتقاده أن المسيح ينتمي إلى الجنس الآري لأنه كان يحارب اليهود، وقد اكتشف موهبته الفنية وتقدم إلى أكاديمية الفنون الجميلة عام 1907، ورفض طلبه وتقدم ثانية عام 1908وأخبروه بأنه غير مناسب للرسم ومن الأفضل توجيه قدراته إلى مجال الهندسة المعمارية، واقتنع بذلك لكن كان ينقصه الإعداد الأكاديمي للالتحاق بمدرسة العمارة .

وبعد وفاة والدته نهاية 1907بسرطان الثدي حاول أن يجد طريقاً للحياة أن يرسم اللوحات الطبيعية الموجودة على البطاقات البريدية ويبيعها إلى التجار والسائحين ولم يستطع أن يواصل لذلك وجد نفسه عام 1909في مأوى للمشردين ومع حلول عام 1910كان قد استقر في منزل يسكن فيه الفقراء من العمال وكان من المعجبين بالزعيم والمصلح مارتن لوثر وأشار إلى ذلك في كتابه كفاحي بأن مارتن لوثر كان محارباً عظيماً ورجل دولة، ومما لا شك فيه أن مذهب مارتن لوثر كان له تأثيراً كبيراً على التاريخ السياسي والروحي والاجتماعي في ألمانيا آنذاك لذلك ربط الكثير من كتاب التاريخ عن النازية بين ثقافة هتلر في كراهية اليهود وبين مبادئ مارتن لوثر.

ويزعم هتلر أن اليهود كانوا أعداء للجنس الآري كما ألقى على كاهل اليهود مسؤولية الأزمة التي حدثت في النمسا واطلع على نظرية الاشتراكية والبلشفية التي يتزعمها قادة يهود ليقوم بعمل دمج بين معاداة السامية ومعاداة الماركسية في وقت لاحق، وألقى باللوم في هزيمة الجيش الألماني أثناء الحرب العالمية الأولى على ثورات 1918ومن ثم اتهام اليهود بالتسبب في ضياع أهداف ألمانيا الاستعمارية والمشكلات الاقتصادية التي نشأت آنذاك.

وفي عام 1913استلم هتلر ممتلكات والده بعد وفاته لينتقل بعدها للعيش في ميونيخ .وكتب هتلر في كتابه) كفاحي (أنه كان يتوق دائمًا للحياة في مدينة ألمانية "حقيقية ."وفي ميونيخ، أصبح هتلر أكثر اهتماماً بفن العمارة؛ وقد ساعده انتقاله إلى ميونيخ أيضاً على التهرب من أداء الخدمة العسكرية في النمسا لبعض الوقت، وعلى بالرغم من أن الشرطة في ميونيخ التي كانت تتعاون مع السلطات النمساوية تمكنت في نهاية الأمر من إلقاء القبض عليه، لكنه تقدم بالتماس يدل على ندمه على ما اقترفه وبعد فحصه جسدياً تقرر أنه غير لائق لأداء الخدمة العسكرية وتم السماح له بالعودة إلى ميونيخ ومع ذلك،عندما دخلت ألمانيا الحرب العالمية الأولى في آب عام 1914، تقدم هتلر بالتماس لملك بافاريا) لودفيج الثالث (للسماح له بالخدمة بالجيش .وبالفعل وافق الملك على طلبه، وتم تجنيده في الجيش البافاري، وخدم بالفوج البافاري الاحتياطي السادس عشر ـ والذي عرف باسم فوج (ليست) نسبةً إلى قائده الأول ـ وشارك الفوج في معاركه التي دارت على الأراضي الفرنسية والبلجيكية وانتهت الحرب بتقلده رتبة جيفريتر (وهي رتبة تعادل وكيل عريف

في الجيش البريطاني وجندي من الدرجة الأولى في الجيوش الأمريكية).عمل هتلر كرسول بين الجيوش؛ وهي واحدة من أخطر الوظائف على الجبهة الغربية، وتقلد هتلر خلال الحرب وسامين تقديراً لشجاعته في الحرب .حيث تقلد وسام الصليب الحديدي من الدرجة الثانية في عام1914، ووسام الصليب الحديدي من الدرجة الأولى في عام1918؛ وهو تكريم نادراً ما يحصل عليه عسكري من رتبة جيفريتر، ومع ذلك، لم تتم ترقية هتلر إلى رتبة أعلى كونه لم يكن مواطناً ألمانياً. كما أنه كان يرسم الصور الكاريكاتورية لإحدى الصحف التابعة للجيش. و أصيب في عام 1916 بجرح بليغ في منطقة الفخذ للرجل اليسرى أثناء مشاركته في معركة)السوم (التي دارت رحاها على الأرض الفرنسية وتسلم شارة الجرحى بعد ذلك .

كان إعجاب هتلر بألمانيا قد سيطر عليه منذ زمن بعيد، وأثناء الحرب أصبح أكثر وطنيةً وأشد حماساً للدفاع عن ألمانيا بالرغم من أنه لم يصبح مواطنًا ألمانياً حتى عام .1932

وبرأي هتلر المدوَّن في مذكراته أن الحرب هي "أعظم الخبرات التي يمكن أن يمر بها المرء في حياته ."وصدم هتلر من اتفاقية الاستسلام التي وقعتها ألمانيا في تشرين الثاني من عام 1918على الرغم من سيطرة الجيش الألماني حتى ذلك الوقت على أراضٍ للعدو .ومثله مثل العديد من المناصرين للقومية الألمانية، كان هتلر يؤمن بأن الجيش الألماني الذي لم يهزم في ساحة المعركة "قد "تعرض

لطعنة في الظهر "من قادة مدنين وماركسيين على الجبهة الداخلية .وقد أطلق على أولئك السياسيين فيما بعد اسم (مجرمي نوفمبر). [1]

دخول هتلر عالم السياسة

بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، ظل هتلر في الجيش وعاد إلى ميونيخ حيث شارك في الجنازة العسكرية التي أقيمت لرئيس الوزراء البافاري الذي تم اغتياله) كيرت آيسنر(، وفى حزيران 1919، تم تعيين هتلر في منصب (جاسوس للشرطة (في الاستخبارات العسكرية التابعة لقوات الدفاع الوطنية وكلف باختراق صفوف حزب العمال الألماني. وأثناء استكشافه للحزب، تأثر هتلر بأفكار مؤسس الحزب) آنتون دريكسلر (المعادية للسامية والمعارضة لأفكار الماركسية، وكانت أفكاره تسعى إلى إنشاء حكومة قوية ونشيطة؛ ووجود تكافل متبادل بين كل أفراد المجتمع، وهي أفكار مستوحاة من الأفكار الاشتراكية غير اليهودية، وقد حازت مهارات هتلر الخطابية على إعجاب دريكسلر فدعاه إلى الانضمام للحزب ليصبح العضو الخامس والخمسين فيه .كما أصبح هتلر أيضاً العضو السابع في اللجنة التنفيذية التابعة للحزب .وبعد مرور عدة سنوات، ادّعى هتلر أنه العضو السابع من الأعضاء المؤسسين للحزب.

وتم تسريح هتلر من الجيش في آذار1920، فبدأ نشاطه السياسي مدعوماً بالتشجيع المستمر من أعضاء الحزب وفي عام 1921، بدأ هتلر يتمكن بشكل

1 - http//www.17awwa.com/forum/thread-911.html.

كامل من إجادة فن الخطابة أمام الحشود الكبيرة. وانتشرت سمعته بسرعة فائقة بسبب خطاباته الجدلية العنيفة المناهضة لمعاهدة فرساي والسياسيين المعادين له واشتهر بوجه خاص بخطاباته المناهضة للماركسيين ولليهود.

واتخذ حزب)العمال الألماني الاشتراكي الوطني (من ميونيخ مقرًا له ومنطلقاً لنشاطه السياسي وكانت ميونيخ في ذلك الوقت أرضًا خصبة لمناصري القومية الألمانية ومنهم ضباط من الجيش الألماني كانوا قد عقدوا العزم على سحق الماركسية وتقويض دعائم جمهورية)فايمار) التي نشأت على الأراضي الألمانية نتيجة الحرب العالمية الأولى وخسارة ألمانيا الحرب .وبمرور الوقت، لفت هتلر وحركته التي أخذت في النمو أنظار هؤلاء الضباط باعتبارها أداة مناسبة لتحقيق أهدافهم .

وقد تعرض الحزب إلى بعض المشاكل استطاع تجاوزها وتم انتخاب هتلر في اجتماع أعضاء الحزب المنعقد في 29/7/1921م بصفته فوهرر لحزب العمال الألماني الاشتراكي الوطني وهي المرة الأولى التي تم فيها الإعلان عن هذا اللقب إلى الملأ.

الوصول إلى السلطة :

بعد فشل الانقلاب العسكري الذي قاده هتلر للإطاحة بجمهورية فايمار انتهج هتلر استراتيجية جديدة للحزب هي استراتيجية)الشرعية (وهي تعني الالتزام الرسمي بمبادئ جمهورية فايمار حتى يتولى زمام الحكم بصورة قانونية،

ومن ثم يمكنه استغلال المؤسسات الرسمية للتخلص من هذه الجمهورية وتنصيب نفسه ديكتاتوراً على البلاد .وفعلاً تمكن من إحكام السيطرة على السلطة السياسية بشكل كامل، بعد أن شرع ببرنامجه السياسي الواسع الذي يسعى إلى كسب جماهير ألمانيا وحشدها نحو سياساته عن طريق إقناعهم بأنه هو الذي سينقذهم من موجة الكساد الاقتصادي التي اجتاحت العالم، ويخلصهم من عار معاهدة فرساي والشيوعية و"البلاشفة واليهود "وبدأ بتطبيق ذلك عملياً من خلال العملية التي أطلق عليها - التنسيق بين كل الأنظمة ودمجها في نظام واحد -وبذلك استطاع أن يتخلص من كل معارضة صادفته ويتخلص من تأثير الأقليات الأخرى "غير المرغوب فيها ."

وقد خاض حزب العمال الألماني عدة انتخابات، وكانت النتائج فيها متصاعدة ويظهر الجدول أدناه نتائج الانتخابات والأصوات التي حصل عليها وكيف أنها متصاعدة بشكل متسارع: [1]

1 - www.histgew-ma.com/3an/tajdid/his3-8.htn.

نتائج الانتخابات التي خاضها الحزب النازي				
الخلفية التاريخية	عدد المقاعد	النسبة المئوية	عدد الأصوات	التاريخ
هتلر في السجن	32	6.5	1.918.300	مايو، 1924
بعد إطلاق سراحه	14	3.0	907.300	ديسمبر، 1924
بعد إطلاق سراحه	12	2.6	810.100	مايو، 1928
أثناء الأزمة المالية	107	18.3	6.409.600	سبتمبر، 1930
عقب ترشحه للرئاسة	230	37.4	13.745.800	يوليو، 1932
عقب ترشحه للرئاسة	196	33.1	11.737.000	نوفمبر، 1932
أثناء فترة عمل هتلر كمستشار لألمانيا	288	43.9	17.277.000	مارس، 1933

وهكذا استطاع هتلر أن يتسلم الموقع الأول في قيادة ألمانيا الدولة ويبدأ في تنفيذ برامجه العمرانية والاقتصادية والصناعية والعسكرية وأشرف على أكبر حملات تطوير البنية التحتية في التاريخ الألماني، واشتملت على إنشاء العديد والعديد من السدود، والطرق السريعة والسكك الحديدية كما أشرف على تطوير المصانع وتحديثها وعلى إعادة تسليح الجيش الألماني وأعد ألمانيا زراعياً وصناعياً وعسكرياً لمواجهة جميع التحديات التي قد تنشأ بسبب الحرب، وهكذا عمل هتلر بشكل ممنهج من عام 1925 إلى عام 1930 على تطوير شكل الحكم في ألمانيا من الديمقراطي إلى الحكم المحافظ القومي ثم الاستبدادي الديكتاتوري وكان الحليف الطبيعي له في ذلك حزب الشعب الوطني الألماني، و"القوميين "

الألمان، وبعد عام 1929، ومع ظهور الأزمة الاقتصادية العالمية وتأثر الاقتصاد الألماني بها ارتفعت أصوات القوميون الأكثر تطرفاً وفقدت الأحزاب السياسية من الطبقة المتوسطة دعم الناخبين لها باتجاه اليمين المتطرف واليسار، وفي غضون أشهر قليلة تم تشكيل الحكومة من حزب واحد مع التدابير القانونية لإقامة حكومة مركزية منسجمة ففي يوم 27 فبراير 1933، تم إحراق مبنى الحزب النازي وألصقت التهمة بأعضاء الحزب الشيوعي. فمنعت جميع منشوراته وسجن الكثير من أعضائه بتهمة الحرق العمد[1].

اندلاع الحرب العالمية الثانية

تعد الحرب العالمية الثانية من الحروب الشمولية، وأكثرها كلفة في تاريخ البشرية وذلك لاتساع رقعة الحرب وتعدد مسارح المعارك والجبهات، شارك فيها أكثر من 100 مليون جندي، وأزهقت أرواح أكثر من 60مليون نفس بشرية بين عسكري ومدني، أي ما يعادل %2من تعداد سكان العالم آنذاك . ويمكن القول أن الحرب بدأت في 1سبتمبر 1939 عندما أقدم هتلر على غزو كل من بولندا وسلوفاكيا، لتشكيل إمبراطورية كبيرة في أوروبا بقيادة ألمانيا وكان رد الفعل الفرنسي والبريطاني ومستعمراتهما إعلان الحرب على الألمان وحلفائهم الذين ارتبطوا معهم بمعاهدات للسيطرة على أوروبا والذين سمّوا دول المحور .

1 - www.jamaleddine.maktoobbblig.com/3200lb

وكانت إيطاليا الفاشية قد سبقت ألمانيا في غزو أثيوبيا بداية عام 1936 وضمّها إلى المستعمرات الإيطالية في شرق أفريقية، وقد أظهر هذا الغزو فشل عصبة الأمم المتحدة في الحفاظ على السلام الدولي لأن كلا البلدين إيطاليا وأثيوبيا هما أعضاء في عصبة الأمم التي لم تستطع أن تفعل شيئاً على الرغم من مخالفة إيطاليا الصريحة لميثاق العصبة وبذلك تكون العصبة قد نقضت دورها في الحفاظ على السلام الدولي الذي تشكلت من أجله؛ وفي نوفمبر عام 1937 وجه هتلر القيادة العسكرية لعقد مؤتمر ليقول من خلاله حاجة ألمانيا للتوسع شرقاً باتجاه النمسا وتشيكوسلوفاكيا، وفي شباط 1938، دعا هتلر المستشار النمساوي إلى تسليم كل السلطات إلى الحزب النازي النمساوي أو الاحتلال، وفي يوم (12 مارس (دخل الجيش الألماني النمسا، حيث كان في استقباله بحماس النازيون النمساويون، ثم توجه هتلر إلى زعماء تشيكوسلوفاكيا وطلب من زعيم الحزب النازي التشيكي التفاوض مع الحكومة التشيكية وأن يركز على المطالب غير القابلة للتنفيذ مما اضطر الحكومة التشيكية لقبول الضم إلى ألمانيا وتوقيع معاهدة ميونخ الشهيرة، ولم يكن للحكومة أي دور في المفاوضات سوى الأمور الشكلية منها .لقد كانت اتفاقية ميونيخ محملة بالكثير من الجدل بين المؤرخين وعلماء السياسة .فالبعض يعتبرها استسلام الجبناء المذل، والبعض الآخر يرى بأن الحرب لها مخاطرها وفي تلك المرحلة كان من الحكمة عدم خوض الحرب وتدمير البلاد.

بداية الهزيمة

مع دخول الولايات المتحدة الحرب إلى جانب الحلفاء بشكل رسمي بعد قصف ميناء بيرل هاربر وانتشار ثلاثة ملايين جندي من الجيش الألماني في الأراضي السوفييتية واحتلاله أجزاءً كبيرة من الأراضي التي شكلت دول البلطيق وروسيا البيضاء وأوكرانيا .كذلك، حاصرت القوات الألمانية الكثير من القوات السوفيتية ودمرتها، وهي القوات التي أصدر ستالين أوامره إليها بعدم الانسحاب .

ومع كل ذلك، وجدت القوات الألمانية نفسها مجبرة على التوقف قبيل تمكنها من دخول موسكو وستالينغراد مباشرةً بسبب الشتاء الروسي القارس والمقاومة السوفيتية العنيفة، وبذلك فشل الغزو الألماني في تحقيق النصر السريع الذي كان يريده هتلر .بسبب إصرار هتلر على مواجهة ائتلاف ضم أكبر إمبراطورية في العالم ممثلة بالإمبراطورية البريطانية، وأكبر قوة صناعية ومالية في العالم ممثلة بالولايات المتحدة الأمريكية، وأكبر جيش في العالم ممثلاً بالاتحاد السوفييتي مجتمعين.

وفي أواخر عام1942، لحقت الهزيمة بالقوات الألمانية في معركة العلمين الشهيرة التي وضعت حداً لمحاولات هتلر الاستيلاء على قناة السويس والشرق الأوسط، وفي فبراير من عام1943، انتهت معركة ستالينجراد الهائلة بتدمير الجيش السادس الألماني، وبعد ذلك وقعت معركة كورسك الهائلة .وبدأت هذه الهزائم تنعكس على قرارات هتلر العسكرية التي أصبحت غريبة

الأطوار وأخذ الوضع العسكري والاقتصادي لألمانيا في التدهور .كذلك، تدهورت حالة هتلر الصحية . فقد كانت يده اليسرى ترتجف .ويعتقد)أيان كيرشو (الذي كتب السيرة الذاتية لهتلر أنه ربما يكون قد أصيب بمرض الشلل الرعاشي، وقال آخرون أنه من المحتمل أن يكون مصاباً بمرض الزهري على الرغم من عدم وجود الدلائل التي تثبت ذلك .وبعد اجتياح قوات الحلفاء لصقلية في عملية هاسكي عام 1943وعزل موسوليني الذي أعلن استسلامه لقوات الحلفاء كانت القوات الروسية في الجانب الآخر تجبر جيوش هتلر على الانسحاب على طول الجبهة الشرقية.[1]

وفي السادس من حزيران (يونيو (من عام 1943، تمت عملية إنزال جيوش الحلفاء الغربيون في شمالي فرنسا في واحدة من أكبر العمليات البرمائية التي حدثت في تاريخ العسكرية، وهي العملية التي تعرف باسم عملية القائد الأعلى ولذلك بدأ بعض القادة الألمان بالاقتناع بالهزيمة الكبرى وخطط البعض منهم لإقصاء هتلر عن السلطة .وفي تموز)يوليو (من عام 1944، قام أحدهم بزرع قنبلة في مركز قيادة الفوهرر هتلر)وكر الذئب(، ولكن هتلر نجا من الموت بأعجوبة، وأصدر أوامره بإعدام أكثر من أربعة آلاف وتسعمائة شخص، وبذلك تم القضاء على أغلب المجموعات غير المؤيدة له في عملية انتقام وحشية.

1 - www.montaba.arahman.net/t2577html.

الهزيمة والموت

بحلول عام 1944 كان الجيش الأحمر قد أجبر الألمان على التراجع إلى أوروبا الوسطى، وكانت قوات الحلفاء الغربيون تتقدم نحو ألمانيا، وأدرك هتلر أن ألمانيا قد خسرت الحرب، ولكنه لم يسمح بالانسحاب، وتمنى هتلر أن يقوم بالتفاوض المنفرد من أجل السلام مع الأمريكيين والبريطانيين؛ وأصدر هتلر أوامره بالتدمير الكامل لكل البنية التحتية الصناعية الألمانية قبل أن تقع في أيدي قوات الحلفاء، وهكذا قرر هتلر أن الأمة بأسرها يجب أن تنتهي معه .

وعهد بتنفيذ خطة)الأرض المحروقة) أي تدمير كل ما يمكن أن ينتفع به العدو إلى وزير التسليح ألبرت سبير، إلا أن الأخير لم ينفذ أوامره تلك.

وفي نيسان)أبريل (من عام1945، هاجمت القوات السوفيتية ضواحي مدينة برلين الألمانية ووجد هتلر نفسه في وضع يجبره فيه مطاردوه على الفرار إلى جبال بافاريا ليتمكن من مواجهتهم في جولة أخيرة في المعقل الوطني الذي لجأت إليه الفلول المتبقية من القوات، ولكن هتلر كان مصمماً على أن يعيش في عاصمة بلاده أو الموت فيها، بعد أن سمع بموت موسوليني في التاسع والعشرين من نيسان 1945وهنا أملى على سكرتيره كتابة وصيته الأخيرة ووقع عليها اثنان من أتباعه هما جوزيف غوبلز ومارتن بورمان.

وفي الثلاثين من نيسان أبريل من عام 1945، وبعد اشتباكات عنيفة كانت تدور من شارع إلى شارع في مدينة برلين، وبينما كانت القوات السوفيتية على

بعد تقاطع أو اثنين من مقر مستشارية الرايخ، قام هتلر بإطلاق النار داخل فمه بعد أن أطلق النار على عشيقته إيفا براون التي تزوجها في اليوم السابق لانتحاره وقام بعض الضباط المعاونين بوضع الجثتين في حفرة كانت قد أحدثتها قنبلة روسية .وقاموا بسكب البنزين على الجثتين، وإشعال النار فيهما بينما كان الجيش الأحمر مستمراً في تقدمه ممطراً المدينة بالقنابل.

استسلام برلين غير المشروط

بعد انتحار هتلر تولّى الأدميرال كارل دونتز القيادة حسب وصية هتلر التي كتبها كمستشار لألمانيا، وبقي سبعة أيام قبل الاستسلام غير المشروط في الثامن من أيار 1945واستسلمت ألمانيا للحلفاء.

وفي الجانب الإيطالي كان الحلفاء قد اقتربوا كثيراً من مدينة ميلان الإيطالية، وتم القبض على موسوليني في 27نيسان 1945من قبل المحاربين الإيطاليين، عندما كان يحاول الهرب إلى سويسرا وتم اقتياده إلى مدينة دنجو ليتم إعدامه هناك وأخذ جثته وتعليقها أمام محطة للوقود.[1]

نتائج الحروب

خلفت الحرب عالماً من الخراب، فقد تركت الحرب ملايين اللاجئين والمشردين، وانهيار الاقتصاد الأوروبي وتدمير %70من البنية التحتية الصناعية وعلى عكس ما حدث في الحرب العالمية الأولى فإن المنتصرين في المعسكر

1 - www.dw.de الذكرى السبعين للحرب العالمية الثانية.

الغربي لم يطالبوا بتعويضات من الأمم المهزومة بل أنشأ وزير الخارجية الأمريكي جورج مارشال، خطته المشهورة بمشروع مارشال، وطلب من الكونجرس الأمريكي توظيف مليار دولار لإعادة إعمار أوروبا، وذلك كجزء من الجهود لإعادة بناء الرأسمالية العالمية ولإطلاق عملية البناء لفترة ما بعد الحرب، الأمر الذي أدى إلى سيطرة جديدة على الشعوب المنهزمة والضعيفة بطريقة حضارية.

المبحث الثالث

الاتحاد السوفييتي

ولد الاتحاد السوفيتي من رحم الإمبراطورية الروسية التي أصابها الضعف والوهن مما حل بها من أحداث سياسية مثل الثورة الروسية التي قامت عام 1917وتحولت فيما بعد إلى الحرب الأهلية الروسية والتي دامت أربعة أعوام كاملة فيما بين 1918وحتى .1921وتكون الاتحاد السوفيتي من اتحاد العديد من الدول السوفيتية فيما بينها مكونة الكيان السياسي المعروف، وإن كان اسم "روسيا ")كبرى الدول المؤسسة للاتحاد السوفيتي والوريث الشرعي له (ظل يطلق على الكيان السياسي الجديد لفترة من الوقت حتى مع وجود اسم "الاتحاد السوفيتي ."وبنظرة سريعة نجد أن الاتحاد السوفيتي لم تكن له حدود دولية ثابتة منذ نشأته، إذ تغيرت حدوده بتغير الزمن وتعاقب الأحداث التاريخية حيث قاربت حدوده في أعقاب الحرب العالمية الثانية حدود الإمبراطورية الروسية السابقة خاصة بعد ضم مساحات شاسعة من الأراضي المجاورة لأراضيه والتي تمثلت في دول البلطيق وشرق بولندا ومنطقة بيسارابيا في شرق أوروبا وبذلك كان الاتحاد السوفيتي قد استعاد كامل حدود الإمبراطورية الروسية ماعدا باقي الأراضي البولندية والفنلندية.

و تكون الاتحاد السوفيتي في البداية من اتحاد أربع جمهوريات سوفيتية اشتراكية سابقة إلا أنه بحلول عام 1956كان الاتحاد السوفيتي قد أصبح كياناً ممثلاً لخمس عشرة دولة اتحادية وهم:

- جمهورية أرمينيا السوفيتية الاشتراكية
- جمهورية أذربيجان السوفيتية الاشتراكية
- جمهورية إستونيا السوفيتية الاشتراكية
- جمهورية أوزبكستان السوفيتية الاشتراكية
- جمهورية أوكرانيا السوفيتية الاشتراكية
- جمهورية بيلاروسيا السوفيتية الاشتراكية
- جمهورية تركمانستان السوفيتية الاشتراكية
- جمهورية جورجيا السوفيتية الاشتراكية
- جمهورية روسيا السوفيتية الاتحادية الاشتراكية
- جمهورية طاجيكستان السوفيتية الاشتراكية
- جمهورية كازاخستان السوفيتية الاشتراكية
- جمهورية قرغيزستان السوفيتية الاشتراكية
- جمهورية لاتفيا السوفيتية الاشتراكية
- جمهورية ليتوانيا السوفيتية الاشتراكية
- جمهورية مولدوفا السوفيتية الاشتراكية.

و تعد روسيا الاتحادية الوريث الشرعي للاتحاد السوفيتي والتي كانت عضوا في اتحاد الدول المستقلة وقوة عالمية ذات ثقل معترف بها، حيث أخذت روسيا ممثليها الدوليين والكثير من قواتها المسلحة عن الاتحاد السوفيتي السابق.

و منذ 1917 وحتى 1922 كونت جمهورية روسيا السوفيتية الاتحادية الاشتراكية النواة الأساسية للاتحاد السوفيتي حيث كانت دولة مستقلة في تلك الفترة كحال باقي الدول السوفيتية في ذلك الوقت حتى تم إعلان قيام الاتحاد السوفيتي رسميا في السادس والعشرين من ديسمبر لعام 1922 وذلك عن طريق تكوين اتحاد فيدرالي ضم أربعة دول وهي جمهورية روسيا السوفيتية الاتحادية الاشتراكية) و التي عرفت باسم روسيا البلشفية (بالإضافة إلى جمهوريات أوكرانيا وبيلاروسيا والقوقاز السوفيتية الاشتراكية الأخرى والتي كان البلاشفة قد سيطروا على مقاليد الحكم بها.

الثورة وتأسيس الدولة السوفيتية[1]

بدأ النشاط الثوري في الإمبراطورية الروسية على يد متمردي ديسمبر في عام 1825، وبالرغم من أن العبودية قد ألغيت من كل أنحاء الإمبراطورية عام 1861 على يد القيصر أليكساندر الثاني وأعطي الأقنان أو كما يسمون "ملح الأرض "حريتهم إلا أن القانون الإصلاحي الجديد لم يعط الفلاحين البسطاء حقوقهم بقدر ما أعطاهم من حرية مما كون دافعا جديدا لدى الثوار للتخلص من الحكم القيصري .وعلى الرغم من إنشاء البرلمان المحلي (الدوما) عام 1906 وذلك في أعقاب ثورة 1905 إلا أن قيصر روسيا في ذلك الوقت قام بإحباط كل المحاولات لتحويل البلاد من الملكية المطلقة إلى الملكية الدستورية .مما أدى إلى

1 - جفري برون، تاريخ أوروبا الحديث، تحقيق علي المزروقي، الأهلية للطباعة والنشر، 2006، 291.

تعاظم الاضطرابات الداخلية والغضب الشعبي العام من مجمل الأحداث خاصة بعدما نالت جيوش الإمبراطورية هزيمة نكراء خلال الحرب العالمية الأولى وما تبعها من نقص في الطعام والمؤن خاصة في المدن الكبرى.

و قد ساهمت انتفاضة شعبية قام بها السكان في مدينة سان بيترسبورج اعتراضا على تدني حالة البلاد العسكرية والأخلاقية وتراجعها في شتى المجالات في إشعال ثورة شاملة في كافة أنحاء البلاد عرفت باسم ثورة فبراير مما أدى إلى الإطاحة بالنظام القيصري في مارس 1917 حيث حلت الحكومة الروسية المؤقتة محل الحكم القيصري الأوتوقراطي والتي أراد قادتها)أي الحكومة المؤقتة (إجراء انتخابات محلية لتكوين المجلس التشريعي الروسي عن طريق الاقتراع الشعبي بالإضافة إلى الاستمرار في الحرب العالمية الأولى بجانب قوات الحلفاء.

لينين قائد ثورة البلاشفة

و في نفس الوقت ومن أجل ضمان حقوق الطبقة العاملة في المجتمع تنامت اتحادات العمال، والتي أطلق عليها اسم "سافيت"، بطول البلاد وعرضها وتعاظم دورها خاصة في لم شمل الثوار وتوفير مكان مناسب يأوي اجتماعاتهم، ومن تلك المجالس والاتحادات السوفيتية استطاع البلاشفة بقيادة فلاديمير لينين الترويج لثوراتهم والقيام بها حتى تمكنوا خلال ثورة أكتوبر من انتزاع السلطة من الحكومة المؤقتة في نوفمبر من عام 1917. وبحلول ديسمبر من العام نفسه قام البلاشفة بتوقيع اتفاقية هدنة مع قوات المحور إلا أن القتال

تجدد مرة أخرى في فبراير من العام التالي حتى قام السوفيت بوضع نهاية للحرب وتوقيع معاهدة بريست-ليتوفسك في الثالث من مارس من عام 1918 والتي قضت بخروج جمهورية روسيا السوفيتية الاتحادية الاشتراكية من الحرب العالمية الأولى.

و لم تستقر الأمور للقوى السوفيتية الناشئة إلا بعد حرب أهلية طويلة الأمد دامت لمدة أربعة سنوات بداية من عام 1917 وحتى عام 1923 بين الجيش الأحمر وحركة البيض وما تضمنته تلك الحرب من تدخل أجنبي من جانب القوى العظمى في ذلك الوقت ومن بعده إصدار الأحكام بإعدام القيصر نيكولاس الثاني وعائلته .وفي مارس من عام 1921 دارت رحى الحرب مرة أخرى على الجبهة الشرقية فيما عرف بالحرب الروسية البولندية بين القوات الروسية والقوات البولندية المدعومة بالحركات الانفصالية في بيلاروسيا وأوكرانيا، وانتهت بتوقيع معاهدة ريجا بين بولندا وروسيا السوفيتية، إلا أن تلك المعاهدة لم تقم بتهدئة الأوضاع بالقدر الكافي حيث اضطر الاتحاد السوفيتي في دخول نزاعات مسلحة مماثلة مع دولٍ أخرى كانت ترنو إلى الاستقلال منذ عهد الإمبراطورية مثل فنلندا وإستونيا ولاتفيا وليتوانيا.

العلاقات المبكرة مع الصين

مع نهاية عصر إمبراطورية الصين بزوال حكم سلالة كينج نهائيا عام 1911 بقيت الصين لفترة من الزمن تحت حكم الكثير من أمراء الحرب العظام منهم والضعاف في فترة عرفت في تاريخ الصين الحديث بعصر أمراء الحروب،

ومن أجل إعادة الاستقرار للبلاد واسترجاع الأراضي التي استقل بها حكامها عن بر الصين الرئيسي الذين سيطروا على مساحات كبيرة من شمال الصين، قامت الحركات المناهضة للملكية وكذلك الحزب القومي الجديد في الصين الكومينتانج بالإضافة إلى رئيس جمهورية الصين في ذلك الوقت صن يات سين بطلب تدخل القوى الخارجية لمساعدته على الإمساك بزمام الأمور.

و مع تجاهل الديموقراطية الغربية لطلبات صن يات سين بمد يد العون له ومساعدته على تدارك الأمور في البلاد، توجه صن يات سين إلى الاتحاد السوفيتي في عام 1921 الذي وجد قادته في المطالب الصينية فرصة سانحة لمد نفوذهم وفكرهم السياسي لهذه البقعة المؤثرة في آسيا ومن ثم قام الاتحاد السوفيتي بوضع الخطط اللازمة لدعم كل من الكومينتانج)حيث تعهد أودلف جوفي ممثل الاتحاد السوفيتي في الصين بدعم بلاده للمساعي الحثيثة التي يقودها صن يات سين من أجل توحيد الصين وذلك في خطاب مشترك جمع بين الطرفين في شانغهاي عام 1923.) وكذلك الحزب الشيوعي الصيني حديث العهد بالحياة السياسية .وبالرغم من ميل الاتحاد السوفيتي نحو إرساء قواعد الحزب الشيوعي في الصين إلا أنه كان مستعدا للخروج فائزاً في كلتا الحالتين سواء ببقاء السلطة في يد القوميين أو تحولها للشيوعيين مما أدى إلى تأجج الصراع على السلطة بين الطرفين.

توحيد الجمهوريات السوفيتية

في الثامن والعشرين من ديسمبر عام 1922تم عقد مؤتمر حضره وفود مفوضة من كل من جمهورية روسيا السوفيتية الاتحادية الاشتراكية وجمهورية القوقاز السوفيتية الاشتراكية وجمهورية أوكرانيا السوفيتية الاشتراكية وجمهورية بيلاروسيا السوفيتية الاشتراكية أقروا فيه اتفاقية تأسيس اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية[1] وكذلك إعلان تأسيس اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية وتم التصديق على كلتا الوثيقتين مع انعقاد مجلس السوفيت الأعلى لاتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية للمرة الأولى في الثلاثين من ديسمبر لعام 1922، تلك الوثائق التي قام بتوقيعها رؤساء الوفود الممثلين في ميخائيل كالينين وميخا تسخاكايا عن روسيا وميخائيل فرونزى عن القوقاز وجريجوري بيتروفسكي عن أوكرانيا وأخيرا أليكساندر شيرفياكوف رئيساً لوفد بيلاروسيا.

و في الأول من فبراير لعام 1924اعترفت الإمبراطورية البريطانية رسمياً بالاتحاد السوفيتي وفي نفس العام وضع الدستور السوفييتي وتم التصديق عليه ليضفي جانب الشرعية على الوحدة التي قامت بين جمهوريات روسيا الاتحادية والقوقاز وأوكرانيا وبيلاروسيا السوفيتية الاشتراكية وما ترتب عليها من إعلان تأسيس "اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية."

---

1 - Richard skwa the rise and fall of the soviet union, 1917-1991: 1917-1991. Routledge, 1999. ISBN 0-415-12290-2, 9780415122900. pp. 140-143.

و بدأت إعادة الهيكلة الاقتصادية والصناعية والسياسية منذ باكورة عهد القوى السوفيتية الناشئة وتحديداً منذ عام 1917حيث تم تنفيذ العديد من الخطط الإصلاحية من خلال المراسيم السوفيتية الأولية والموقعة من جانب فلاديمير لينين ولم تكن قد ارتقت بعد لمرتبة الدساتير .واحدة من أهم تلك الخطط الإصلاحية هي خطة غويلرو والتي هدفت لإيصال الكهرباء لكل أنحاء الجمهورية السوفيتية كخطوة أساسية لإعادة الهيكلة الاقتصادية .وخرجت الخطة أول مرة للنور عام 1920ووضع لها جدول زمني للانتهاء منها قدر بعشرة إلى خمسة عشر عام واعتمدت أساسا على إنشاء شبكة محلية من 30محطة طاقة، عشرة منها تقوم بتوليد الكهرباء عن طريق الطاقة الكهرمائية بالإضافة إلى كل ما يتبع تلك المحطات من مصانع كبرى تستخدم الكهرباء في تشغيلها[1] .استمر تنفيذ تلك الخطة منذ إعلانها عام 1920حتى استكملت بحلول عام 1931 وأصبحت نموذجاً للخطط الخمسية السوفيتية الأخرى والتي تبنتها الحكومة ووصل عددهم إلى ثلاثة عشر خطة خمسية منذ عام 1928وحتى زوال الاتحاد السوفيتي عام 1991.

---

1 - G.G. Lapin, 70 years of Gidroproekt and Hydroelectric Power in Russia, August 2000, Volume 34, Issue 8-9, pp 374-379.

حكم جوزيف ستالين

منذ بداية نشأته في السنوات الأولى، تبنى الاتحاد السوفيتي نظام الحزب الواحد في الحكم وهو الحزب الشيوعي أو)حزب البلاشفة (والذي دافع عنه القادة السوفيت وبرروا وجوده كحزب أوحد في البلاد بأنها الطريقة المثلى لتأكيد القضاء على النفوذ الرأسمالي في البلاد وضمان عدم عودته مرة أخرى للاتحاد السوفيتي كذلك تطبيقا وإرساءً لقواعد المركزية الديموقراطية التي تمثل إرادة الشعب الحر . ومنذ الأيام الأخيرة في حياة لينين وعدم قدرته على أداء دوره السياسي نتيجة لمرضه الشديد حامت الشكوك حول مستقبل البلاد الاقتصادي خاصة ما يتعلق بالمجال الزراعي حيث قامت حكومة الاتحاد السوفيتي في وقت سابق بالسماح مرة أخرى بالملكية الفردية للأراضي الزراعية بجانب الملكية العامة المملوكة أساسا للدولة خلال العشرينيات من القرن الماضي وذلك في محاولة لتدوير عجلة الإنتاج الزراعي بعد نهاية الحرب الأهلية الروسية وتكوين حكومة سوفيتية جديدة حلت محل حكومة الحرب التي كانت منوطة بإدارة شئون البلاد طوال فترة الحرب الأهلية كما قامت الحكومة بفرض ضرائب جديدة على المنتجات الزراعية بدلا من جمع المحاصيل والمنتجات الأخرى من الحقول وتوزيعها وذلك تطبيقا لما أقرته الحكومة السوفيتية وأطلقت عليه اسم السياسة الاقتصادية الجديدة؛ ومن ثم احتدم الصراع بين القادة السوفيت على السلطة بعد وفاة لينين عام 1924[1].

1 - www.madariss.com

حدثت العديد من التغيرات في الحياة السياسية داخل الاتحاد السوفيتي بداية من تولي السلطة والصراع من أجلها وحتى البحث عن بديل يقوم بالدور الشاغر الذي تركه لينين بعد وفاته والذي كان كبيرا بالفعل لدرجة دفعت القادة السوفيت لتكوين "الترويكا "وهو مجلس ثلاثي يتكون من ثلاثة أفراد من القوى السياسية البارزة في البلاد ويوكل لهذا المجلس إقرار القوانين والأمور السياسية المتعلقة بالبلاد دون التدخل في شؤون الحكم ذاتها وهو نموذج مأخوذ أساساً عن الإمبراطورية الرومانية القديمة، وتم اختيار جريجوري زينوفايف من أوكرانيا وليف كامينيف من روسيا ويوسف (جوزيف) ستالين من جورجيا كأعضاء في "الترويكا."

بدأ ستالين في بسط نفوذه السياسي منذ أن قام لينين بتعيينه رئيسا للجنة الرقابة الإدارية والتـي كانت تقوم بأعمال تفتيش مفاجئة لضمان جودة سير العمل في مختلف المـصالح والمنـشأت الحكوميـة وعرفت تلك الهيئة باسم "لجنة العمل والفلاحين التفتيـشية "أو اختـصاراً (رابكـرين). وفي الثالـث مـن إبريل لعام 1922تولى ستالين منصب سكرتير عام الحزب الشيوعي السوفيتي ومن هذه المرحلة صعود ستالين للسلطة عمل ستالين على تكوين نفـوذ قـوي في أرجـاء الحيـاة الـسياسية في الاتحـاد الـسوفيتي معتمدا على عزل وتنحية كل معارضيه داخل الحزب حتـى أصـبح الـزعيم الأوحـد للـبلاد مـع نهاية العقد الثاني من القرن العشرين وأقر سياسات شمولية لحكم البلاد، خاصة بعدما تخلص من أخـر معارضـيه وهـم جريجـوري زينوفـايف وليـون تروتـسكي حيـث قـام بطـردهما مـن

اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي ومن بعد نفيهما سواء داخل البلاد (زينوفايف)أو خارجها (تروتسكي).

في عام 1928قدم ستالين الخطة الخمسية الأولى من أجل بناء اقتصاد شيوعي شامل في البلاد . وبقدر سعي ستالين نحو تحقيق الاشتراكية الدولية التي عمل من أجلها لينين من قبل وكانت أحد المبادئ التي نادت بها الثورة، عمل ستالين على تأكيد نظرية شيوعية الدولة الواحدة التي كان قد نادى بها من قبل عام 1924. ففي المجال الصناعي على سبيل المثال أحكمت الدولة السوفيتية قبضتها على كل الهيئات الصناعية والإنتاجية متبنية العديد من البرامج تصنيعية الضخمة، كما قامت بإنشاء المزارع الجماعية من أجل تحقيق نهضة مماثلة في المجال الزراعي.[1]

لاقت فكرة إنشاء المزارع الجماعية معارضات شديدة من جانب (الكولاك) مالكي المزارع وأصحاب الملكيات الخاصة للأراضي الزراعية) بالإضافة إلى بعض الفلاحين ميسوري الحال نسبيا الذي كانوا يتعمدون إخفاء جزء من إنتاجهم الزراعي وعدم تسليمه للدولة وبيعه لحسابهم الخاص فيما بعد .مما أدى لعديد من الاشتباكات بين الكولاك من جانب والسلطات المحلية وبقية الفلاحين الفقراء من جانب أخر الأمر الذي أدى لانتشار المجاعات في أنحاء البلاد مما دفع ستالين للتخلص من الكولاج حيث تم اعتقالهم سياسياً وإرسالهم إلى الجولاج للقيام بأعمال السخرة الجماعية .كما ورد وجود العديد من حركات الاغتيال المنظم لغالبية الكولاج الذين كانوا يقدرون بنحو 60

1 - الموسوعة الحرة، ويكيبيديا.

مليون فرد (كما وصفهم الروائي الروسي الشهير أليكساندر سولجينيتسين (حتى تناقص عددهم لأقل من 700ألف فرد (وفقا للمصادر الإخبارية الروسية).

واستمر الاضطراب المحلي في التنامي حتى منتصف العقد الثالث من القرن الماضي مع استمرار ستالين في انتهاج سياسة التطهير الكبرى تجاه الحزب الشيوعي وأعضائه من البلاشفة القدام وحتى الذين شاركوا مع لينين نفسه في ثورة أكتوبر .ومع ذلك وبالرغم من الأزمة الاقتصادية التي عانى منها العالم بأسره في منتصف الثلاثينات إلا أن الاقتصاد السوفيتي كان من أقوى الأنظمة الاقتصادية الموجودة في الفترة التي سبقت الحرب العالمية الثانية.

عقد الثلاثينات

شهدت السنوات الأولى من العقد الثالث للقرن الماضي تعاونا و تقاربا بين الاتحاد السوفيتي والعالم الغربي كما شارك الاتحاد السوفيتي في المؤتمر العالمي لنزع السلاح في الفترة ما بين 1932وحتى 1934، وفي 1933أقيمت العلاقات الدبلوماسية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وبعدها بعام في سبتمبر 1934انضم الاتحاد السوفيتي لعصبة الأمم .ومع تفجر الحرب الأهلية الإسبانية قام الاتحاد السوفيتي بدعم الجمهوريين في مواجهة القوميين بقيادة فرانسيسكو فرانكو المدعوم من قبل إيطاليا الفاشية وألمانيا النازية.

يعد الاتحاد السوفيتي السابق أكبر دول العالم)قبل تفككه (من حيث المساحة، وكان يحده شمالاً المحيط القطبي الشمالي ومن الشرق المحيط الهادي ومن الجنوب منغوليا، الصين، أفغانستان، إيران وتركيا وغرباً بحر البلطيق ودول حلف وارسوا السابقة.

الاقتصاد

كان اقتصاد الاتحاد السوفيتي يعتمد أسلوب التخطيط المركز حيث وجدت خطط خماسية لكل فترة بها الأولويات الاقتصادية للدولة وشملت هذه الأولويات كل القطاعات خاصة في فترة الحكم الستالينية حيث شهد الاقتصاد السوفيتي تطورا ملحوظا من دولة فلاحية إلى دولة صناعية خاصة مع عمليات التنقيب عن النفط في سيبيريا واكتشاف ثروات معدنية هائلة في تلك المنطقة مما سهل عملية تعافي الاقتصاد السوفياتي وكذلك ازدهر الاقتصاد السوفييتي بوجود التعاضديات الفلاحية السفخوزات والكلخوزات، وهي تعاضديات تطبق فكرة الملكية الجماعية لوسائل الإنتاج أما عن الاستثمارات فقد انعدمت الاستثمارات الفردية في الدولة السوفييتية إلا بعد الاستثمارات الفلاحية الصغيرة العائلية خاصة وسيطرت الحكومة المركزية على كل فروع الاقتصاد السوفييتي منها الخدمات والصناعة والفلاحة مما دعم وجود الدولة في كل المجالات الاقتصادية لكن رغم ما حققه الإتحاد السوفييتي من نهضة اقتصادية شاملة في عهدي ستالين وخروتشوف، سرعان ما ضعفت الحكومة المركزية في موسكو مما سبب انهيار العديد من القطاعات الاقتصادية وكذلك بسبب النفقات على السلاح والحرب السوفييتية الأفغانية انهار الاقتصاد السوفييتي انهياراً كبيراً وذلك في آخر سنوات الاتحاد.[1]

1 - http://mapyourinfo.comwiki/ar.wikipedia.org.

الديانات

كانت الحكومة السوفيتية في مجلس السوفيت قد نفذت في تلك الفترة إجراءات مشددة وقيودًا صارمة على أماكن العبادة سواء في الجمهوريات ذات الأغلبية المسيحية أو المسلمة أو البوذية وغيرها من الديانات إذ يجد المتتبع لتاريخ الاتحاد ونظامه الشيوعي في أدبيات الحزب الحاكم وفي مؤسساته الحزبية وخاصة في تنظيماته الشبابية قد صورت العبادات وأماكن التعبد بشيء من الاستخفاف فضلا عن النيل منها في طروحات دراسية أو فلسفية فكرية جاءت بالضد من الدين والنظرة إليه.

الثقافة

ازدهر فن الرسم خاصة بازدهار الأفكار الشيوعية والعمالية .وأيضاً في الحرب العالمية الثانية عند الاجتياح الألماني للإتحاد السوفياتي مما دفع بدور النشر إلى نشر معلقات تشجع الشباب للانضمام للحرب.

تفكك الاتحاد السوفييتي[1]

تفكك الاتحاد السوفييتي رسمياً في 25ديسمبر 1991 باستلام بوريس يلتسن مقاليد الحكم، وكان قدوم الرئيس السوفييتي ميخائيل غورباتشوف وخططه الواعدة بإعادة البناء وخفض التوتر السوفييتي-الأمريكي قد مهّد

1 - http://www.moqatel.com

الطريق إلى الانهيار السلميّ نوعاً ما، والذي أحاط به ضباب من الانقسام الداخلي في الجيش السوفييتي، الذي أوصل بوريس يلتسن على ظهر دبابة إلى سدة الحكم في روسيا.

قبيل انهيار الاتحاد السوفييتي بقليل قام عدد من كبار المسؤولين بانقلاب على سلطة جورباتشوف بهدف إعادة الاتحاد السوفييتي نحو النظام الشمولي المركزي، والتخلص من البريسترويكا التي أقامها جورباتشوف، والتي تبتعد عن روح النظام الشيوعي .

تم إخضاع جورباتشوف للإقامة الجبرية وتشكيل لجنة حكم تقوم بأعماله، ورغم ثقل الشخصيات المشاركة في الانقلاب إلا أنه قد فشل بسبب الجماهير التي كانت قد فقدت الإيمان بالإتحاد السوفييتي بسبب الانهيار الاقتصادي الشامل .لم تقم الوحدات العسكرية المشاركة بضرب الجماهير المناهضة بالانقلاب، ولم تكن قيادة الانقلابيين قوية كفاية لاتخاذ القرارات الحاسمة الجريئة في تلك اللحظات .انتهى الانقلاب ببزوغ نجم يلتسن، وتوقيع رؤساء الجمهوريات السوفييتية على وثيقة حل الاتحاد السوفييتي.

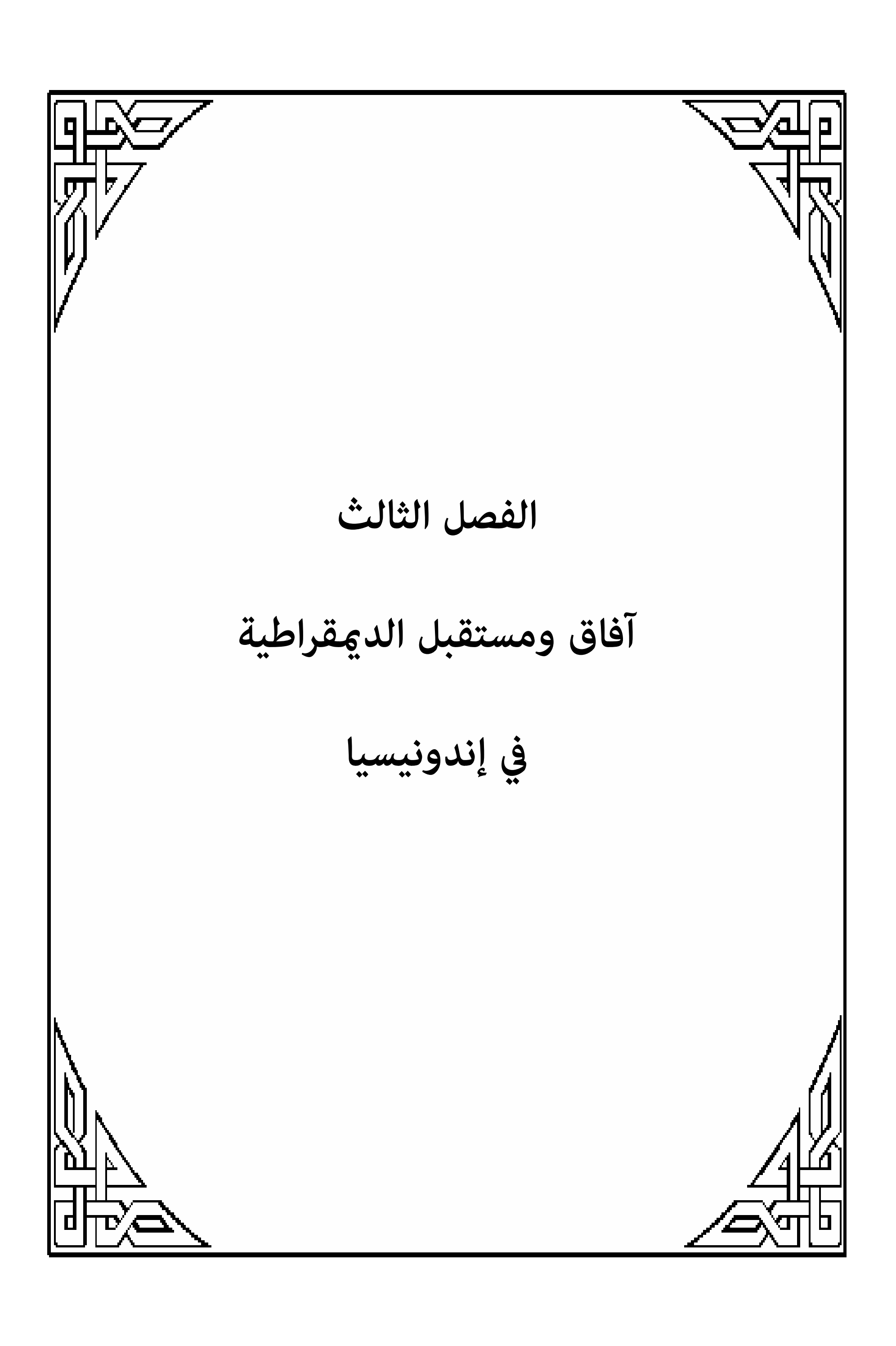
بانهيار الاتحاد السوفييتي أسدل الستار على أول تجربة لنظام اشتراكي يقوم على أفكار ماركس وإنجلز ولينين .ويبقى الجدل لغاية اليوم :هل كان السبب في انهيار الإتحاد السوفييتي خلل في النظرية الاشتراكية ذاتها أم هو خلل في التطبيق؟

تفكك الاتحاد السوفيتي إلى 15دولة مستقلة وهي: [1]

جمهوريات السلاف : (روسيا، أوكرانيا، بيلاروسيا)، جمهوريات البلطيق: (استونيا، ليتوانيا، لاتفيا)، جمهوريات الأتراك : (تركمانستان، كازاخستان، أوزبكستان، قرغيستان)، جمهوريات القوقاز : (أرمينيا، جورجيا، أذربيجان)، جمهوريات أخرى : (مولدافيا، طاجاكستان).

---

1 - http://www.aawsat.com



الفصل الثالث

آفاق ومستقبل الديمقراطية

في إندونيسيا

الفصل الثالث

آفاق ومستقبل الديمقراطية في إندونيسيا

مقدمة

في ظلّ موجة الإحياء الإسلامية وتنامي الحركات الديمقراطية في شمال إفريقيا ومنطقة الشرق الأوسط، لعل من المناسب إلقاء الضوء على التجربة الإندونيسية كنموذج للديمقراطية الإسلامية .فقد نجحت إندونيسيا في الحفاظ على حكومة ديمقراطية راسخة، وعلى الحريات المدنية، إضافة إلى تحقيق نمو اقتصادي هائل.

حتى عام 1998كانت تركيا تُعد نموذجاً للديمقراطية في العالم الإسلامي، فأنقرة ذات الأغلبية المسلمة لم تطبق المبادئ العلمانية بصرامة فحسب، ولكنها حاولت أيضا الحفاظ على حكومة ديمقراطية .وبالرغم من وجود بعض الانتقادات حيال تأثير الجيش الواسع في تحديد السياسات التركية، فإن الكثيرين ظلوا يرون في تركيا حتى ذلك الوقت النموذج الوحيد للديمقراطية الإسلامية في العالم .وفي ظل غياب حكومات ديمقراطية في العالم الإسلامي، كان ظهور الديمقراطية التركية، رغم محدوديتها، مدعاة للارتياح.

هذه النظرة تغيرت بعد انتقال إندونيسيا من حكم نظام استبدادي إلى الديمقراطية في عام 1998. وبعد ذلك بثماني سنوات صنفها معهد "فريدوم هاوس"[1] للأبحاث البلاد على أنها "بلاد حرة" لتكون بذلك الدولة الوحيدة ذات الأغلبية المسلمة التي تحصل على هذه التصنيف .فمن بين دول شمال إفريقيا والشرق الأوسط لا توجد دولة واحدة ينظر إليها باعتبارها دولة حرة سوى إسرائيل.

ومنذ ذلك الحين والعديد من زعماء العالم يشيدون بالديمقراطية الفتية في إندونيسيا .فوزيرة الخارجية الأمريكية هيلاري كلينتون وصفت إندونيسيا بأنها نموذج يحتذى للديمقراطية في العالم الإسلامي .وأعربت كلينتون عن اعتقادها أن :"التاريخ الحديث لإندونيسيا يقدم مثالاً للتحول إلى الحكم المدني وبناء مؤسسات ديمقراطية قوية"[2].وعلى المنوال نفسه أشار الرئيس أوباما إلى أن الديمقراطية الإندونيسية يمكن أن تكون نموذجاً لمصر .كما قام أوباما بالفعل بالإشادة بالديمقراطية الإندونيسية في كثير من الأحيان كنموذج جيد للعالم .وفي ظل انتشار الحركات الديمقراطية في أرجاء واسعة من العالم العربي، من الضروري استقراء النماذج الديمقراطية في العالم الإسلامي .

هناك على الأقل أربعة أسباب لاعتبار إندونيسيا نموذجاً جيداً وهي :

1 - فريدوم هاوس: منظمة تنادي بالديمقراطية والحرية في العالم. تأسست عام 1941 من قبل "اليانور روزفلت" و "وندل ويلكي" واميركيين آخرين.

2 - من خطاب هيلاري كلينتون أثناء زيارتها إندونيسيا، 2-3 أيلول عام 2012.

- أولاً :إندونيسيا هي أكبر دولة مسلمة من ناحية تعداد السكان، ومرت بتحول سياسي من نظام استبدادي إلى نظام ديمقراطي.

- ثانياً :استطاعت البلاد تحقيق استقرار سياسي رغم النزاعات العرقية والصراعات الطائفية التي ظهرت في سنوات التحول السياسي الأولى.

- ثالثاً :أظهرت إندونيسيا أداءً اقتصادياً مستقراً .فقد وصل معدل النمو الاقتصادي خلال الخمس سنوات الماضية إلى ٦ بالمائة .وفي عام 2009 استطاعت إندونيسيا، بجانب الصين والهند، أن تكون من الدول الوحيدة في العالم التي استطاعت الحفاظ على معدل نمو يناهز ٤ بالمائة رغم الأزمة الاقتصادية في ذلك العام.

- رابعاً :إندونيسيا هي الدولة الوحيدة ذات الأغلبية المسلمة التي فشلت فيها الأحزاب الإسلامية في الفوز بالانتخابات العامة .ففي دول الشرق الأوسط وشمال إفريقيا حسمت الأحزاب الإسلامية السياسية الانتخابات لصالحها في ظل الديمقراطية.

إندونيسيا هي حالة مثيرة للاهتمام لمن يدرس التفاعل بين الإسلام والديموقراطية .وفي ظل موجة الإحياء الإسلامي والحركات الديمقراطية المتنامية في شمال أفريقيا والشرق الأوسط، فإن السؤال حول ما إذا كانت البلدان المسلمة ستكون أكثر أسلمة أو أكثر علمانية أصبح مهما على نحو متزايد.

وللمزيد من فهم التجربة الإندونيسية، لا بدّ من شرح الخلفية التاريخية لرحلة إندونيسيا إلى الديمقراطية.

بدأت عملية التحول الديمقراطي الراهنة في إندونيسيا في عام 1998، وتحديداً في 12أيار /مايو، عندما أعلن الرئيس سوهارتو على الملأ استقالته، منهياً بذلك حكمه للبلاد الذي استمر 23عاماً .وكان الإعلان مفاجئاً تماماً لأن سوهارتو كان قد انتخب لتوّه للمرة السابعة والتزم بحكم البلاد لخمس سنوات أخرى .ويبدو أن الضغط العام الذي تسببت فيه الحركات الطلابية هو السبب الرئيسي لاستقالة سوهارتو .فقد احتل الطلاب البرلمان لمدة ثلاثة أيام، وكانت أعمال الشغب قبل ذلك بأسبوع 15-14) أيار /مايو (قد أوصلت العاصمة إلى طريق مسدود .إذاً كانت إندونيسيا على شفا الانهيار المالي والسياسي .وكانت استقالة سوهارتو الاستجابة الصحيحة في وضع متأزم.

المبحث الأول

المشاكل التي تعترض الديمقراطية في إندونيسيا

1ـ التركيبة السكانية (العرقية والدينية)للشعب الإندونيسي[1]:

إن من المشاكل التي تعيق تطبيق الديمقراطية بصورة صحيحة هي التركيبة السكانية والعرقية والدينية للشعب الاندونيسي، نظراً إلى كون الجزر الاندونيسية جزراً متباعدة الأطراف ومتداخلة في التركيبة العرقية مما يجعل السيطرة عليها أمراً صعباً في ظل نظام ديمقراطي وليد وفتياً ومتخوفاً من اتهامه بانتهاك حقوق الإنسان في المقاطعات التي تشهد اضطرابات عرقية.

وتتعدد التركيبة السكانية والعرقية في اندونيسيا في أماكن التعايش حيث يبلغ عددها قرابة (300)جماعة عرقية تتحدث ما يقرب (250) لغة ولهجة ويتضاءل تعداد بعض الجماعات حتى لا يتعدى بعضها الألوف مثل كوندنغ 10)آلاف نسمة (وكوبو 12)ألف نسمة (ويتضخم البعض الآخر ليشكل نسبة كبيرة من الخريطة السكانية كما هو الحال مع الجاويين الذين يصل تعدادهم 80)مليون نسمة (وبنسبة (45%)من مجموع السكان.

---

1 - the muslim news, united kingdom.

وفيما يلي أهم الجماعات العرقية:

أكبر الجماعات العرقية في إندونيسيا					
الجماعة	**التعداد بالمليون**	**النسبة إلى السكان**	**المكان**	**الدين**	**اللغة**
الجاويون	80	45%	وسط وشرق جاوا	أكثر من 97% مسلمون	الجاوية
الساندان	22,559,700	14%	الجنوب الغربي لجاوا	غالبيتهم مسلمون	الساندية
المادوريون	12,125,600	7,5%	جزيرة مادورا والشمال الشرقي لجاوا	99%	المادورا
ملاويو	12تقريباً	7,5%	سواحل جزيرة سومطرا	99% مسلمون	مجموعات لغات محلية

إن اللغة الرسمية الإندونيسية هي الباسا الإندونيسية وبها يتكلم أكثر السكان إلا بعض المجتمعات البدائية الموجودة في غابات آريان جايا، وما تزال الحكومة تسعى منذ الاستقلال لتعميم الباسا لتكون اللغة المشتركة لجميع السكان.

وتعتبر اللغة الملاوية أصل الباسا، والأخيرة هي لغة الأسواق في المدن الساحلية وتوجد بها بعض المفردات الصينية والهندية والعربية والهولندية والإنكليزية، وفي سنة 1972 اتفقت اندونيسيا وماليزيا على توحيد قواعد كتابة الباسا في البلدين.

واليوم يتكلم بها أغلب السكان ويدار بها التلفزيون والإذاعة والصحافة المكتوبة، والتعليم في جميع مراحله إلا ما كان في بعض التخصصات العلمية الدقيقة فإنها تستخدم الإنكليزية.

كما أن الدين يشكل عاملاً مهماً في إعاقة تطبيق الديمقراطية خاصة في المقاطعات التي تشهد تداخلاً مختلفاً في المعتقدات الدينية وبالرغم من مبدأ الباتشسيلا التي ذكرت سابقاً والتي تقوم عليها فلسفة الدولة إلا أن الصراع في هذا المجال أخذ يتصاعد في مناطق الاشتباك التي تشهد تداخلاً سكانياً وخاصة في جزيرة مكلو أو جزر الملوك وفي مناطق أخرى لا سيما وأن الدولة الإندونيسية لم تنجح في معالجة ذلك كما أن للتدخلات الأجنبية دورها في تأجيج وإثارة هذه النعرات.

2ـ الفساد الإداري:

تعاني إندونيسيا من ظاهرة الفساد الإداري المستشري في أغلب المؤسسات الإندونيسية وبالرغم من حملة الحكومة التي بدأت عام 1999للقضاء على الفساد في المؤسسات إلا أنها ما زالت بعض المؤسسات تمارس الفساد الذي يؤثر بشكل عام على أسلوب الشفافية والديمقراطية ويتشبث بالأساليب البيروقراطية التي ورثها من أنظمة الاستبداد السابقة.

مكافحة الفساد الإداري:

تحتل إندونيسيا وحسب إحصاءات ودراسات دولية مرتبة متقدمة في العالم في انتشار الفساد الإداري والرشوة، مما أدى إلى تعثر أجهزة الدولة في تحقيق العدالة والمساواة بين الناس واستشرى هذا الفساد في القعود الاقتصادية التي تجريها الدولة وكذلك فإن الشركات الخاصة للأحزاب والسياسيين والوزراء وحتى القيادة متخلفة في أجهزة الدولة وهي تسعى لجني المكتسبات المادية والمدافع الضيقة بعيداً عن المصلحة العامة لحسابها الخاص.

وقد عجزت القيادة التي أعقبت سوهارتو عن إصلاح هذه الأوضاع لا بل مارست ذلك وما سقوط الرئيس عبد الرحمن واحد إلا نتيجة ضلوعه في فساد إداري وتلاعب في أموال الدولة وكذلك فعل رئيس البرلمان أكبر تاغونغ وحيث تمت محاكمته بشأن اختلاسات مالية كما اتهم زوج الرئيس ميغاواتي السيد توفيق كيماس باستغلال نفوذ زوجته في إجراء عقود وصفقات تجارية.

إن استشراء هذا الفساد ووضع ضوابط وحلول جذرية له أصبح مطلب جماهيري واسع يعيق التحولات الديمقراطية لإعادة الثقة بالدولة وهيبتها وتطبيق القوانين والإجراءات على الجميع.

دور الجيش:

تأسس الجيش الاندونيسي في 5/11/1965منذ هذا اليوم اعتبر هذا التاريخ عيداً وطنياً، وهو في الأصل وليد الثورة الإندونيسية التي نشبت في آب 1945/وقد كان الجيش هو الابن البار للشعب في ثورته ضد الاحتلال الأجنبي.

ولكن هذه القوات مرت في نموها بظروف أدت إلى ابتعادها عن الشعب ودخولها في حلبة الصراع على السلطة نتيجة لظهور المذهب الذي أفسح المجال للجيش للتدخل في جميع الشؤون المدنية سياسية كانت أو اجتماعية أو اقتصادية وأصبحت القوات المسلحة ذات مهتمين عسكرية لغرض السيطرة السياسية بالقوة لممارسة الاستغلال الاقتصادي مما أدى إلى تواجد الضباط في إدارات الشركات التجارية والمزارع الكبرى والمؤسسات الثقافية والاجتماعية وحتى في السلطة التشريعية (البرلمان ومجلس الشورى الشعبي.

ولغرض فرض سيطرة الرئيس السابق سوهارتو على الأقاليم الإندونيسية فقد استغل الجيش لتحقيق مطلبه فكان هذا الجيش القوة الضاربة بيد الرئيس لسحق الحركات الانفصالية في الأقاليم الإندونيسية وبشكل منافي لكافة حقوق الإنسان وقمع الاضطرابات الشعبية والطلابية مما أدى إلى زيادة نفوذ الجيش وتغلغله في كافة مرافق الدولة.

وبعد سقوط سوهارتو انحسر دور الجيش نتيجة المطالبات الشعبية بمحاكمة قادته عن الأعمال التي ارتكبوها بحق هذا الشعب كما ازدادت الحركات الانفصالية من عملياتها مطالبة بالانفصال عن إندونيسيا ونتيجة لانحسار دور الجيش فقد أوكلت مهمة تحقيق الأمن والاستقرار في البلاد إلى قوات الشرطة التي لم تكن مهيأة لذلك ولهذا عمت الفوضى وعدم الاستقرار والتفجيرات وحوادث العنف في إندونيسيا وتقف الحكومة الإندونيسية عاجزة عن معالجة هذا الوضع فهي بحاجة إلى إعادة دور الجيش في تحقيق الأمن والاستقرار ولكنها تخشى أن هي فعلت ذلك من إعادة نفوذه السابق في الحياة السياسية للبلاد .والمؤسسة العسكرية الإندونيسية ما زالت قوية ولها نفوذ واسع وتستغل الفرص لإعادة دورها وهيبتها، أمام ذلك تخشى الجماهير من المؤسسة العسكرية التي أذاقتها صنوف العذاب والقتل والتدمير.

وخلاصة القول أنه لابد أي بلد من جيش قوي يحمي حدوده ومصالحه ولكن يجب أن يكون دور هذا الجيش منصب على ذلك ولضمان استمرار الإجراءات الديمقراطية في إندونيسيا فعلى الحكومة إلغاء الوظيفة المزدوجة للجيش وكذلك إلغاء مقاعد البرلمان المخصصة لها.

المبحث الثاني

الحركات الانفصالية وأثرها على الديمقراطية في البلاد

في أعقاب نجاح الحركة الوطنية الإندونيسية عام 1945في الإعلان عن استقلال إندونيسيا عن الاستعمار الهولندي الذي دام نحو ثلاثة قرون، أجبرت هولندا في مؤتمر لاهيج عام 1949على الموافقة عليه تحت مسمى الجمهورية الفيدرالية للولايات المتحدة الإندونيسية .غير أن القيادة السياسية بزعامة سوكارنو ركزت على هدف استمرار الوحدة السياسية للبلاد، فعمدت عام1950 إلى إلغاء الفيدرالية لتحل محلها إندونيسية موحدة، واجتهدت في لم شمل جميع الأعراق التي تحتويها البلاد بما تتضمنه من تباينات لغوية ودينية وثقافية، وما تضفيه الطبيعة الجغرافية عليها .وفي سبيل ذلك أرسى سوكارنو المبادئ الخمسة التي تضمنها "البانتشيسلا" وهي :الإيمان الكامل بالوحدانية الإلهية، والتعامل الإنساني العادل والمتحضر، ووحدة إندونيسيا، والديمقراطية القائمة على الحكمة والتشاور، وأخيراً مبدأ العدالة الاجتماعية.

ومن منطلق مبادئ "البانتشيسلا" التي أضحت تشكل جوهر الدستور الاندونيسي، والمؤكدة على وحدة الأراضي الإندونيسية في إطار التباينات العرقية واللغوية والدينية والثقافية رفضت الحكومات الإندونيسية المتعاقبة أي حركة انفصالية .فعلى الرغم من أن المسلمين يشكلون الأغلبية العظمى من سكان البلاد، فإن الحكومة عادة ما نظرت بحساسية شديدة لأي اضطرابات دينية من قبلهم، ومن ثم كان اعتراف الدستور الاندونيسي على قدم المساواة

بكل من الإسلام والمسيحية الكاثوليكية أو البروتستانتية والبوذية والهندوسية، ومن هنا كان رفض الحكومة الإندونيسية لأي دعوة تهدف إلى تأسيس دولة إسلامية باعتبار أن ذلك يشكل تهديداً مباشراً للوحدة الوطنية والسلام الاجتماعي للبلاد، فسارعت إلى إخماد الانتفاضات التي اندلعت هنا وهناك على يد الجماعات الإسلامية، كما هو الحال في غربي جاوا، وفي آتشه، وكذلك الحركات المعارضة للنظام الجمهوري الموحد، والتي كانت تدعمها هولندا في كل من سومطرة وجزر المالكو .ساعدها على ذلك التباينات القائمة بين المسلمين أنفسهم من السانتري والأبنجان .وهكذا اعتبرت »البانتشيسلا «السبيل الوحيد لتحقيق الوحدة والحفاظ عليها، خاصة وأن الإيمان باللـه الواحد يمثل مبدأً مقبولاً تماماً ليس فقط من قبل المسلمين بل أيضاً من جميع الأقليات الدينية الأخرى، بما يمثله من ضمانة لهم ضد أي محاولة لتبني مبادئ دستورية محددة تجعل من الإسلام ديناً رسمياً للبلاد.

نجحت فلسفة »البانتشيسلا «في تحقيق قدر يعتد به من الوحدة بين مختلف الأعـراق، وتمكنت من تجاوز الخلافات والنزاعـات الدينيـة .وإن كـان ذلـك يرجـع في الوقـت نفـسه إلى نجاح المؤسسة العسكرية في إندونيسيا منذ الاستقلال وحتى مطلع التـسعينات مـن الإمـساك بزمام الأمور وضبط إيقاع الحركة الـسياسية في الـبلاد في إطـار تحـالف عـسكري بيروقراطـي . غير أن الخوف من تنامي نفوذ المؤسسة العسكرية بفضل الـدور الـسياسي والاجتماعـي الـذي اضطلعت به حدا بالرئيس سوهارتو، الذي فطـن إلى خطـورة مثـل هـذا الموقـف، إلى البحـث عن قوة سياسية يمكنها موازنة الهيمنـة العـسكرية عـلى الحيـاة الـسياسية وتحجـيم دورهـا .

وجد سوهارتو ضالته في الحركات الإسلامية، فأطلق لها العنان وأعطاها مزيداً من حرية الحركة، لا سيما الحركات المعتدلة منها.

ومن الملاحظ بصفة عامة أن للحركات الإسلامية في إندونيسيا طابعاً إصلاحياً هادئاً في تحقيقها لأهدافها .ويرجع ذلك بالأساس إلى إيمانها بالثقافات التقليدية التي تؤكد على التسامح والعمل الجماعي، الأمر الذي جعلها تقبل التعددية السياسية ولغة الحوار في انتقاداتها للنظام وسياساته دونما لجوء إلى استخدام العنف، وإن استثني من ذلك بعض الحركات الإسلامية الراديكالية، كما هو الحال بالنسبة للحركة الإسلامية في آتشه وفي جزر المولوكو الشرقية، التي تشدد النظام في مواجهتها لما تمثله من حساسية شديدة بالنسبة لقضية الوحدة الوطنية .وفي ما عدا ذلك يمكن القول بأن رد فعل الدولة إزاء حركات الإسلام السياسي قد اتسم بطبيعة تكييفية بصفة عامة، وإن لم يحل ذلك دون التزام الحكومات الإندونيسية المتعاقبة بمبدأ الدولة العلمانية ورفضها مطالب العناصر الإسلامية النشطة باعتبار الإسلام الدين الرسمي للبلاد.

خلاصة القول أنه بفضل هذه السيادة القائمة على معارضة أي حركة انفصالية أو هادفة إلى إحداث انقسامات تهدد الوحدة الوطنية تمكن حزب غولكار الحاكم منذ تأسيسه عام 1971من الحفاظ على تماسك البلاد والحفاظ على وحدته على حد كبير رغم حدة التباينات مستنداً في ذلك إلى دعم المؤسسة العسكرية، التي نجح النظام في موازنة قوتها بقوة الحركات الإسلامية التي أمكن له تسييسها جنباً إلى جنب مع تمسكه بفلسفة "البانتشيسيلا".

عرفت إندونيسيا عبر تاريخها المعاصر العديد من الحركات الانفصالية والنزاعات العرقية والدينية التي شملت مناطق تمتد من أقصى شرقي البلاد حيث أرخبيل جزر البهار إلى منطقة آتشه في أقصى غربها، لم يقف الأمر عند حد سقوط الآلاف من القتلى والجرحى، بل بلغ الأمر حد نجاح إحدى هذه الحركات في تحقيق الاستقلال كما هو الحال بالنسبة لإقليم تيمور الشرقية الذي استقل عن إندونيسيا عام 1999رغم أن تعداد سكانه لا يصل إلى المليون نسمة، وبما قد ينظر إليه من قبل بعض الحركات الانفصالية باعتباره سابقة قابلة للتكرار، وبما قد يخشى معه انفراط عقد البلاد، وإذا كان من الممكن في نظر البعض إيجاد تفسير للحركة الانفصالية في جزر البهار على سبيل المثال باعتبار أن المسيحيين فيها يشكلون 44%من إجمالي سكانها بخلاف سائر أنحاء البلاد، فكيف يمكن تفسير الحركة الانفصالية في إقليم مثل آتشه ذي الأغلبية المسلمة، والذي يقع تحت سيادة أكبر دولة إسلامية في العالم، ومع ذلك لا ترضى عن الانفصال بديلاً؟ الأخطر من ذلك أن هذا الإقليم شهد أواخر عام 1999، وعقب استقلال تيمور الشرقية مباشرة أضخم مسيرة تطالب بالاستقلال في تاريخ البلاد ضمت نحو مليون شخص طافت مدينة باندا عاصمة الإقليم مطالبة بإجراء استفتاء حول تقرير مصير الإقليم على غرار ذلك الذي حصل بموجبه إقليم تيمور الشرقية على الاستقلال . ولم يتوقف الأمر عند حد سقوط نحو أربعة آلاف قتيل نتيجة للتوترات بين المسلمين والمسيحيين في الجزر في عامي 1999ـ 2000، بل بلغ الأمر كما تشير بعض التقارير إلى درجة انحياز بعض أفراد من قوى الأمن الاندونيسي الوطنية إلى هذا الفريق أو ذاك مستخدمة في

ذلك أسلحتها في المواجهات .ولا يقتصر الأمر على إقليم آتشه أو جزر البهار، بل تتعدد الحركات الانفصالية والنزاعات العرقية والدينية لتشمل مناطق أخرى كثيرة في آريان جايا، ورياو، ومادورا، وبورنيو، وغيرها.

أسباب نشوء الحركات الانفصالية

يمكن تلخيص أسباب نشوء الحركات الانفصالية بما يلي:

1ـ سياسات التهجير والتعديل السكاني:

بسبب ازدياد كثافة السكان في مناطق معينة دون غيرها بحكم الطبيعة الجغرافية للبلاد، خاصة في جزيرة جاوا، فقد بدأ المستعمرون الهولنديون منذ مطلع القرن العشرين في تطبيق برنامج يهدف إلى نقل السكان من المناطق الأكثر كثافة إلى المناطق الأقل كثافة، وفي سعيها لتحقيق التنمية الاجتماعية والاقتصادية، وتحقيق قدر من التوازن في انتشار السكان نهجت الحكومات الإندونيسية المتعاقبة بدءاً من عام 1969النهج نفسه، فقامت بتهجير عشرات الآلاف من الأسر من جزيرة جاوا إلى كل من جزيرة سومطرة وكالمنتان وسالويسي ومالكو وآيريان جايا .أدت هذه السياسة الحكومية القائمة على التهجير الجبري للسكان إلى اندلاع العديد من الموجهات وأعمال العنف بين السكان الأصليين والمستوطنين الجدد بلغت حد الحرب الأهلية في بعض المناطق، كما هو الحال في مدينة أمبون بجزر الملوك.

فلم ير سكان هذه الجزر ـ نحو 44% منهم من المسيحيين ـ في سياسة التهجير الحكومية سوى محاولة تحقيق التفوق العددي للمسلمين في مولوكو

وتشديد قبضة الحكومة المركزية في جاوا على هذه المناطق البعيدة .ونتيجة لذلك قاموا في عام 1999 باغتيال نحو (500)من القرويين المسلمين المهاجرين ,وعلى أثر هذه الواقعة تنظيم إسلامي راديكالي عرف باسم »لاسكر جهاد «حمل على عاتقه مهمة حماية المسلمين المهاجرين إلى جزر مولوكو، والذين بلغ تعدادهم قرابة نصف مليون مهاجر .أدت أعمال العنف الطائفي بين المسلمين والمسيحيين في جزر المولوكو إلى سقوط ما بين أربعة آلاف إلى خمسة آلاف قتيل خلال عامي 1999ـ .2000وحدثت توترات مماثلة بين المسلمين والمسيحيين أيضاً بسبب سياسات التهجير في جزيرة سالويسي.

علاوة على هذا العنف الطائفي، ترتب على سياسة التوطين لتخفيف الكثافة السكانية أعمال عنف عرقية في مناطق عدة منها مدينة سامبيت بجزيرة بورينو حيث مارس مسلحون من قبائل الداياك عمليات تطهير عرقي ضد المستوطنين القادمين من جزيرة مادورا .كذلك شهدت منطقة إقليم آتشه عمليات مماثلة ضد المستوطنين القادمين من جزيرة جاوا.

2ـ الحرمان النسبي والإحساس بالإهمال من جانب السلطة المركزية:

شهد المجتمع الاندونيسي تحولاً عميقاً في تركز الثروة، فخلال العقود الأولى للاستقلال كانت الثروة تتركز في المناطق الريفية، خاصة في الجزر المحيطة بجاوا .فمن خلال الاستحواذ على الأرض الزراعية، والنجاح في تصدير المحاصيل ازداد ثراء النخبة الريفية في هذه المناطق . ومع تنامي عملية التصنيع في المدن انتقل تركز الثروة في المناطق الحضرية، خاصة في كل من جزيرتي جاوا وبالي .هذا الانتقال للثروة زاد من الإحساس بالحرمان النسبي لدى سكان

المناطق المختلفة مقارنة بسكان جاوا .فعلى الرغم من أن المناطق الأخرى تسهم بالنصيب الأوفر من إجمالي الدخل القومي للبلاد فإن سكانها يشعرون بأنهم لا يحصلون إلا على القليل بينما تستأثر جاوا بالنصيب الأكبر منه .فعلى سبيل المثال يتركز إنتاج البترول الخام والغاز الطبيعي ـ الذي تعتبر إندونيسيا من الدول الرئيسية المنتجة لهما إذ وصل إنتاجها من البترول الخام أكثر من (565)مليون برميل، ومن الغاز الطبيعي (302)تريليون قدم مكعب ـ يتركز في منطقة آرون شمالي جزيرة سومطرة، ومنطقة باداق شرقي جزيرة كالمنتان .كما تتركز الاحتياطيات المؤكدة من البترول، والتي تبلغ نحو (10,4)بلايين برميل في بحر الصين الجنوبي قرب جزر ناتونا .كذلك الأمر بالنسبة للمعادن التي ستهم بنحو (10%) من إجمالي الدخل القومي لإندونيسيا، إذ توجد احتياطيات البلاد من القصدير في جزر بانجاكا وبليتونج، واحتياطيات البوكسيت على امتداد سواحل كالمنتان الغربية وأرخبيل رياو، ويتركز النيكل في جزيرة سالويسي، والنحاس في جزيرة آيريان جايا، أما الذهب الذي تزايد إنتاج إندونيسيا منه مؤخراً ليصل إلى 65)م ([3]فيأتي من منجم واحد بجزيرة آيريان جايا.

وعلى الرغم من ذلك فإن نمط توزيع العوائد والثروة في البلاد يعكس خللاً واضحاً ومتنامياً . إذ يعيش كثير من الاندونيسيين تحت خط الفقر، خاصة في المناطق والجزر المحيطة بجاوا، في عام 2007، على سبيل المثال بلغ إنفاق أغنى (10%)من سكان البلاد نحو (26%)من إجمالي الإنفاق في الوقت الذي قل فيه إنفاق أفقر (10%)من السكان عن (4%)من إجمالي الإنفاق . ولم يكن غريباً والحال هكذا أن تكون الأقلية الصينية هدفاً لهجمات كثيرة بسبب ما تتمتع به

من ثراء .أضف إلى ذلك أن معظم الصناعات الجديدة تتركز في جزيرة جاوا، خاصة في مقاطعة جاكارتا الكبرى .والحق يقال أن الحكومة حاولت جاهدة توجيه الاستثمارات الأجنبية بعيداً عن جاوا وجاكارتا نحو الجزر الأخرى، إلا أن جهودها لم تفلح في هذا الصدد .وبسبب ازدياد استياء السكان المحليين في المناطق المختلفة من قلة التمويل الذي تتلقاه من الحكومة المركزية لأغراض التنمية الاقتصادية على الرغم مما تسهم به مناطقهم في دخل البلاد من الصادرات، وتنامت الحركات الانفصالية أو الهادفة إلى تحقيق قدر من الحكم الذاتي واستقلال المناطق، والمزيد من العدالة الاجتماعية، والسيطرة على الموارد المحلية، فعلى سبيل المثال برزت حركات انفصالية بسيطة في جزر رياو وكالمنتان الشرقية، وسالويسي الجنوبية والملوك، وحركات انفصالية أكثر حدة مثل جبهة التحرير الوطنية في آتشه بجزيرة سومطرة وحركة بابوا الحرة في جزيرة بابوا.

3ـ استمرار تدني الأوضاع الاقتصادية والأزمة المالية:

لم تشهد العقود الأولى للاستقلال عملية تنمية اقتصادية حقيقية إذ ركزت حكومة الرئيس سوكارنو على مسألة تأكيد الوحدة السياسية للبلاد والحفاظ عليها .غير أنه على العكس من ذلك، أعطت حكومة الرئيس سوهارتو أولوية أكبر للاقتصاد، وبدأت منذ عام 1969في تنفيذ برنامج للخطط الخمسية نما على أثرها الاقتصاد الاندونيسي بمعدلات عالية خلال الثمانينات ومعظم التسعينيات من القرن الماضي بسبب غنى البلاد بالموارد الطبيعية .إلا أنه على الرغم من ذلك لم يترتب على النمو الاقتصادي الحقيقي الذي عرفته البلاد أي تغير حقيقي في مجال العدالة الاجتماعية والاقتصادية وبخاصة في المناطق الريفية .

فلا يعني الارتفاع المتواصل لمتوسط الدخل الفردي في إندونيسيا أي شيء بالنسبة للغالبية العظمى من المواطنين التي تعيش تحت خط الفقر .فإذا كان متوسط الدخل الفردي المعلن قد زاد من (1023)دولاراً عام 1995إلى (1140)دولاراً عام 1996ثم إلى (1300)دولار عام 1997، فإن متوسط الدخل الحقيقي لم يتجاوز (350)دولار لنحو (80%)من السكان .وربط الكثيرون بين تدني الأوضاع الاقتصادية في كثير من المناطق وتزايد الإحساس باللامساواة الاجتماعية والاقتصادية، وبين تنامي الحركات الإسلامية وتصاعد التوترات السياسية في إندونيسيا طيلة التسعينيات بسبب الإحباط الجماهيري، لا سيما بعد أن هبطت معدلات الأداء الاقتصادي إلى الصفر في السنوات الأخيرة من القرن العشرين .وزاد النمو السكاني من حدة عدم المساواة، وجاءت الأزمة المالية التي عرفتها إندونيسيا بدءً من صيف عام 1997شأنها في ذلك شأن كثير من الدول الآسيوية ـ شديدة الوطأة على الفقراء نتيجة الارتفاع الكبير في أسعار السلع والخدمات والمقرونة في الوقت نفسه بانخفاض حاد في قيمة العملة الوطنية)الروبية .(وكانت النتيجة تزايد حدة أعمال العنف الموجودة أصلاً بسبب التباينات الدينية والعرقية لتنتشر في مناطق عديدة من البلاد.

وإزاء كل ما تقدم فإن مصير إندونيسيا ووحدتها الإقليمية مرهون بنجاح قيادتها في معالجة الأزمات التي مر ذكرها في أعلاه معالجة جدية وشاملة مبنية على أسس سليمة بالحوار الديمقراطي والتسامح، كما أننا نجد أن الحل سيكون في تبني نظام اللامركزية .إن القيادة الإندونيسية قد نجحت في السابق في الحفاظ على الوحدة الإندونيسية بالرغم من التعددية العرقية والدينية واختلاف

الثقافات وتعدد اللغات .فإن إندونيسيا استطاعت في الماضي أن تحافظ على وحدة ترابها الإقليمي منذ استقلالها عام 1949ولحد انهيار النظام الاقتصادي والسياسي فيها عام 1997ولو أن قيادتها عالجت الأوضاع السياسية والإقليمية والاقتصادية التي مر ذكرها، لما صاحب التحولات الديمقراطية في إندونيسيا أعمال العنف والاضطرابات وانفلات أمني.

شهدت إندونيسيا ـ وما تـزال ـ العديـد مـن الحركـات الانفـصالية والتـوترات العرقيـة والدينيـة وأعمال العنف والشغب بسبب طبيعة نشأتها التاريخية وأوضاعها الجغرافية مـن ناحيـة، ومـا اسـتجد على ذلك من سياسات تهجير جبري طيلة القرن الماضي، فضلاً عن التحولات العميقة في تركز الثروة، وما ارتبط بذلك من حرمان نسبي لكثير من المناطق من عوائد ثرواتها الطبيعية، وكذا المشاكل الناجمة عن اللامساواة الاجتماعية والاقتصادية المتفاقمة من ناحية ثانية، والميراث الطويل لاحتكار السلطة وسيطرة المؤسسة العسكرية الجاوية وانتهاكاتها المتكررة لحقوق الإنسان، واستشراء الفساد السياسي من ناحيـة ثالثة .لا خـلاف عـلى أن كـل ذلـك يمثـل قـضايا معقـدة وذات طبيعـة مركبـة ومتـشابكة .وهـو الأمـر الذي يفرض التساؤل حول ما يمكن أن تمثله من تهديد لوحدة التراب الاندونيسي في المستقبل . وإذا كانت الحركة الانفصالية في إقليم تيمور الشرقية قد نجحـت في تحقيـق اسـتقلال الإقلـيم فهـل مـن الممكـن أن يتكـرر ذلـك بالنـسبة لحركـات انفـصالية نـشطة أخـرى مثـل الجبهـة الوطنية المتحدة في آتشه، أو حركة بابوا الحرة في جزيرة بـابوا، أو الحركـة الانفـصالية في جـزر الملوك؟ وإذا كانت الجماعـات الإسـلامية في إندونيـسيا تؤيـد بـصفة عامـة الحلـول الـسياسية

السلمية لمشاكل البلاد، فهل من المحتمل أن يتنامى الإسلام الثوري بما يمكنه من الإطاحة بالنظام، وبما قد يعرض وحدة البلاد للخطر؟ وإذا كان النفوذ السياسي للمؤسسة العسكرية قد شهد تدهوراً شديداً منذ الإطاحة بسوهارتو عام 1998، فهل يعني ذلك أنها قد تخلت، أو أنها لم تعد قادرة على الاضطلاع بالدور التقليدي الذي اضطلعت به منذ الاستقلال في الحفاظ على وحدة البلاد وتماسكها في مواجهة الحركات الانفصالية والتوترات العرقية والدينية؟ وإذا كانت فلسفة »البانتشيسلا «قد نجحت إلى حد كبير حتى الآن في الحفاظ على وحدة إندونيسيا، فهل الحديث عن »الوحدة في إطار التنوع «أضحى يعكس تطلعاً أكثر منه واقعاً حقيقياً في ضوء التطورات الحاصلة مؤخراً في البلاد؟

قبل تلمس الإجابة على التساؤلات المثارة بغية تقديم رؤية استشرافية لمستقبل الوحدة الإندونيسية في ضوء أحداث العنف العرقي والديني المتنامية التي تشهدها البلاد، هناك ملاحظة هامة تجدر الإشارة إليها، وهي أن هذه الأحداث وإن كان لها جذورها التاريخية، إلا أنها تتداخل مع عوامل مجتمعية أخرى :سياسية واجتماعية واقتصادية، داخلية وخارجية تلعب دوراً مفجراً أو معجلاً في هذه الأحداث فتزيد من تفاقمها، أو دوراً مهبطاً ومبطأ فتقلل من حدتها وما يمكن أن يترتب عليها من آثار، وعليه يصبح من الضروري أخذ مثل هذه العوامل في الاعتبار .وهو ما سوف نحاوله قدر الإمكان ـ في الإجابة على التساؤلات المطروحة، وذلك من خلال النقاط التالية:

1ــ هناك نقطة جوهرية هامة فيما يتعلق بإقليم تيمور الشرقية مقارنة بإقليم آتشه أو جزر الملوك أو آيريان جايا على سبيل المثال التي تطالب

بالاستقلال أو إجراء استفتاء حول تقرير المصير على غرار ما حدث في تيمور الشرقية، ألا وهي أن هذه الأقاليم، بخلاف تيمور الشرقية التي كانت مستعمرة برتغالية واستقلت فقط عام 1975، كانت جميعها ضمن حدود إندونيسيا إبان إعلان استقلالها عام .1945ومن ثم، فهي تعتبر جزءاً لا يتجزأ من الأراضي الإندونيسية باعتراف المجتمع الدولي والقوانين الدولية .وهو ما تتخذه الدولة الإندونيسية حجة، وتعتقد في الوقت نفسه أن التنازل عن جزيرة واحدة كبيرة أو صغيرة ـ سيفتح المجال أمام تنازلات لن تتوقف إلا بانفراط عقد الدولة .وعليه فمن المرجح أن النظام القائم سيتمسك بالحفاظ على وحدة البلاد .وهو في اعتقادي لا يزال قادراً على ذلك رغم ما يعانيه من مشاكل وأزمات.

2ـ إن تنامي الإسلام الثوري في إندونيسيا على نحو يهدد وحدة البلاد هو أمر غير وارد، وذلك لثلاثة أسباب، يتمثل أول هذه الأسباب في التباين بين المسلمين أنفسهم وما تبديه الجماعات الإسلامية بصفة عامة من احترام لمبادئ "البانتشيسلا".

ويتمثل ثانياً في الدور الموازن الذي يمكن أن تلعبه المؤسسة العسكرية، لا سيما في ضوء عدم الارتياح الذي أبدته كثيراً إزاء تنامي أنشطة الحركات الإسلامية، حتى المعتدلة منها، فما بالنا بالثورية منها .أما ثالث هذه الأسباب فيرجع إلى أنه من المرجح أن يسرع النظام إذا ما استشعر خطر تنامي الإسلام الثوري إلى إعادة النظر في سياساته الاقتصادية بصفة عامة، وتوزيع العوائد بصفة خاصة.

3ـ على الرغم مما قد يبدو من انسحاب نسبي للمؤسسة العسكرية من الحياة السياسية مؤخراً فإنها ترى في نفسها القوة الحامية لوحدة الدولة، وما تزال تتمسك بدورها الاجتماعي والسياسي الذي اضطلعت به منذ الاستقلال .فضلاً عن أن النظام لا يرغب في إقصاء المؤسسة العسكرية كلية عن الحياة السياسية، بل ينظر إليها باعتبارها صمام الأمان الأخير للرئاسة في مواجهة خصومها، وفي مقدمتها الحركات الانفصالية .بعبارة أخرى ما يزال الجيش الحكم الأخير في أي أزمة.

4ـ إن نجاح الحكومة المركزية في جاكرتا لما يزيد عن نصف قرن في إدارة البلاد »كدولة موحدة "يؤكد قدرتها على الاستمرار في تحقيق ذلك، بما يستبعد معه احتمال تعرض وحدة البلاد لخطر، وإن أقصى ما يمكن أن تضطر إليه هو القبول بشكل أو بآخر من النظم الفيدرالية، أما الحل الأقرب في مواجهة الحركات الانفصالية فيتمثل في منح صورة أو أخرى من صور الحكم الذاتي الموسع، بما يعنيه ذلك في نهاية المطاف من استمرارية تطبيق فكرة »الوحدة في إطار التعدد".

المبحث الثالث

التحديات التي تواجه الديمقراطية

بعد القضاء على النظام الديكتاتوري

إن الانتقال من نظام ديكتاتوري صارم بقيادة الرئيس السابق سوهارتو إلى ملامح نظام ديمقراطي وليد تتنازعه اختلافات سياسية ومطالب شعبية عارمة بالقضاء على شخصيات ورموز العهد المنهار وفقدان الأمن والاستقرار بسبب غياب القوة العسكرية الحازمة التي حكمت البلاد (32)عاماً وبالرغم من أنها استطاعت لم شتات البلاد المترامية الأطراف وقمع كل محاولة انفصال إلا أن الشعب الاندونيسي تعامل مع الجيش على أنه أداة للقمع أذاق الناس فيها مختلف صنوف العذاب والحرمان السياسي والقتل والتصفية الجسدية الأمر الذي أدى إلى إلقاء أعباء أمنية كاملة على كاهل قوات الشرطة والتي كانت أضعف وأعجز من السيطرة على الأوضاع الأمنية في الأقاليم خصوصاً مع تفجر الأزمات الانفصالية والنزاعات العرقية والطائفية.

عامل آخر لعب دوراً أيضاً في إقصاء الجيش وتحجيم دوره وهو المطالب والضغوط الدولية فلكي تحصل إندونيسيا على قروض مالية كان لابد لها من الانصياع للشروط بإقامة حياة ديمقراطية خالية من العسكر وملاحقة المتورطين من جنرالات العهد السابق بقضايا انتهاك حقوق الإنسان مما أدى إلى رد فعل سلبي لدى الجيش فأحجم عن دعم الحكومة.

وكان للسبب الاقتصادي دوراً كبيراً من استمرار الأزمة في إندونيسيا لا سيما أن الفساد المالي والإداري والمحسوبية والرشوة قد أصبحت مشكلة كبيرة تنخر في جسد البلاد.

بدأت حكومة الرئيس واحد باعتباره أول رئيس اندونيسي منتخب على أساس ديمقراطي تشق طريقها لتحقيق الآمال التي علقها الشعب عليها باعتبارها أول حكومة منتخبة في تأريخ إندونيسيا لتحقيق ما قطعه الرئيس على نفسه من وعود غير أن الاختلافات بدأ تظهر بين الرئيس وحكومته، ولعل أكثر المشاكل التي واجهها الرئيس واحد تكمن في طبيعته التفردية والاعتداد برأيه وإطلاقه التصريحات الاستفزازية ضد الجيش والأحزاب والشخصيات الأخرى، ومنذ البداية أقال عدة وزراء في حكومته كان أهمهم الجنرال ويرانتو الوزير المنسق للشؤون الأمنية والسياسية مما أثار غضب قيادات الجيش عليه، كما أنه واجه حكومة مؤلفة من جميع الأطراف السياسية ووزراء هم أكثر ولاء لأحزابهم من ولائهم للرئيس نفسه أما على الصعيد الاقتصادي فقد واجه الرئيس واحد خزينة خاوية وديوناً خارجية متراكمة تصل إلى (140)مليون دولار، وطيلة فترة حكمه التي قاربت عاماً ونصف العام واجه واحد أزمات انفصالية في الأقاليم الإندونيسية وتدهوراً أمنياً في العاصمة الإندونيسية نفسها لا سيما حوادث التفجيرات التي استهدفت مؤسسات حكومية وسفارات أجنبية وكان من الواضح أن أطرافاً في الخفاء تعمل من أجل إغراق الرئيس وحكومته في أزمات متلاحقة وفي أثناء وفي ظل هذه الأجواء ظهرت ملامح الفضائح المالية تحوم حول الرئيس واحد حيث سارعت الأحزاب المعارضة إلى تلقفه

واستخدامه للإطاحة به، وبعد تحقيقات أجرتها لجنة برلمانية خاصة وجه البرلمان اتهامات للرئيس بالتورط في الاستيلاء على أموال حكومية تبلغ (4)ملايين دولار بواسطة المدلك الخاص للرئيس، إضافة إلى اتهامه بعدم توضيح مصير مليوني دولار تبرع بها سلطان بروناي لإعادة إعمار إقليم آتشه.

وجاء التصويت في البرلمان بإصدار رسالة تحذير إلى الرئيس حيث صوت (394)نائباً من بين (500)على ذلك وكان موقف حزب نائبة الرئيس ميغاواتي مفاجئاً للرئيس الذي كان يؤكد قبل يوم واحد من تصويت البرلمان أن ميغاواتي وحزبها إلى جانبه واعتبرت التكتلات البرلمانية أن رسالة البرلمان للرئيس التحذيرية الأولى تلزمه بتحسين أدائه الرئاسي إلى جانب توضيح موقفه من التهم الموجه إليه، وتؤكد هذه التكتلات أن أداء الرئيس واحد لم يتحسن بل تراجع ووفقاً للإجراءات الدستورية فإن منح الرئيس واحد رسالة ثانية يعني أن احتمالات الدعوة إلى عقد جلسة استثنائية لمجلس الشعب الاستشاري وهو أعلى هيئة تشريعية في البلاد من أجل عزل الرئيس واحد أصبحت قريبة، ويقف الرئيس واحد وحيداً في هذه الأزمة إلا من أنصاره في حركة نهضة العلماء والذين يؤكدون استعدادهم للنزول إلى الشارع ومواجهة ما أسموه مؤامرة لعزل زعيمهم، وعلى صعيد الأحزاب لا يجد الرئيس إلا حزب نهضة الأمة الذي أسسه هو وتزعمه والذي يملك (51)مقعداً فقط، حتى قادة الجيش فإنهم يؤكدون أنه لابد للدستور أن يكون هم الفاصل في عملية عزل الرئيس وهم لا يكنون أي ود له ويشعرون أن عزل الرئيس واحد سيتيح المجال لميغاواتي نائبة الرئيس ذات العلاقة الطيبة معهم للفوز بالرئاسة وهو أمر يخدم الجيش في

العودة خلفها إلى دوره في قيادة البلاد، وقد تتطلب تهديدات أنصار الرئيس واحد بالنزول إلى الشوارع والزحف نحو العاصمة جاكارتا وبخاصة إذا حصلت صدامات مع معارضيه وأصبحت الأمور الأمنية تهدد بالانفلات لأن ذلك سيعني تدخل الجيش .وهذا يعني أن الجيش يعود للعب دور سياسي في الحكم.

وقد عقد المجلس الاستشاري الشعبي جلسته الاستثنائية في 23/7/2001، وسط إجراءات أمنية لم تشهدها العاصمة الإندونيسية سابقاً وتم خلالها إقرار ما يلي:

1ـ إلغاء قرار تكليف عبد الرحمن واحد بالرئاسة.

2ـ تعيين نائبة الرئيس ميغاواتي رئيسة للبلاد.

3ـ انتخاب نائب الرئيس خلال أيام.

4ـ تكليف ميغاواتي إدارة البلاد وتشكيل حكومة جديدة.

وقد كان الأثر الإيجابي الذي اتخذته القوات المسلحة في تأييد الإجراءات من خلال مندوبيها الـ (38)في المجلس سبباً في ردع أي محاولة للشغب .كان أنصار واحد قد هددوا بها والمفاجأة الأخرى هي عدم ظهور أي رد فعل شعبي يستحق الذكر مؤيداً للرئيس السابق الذي يصر على أن الإجراءات هي غير دستورية، وأصر على عدم ترك مقر الرئاسة، ومن جهتها أعلنت ميغاواتي عزمها على عدم الانتقاص من شخص الرئيس، وبعد قرار مجلس الشورى الاندونيسي عزل الرئيس عبد الرحمن واحد أثر اتهامه بالتورط في فضائح مالية في 23/7/2001، وتكليف السيدة ميغاواتي سوكارنو نائبة الرئيس بتشكيل حكومة جديدة، بادرت السيدة ميغاواتي بتشكيل حكومة موسعة من (32)

حقيبة وزارية مثلت فيها جميع الأحزاب والكتل البرلمانية والمفاجئة التي حصلت أن المخاوف والتوقعات التي كانت السلطات تتوقعها والتي هدد بها عبد الرحمن واحد وأعوانه، وحتى الخارجية الإندونيسية قامت باستدعاء ممثلي البعثات الدبلوماسية والسفارات ونصحتهم بعدم مغادرة منازلهم خلال تلك الأزمة كما أن الجميع كان يتوقع حدوث حرب أهلية في العاصمة جاكرتا وأخذوا يخزنون الغذاء والماء لمواجهة تلك الأزمة، إلا أن شيئاً من ذلك لم يحدث على الإطلاق خلافاً لما كان يتوقع الجميع.

وأعلنت يوم الخميس 9/8/2001التشكيل الوزاري الجديد، باسم وزارة التكاتف تضم الوزارة الجديدة 3 :(ثلاثة) وزراء تنسيق، و 17(سبعة عشر) وزيراً بوزارة، 10(عشرة) وزراء بلا وزارة، و 2 (اثنين) من المسؤولين في مستوى وزير.

وأعلن برنامج عمل الوزارة، من ست نقاط:

1ـ الحفاظ على اتحاد ووحدة الأمة في إطار الدولة الموحدة لجمهورية إندونيسيا.

2ـ مواصلة عملية الإصلاح وتطبيق الديمقراطية في جميع نواحي الحياة الوطنية، وذلك من خلال وضع إطار، وجدول أعمال أكثر وضوحاً، مع الاستمرار في تصعيد احترام حقوق الإنسان.

3ـ إعادة الاقتصاد إلى الوضع الطبيعي، وإرساء أساس قوي لحياة الشعب الاقتصادية.

4ـ إقامة حكم القانون بشكل ثابت ومستمر، وتحقيق الشعور بالأمان والاطمئنان وسط المجتمع، ومواصلة مكافحة الفساد والتواطؤ والمحسوبية.

5ـ تنفيذ سياسة خارجية حرة نشيطة، ورفع منزلة الأمة والدولة واسترداد ثقة العالم الخارجي، بما في ذلك المؤسسات المقرضة وأوساط المستثمرين، تجاه الحكومة الإندونيسية.

6ـ الإعداد لإجراء انتخابات عامة آمنة منظمة حرة سرية مباشرة في عام 2004.

وبالرغم من مرور عقد من الزمان على العهود التي قطعتها السيدة ميغاواتي، إلا أن شيئاً مهما منها لم يتحقق، فالوضع الأمني في الأقاليم الإندونيسية المضطربة لم يتطور نحو الأحسن ويمكن القول أنه تدهور نحو الأسوأ نتيجة تردد القيادة الإندونيسية باتخاذ قرار حاسم باتجاه حل هذه المشاكل سواء على الصعيد العسكري أو على الصعيد السياسي، أما بخصوص الوضع الاقتصادي فالأزمة الاقتصادية ما زالت تخيم على البلاد وتثقل كاهل الشعب الاندونيسي ولم تنجح كل الخطوات التي اتخذتها الحكومة في معالجة هذا الأمر، أما الوضع الأمني فقد ازداد سوءاً فحوادث التفجيرات والمصادمات ازدادت في السنوات الأخيرة، مما جعل أداء الحكومة موضوعاً للانتقاد والتعرض لها من قبل شخصيات مهمة انتقلت إلى الصحف المحلية.

وعلى الرغم من هذه الصورة المتفائلة فإن هناك تحديان جدّيان يواجهان الديمقراطية الإندونيسية، وهما الفساد والتعصب. على مدى السنوات العشر الماضية شنت الحكومة الإندونيسية حرباً على الفساد. وأُسست في هذا السياق

لجنة مستقلة تدعى لجنة القضاء على الفساد، تعمل جاهدة لتقديم المفسدين للعدالة .وتم اعتقال المئات من المفسدين، ولا يزال هناك الكثيرون في الانتظار.

في غضون ذلك، يهدد التعصب وحدة البلاد .فالجماعات الإسلامية الراديكالية تشكل أكبر تهديد للتعددية والوئام في البلاد .وعملت الحكومة الإندونيسية جاهدة لكبح جماح الجماعات الإرهابية، وناشدت المسلمين المعتدلين محاربة التطرف الإسلامي .وإذا نجح الشعب الإندونيسي وحكومته في التغلب على هذين التحديين، فإن هناك احتمالاً كبيراً جداً أن يصبح هذا البلد نموذجاً للديمقراطية يحتذى به في العالم الإسلامي.

المبحث الرابع

مستقبل الديمقراطية

العوامل المؤثرة على مستقبل الديمقراطية في إندونيسيا

في أعقاب نجاح الحركة الوطنية الإندونيسية عام 1945في الإعلان عن استقلال إندونيسيا عن الاستعمار الهولندي الذي دام نحو ثلاثة قرون أجبرت هولندا عام 1948على الموافقة عليه تحت مسمى الجمهورية الفيدرالية للولايات المتحدة الإندونيسية غير أن القيادة السياسية بزعامة سوكارنو ركزت على أهداف للبلاد، فعمدت إلى إلغاء الفيدرالية لتحل محلها دولة إندونيسية موحدة، وأرسى سوكارنو المبادئ الخمسة التي تضمنها مبدأ »البانتشسيلا «ومن منطق هذا المبدأ الذي أضحى يشكل جوهر الدستور الاندونيسي، والمؤكد على وحدة الأراضي الإندونيسية في إطار التباينات العرقية واللغوية والدينية والثقافية وعلى الرغم من أن المسلمين يشكلون الأغلبية العظمى من سكان البلاد، فإن الحكومة عادة ما نظرت بحساسية شديدة لأي اضطرابات دينية من قبلهم، ثم كان اعتراف الدستور الاندونيسي على قدم المساواة بكل من الإسلام والمسيحية والبوذية والهندوسية، ومن هنا كان رفض الحكومة الإندونيسية لأي دعوة تهدف إلى تأسيس دولة إسلامية باعتبار أن ذلك يشكل تهديداً مباشراً للوحدة الإندونيسية والسلام الاجتماعي في البلاد.

وفضل الرئيس سوهارتو استخدام القوة في سحق الحركات الانفصالية لثلاثة عقود متتالية فقد كان الجيش هو الأداة الغليظة لسوهارتو لإحكام سيطرته على الأوضاع في البلاد ومن أجل ذلك قام سوهارتو بمنح الجيش

العديد من المزايا لضمان ولائه له، ساد في إندونيسية في عهد الرئيس سوهارتو ما يسمى بديمقراطية البانتشسيلا التي تعني تمتع المواطن الاندونيسي بحريات المدنية والديمقراطية في حدود معينة لا تضر بمركز وهيبة السلطة الحاكمة وغالباً ما تسود تلك الحدود وتطغى على الحريات المزعومة فالسجون والمحاكم تقبض على أولئك المنتقدين للحكم والمتظاهرين ضده كما أن الصحف كثيراً ما تصدر أو تغلق وفي هذا النطاق فإن جميع وسائل الإعلام الرسمية والشعبية هي في قبضة الحكومة بين ضغط وزارة الإعلام وقيادة إعادة الأمن والنظام وأجهزة الاستخبارات كما أن الأحزاب الإندونيسية قد حددت إلى حزبين فقط إضافة إلى حزب الدولة الفولكار ونتيجة لذلك أنهار هذا النظام في أول أزمة تتعرض لها وهي الأزمة الاقتصادية التي شهدتها دول جنوب شرق آسيا التي هزت إندونيسيا بعمق وتداعي النظام السياسي والاقتصادي والمالي في البلاد وما زالت آثارها تعصف بالاقتصاد الاندونيسي بينما استطاعت باقي دول المنطقة أن تجتازها بنجاح.

إن المحافظة على الإنجازات الديمقراطية واستمرارها رهين بتحقيق إصلاحات جذرية في أمور البلاد وهي:

1ـ قانون الانتخابات:

إن قانون الانتخابات الاندونيسي رقم (15)لسنة 1969الذي عدل للأعوام 1975، 1980، 1985، يحدد عدد أعضاء البرلمان المنتخبين بـ (400)مقعد يضاف إليهم (100) مقعد يعينهم رئيس الجمهورية من فئات العاملين والقوات المسلحة فيصبح عددهم (500)مقعداً.

أما أعضاء مجلس الشورى الشعبي فيبلغ عددهم (700) عضو (500)منهم هم أعضاء البرلمان و (200)مقعداً يجري تعيينهم وفق نسب الأصوات التي حصل عليها كل من حزب من الأحزاب المشتركة من الانتخابات العامة بما فيهم ممثلو الفئات عمال فلاحين، شباب ومندوبو الأقاليم، وبهذا فهنالك خللاً واضحاً في التنظيم الانتخابي حيث يجمع هذا النظام بين الانتخابات والتعيين وقد شكلت لجنة من البرلمان لإصلاح النظام الانتخابي وبالرغم من الدراسات والمقترحات والاجتماعات التي عقدتها تلك اللجنة إلا أن هذا القانون ما زال نافذاً وأجل النظر في تعديله.

شهدت إندونيسيا وما تزال العديد من الحركات الانفصالية والتوترات العرقية والدينية وأعمال العنف والشغب بسبب نشأتها التاريخية وأوضاعها الجغرافية وما استجد على ذلك من سياسات التهجير طيلة القرن الماضي، فضلاً عن الحرمان النسبي لتوزيع الثروة لكثير من المناطق من عوائد ثرواتها الطبيعية وكذلك المشاكل الناجمة عن اللامساواة الاجتماعية والاقتصادية المتفاقمة والميراث الطويل لاحتكار السلطة من قبل الجاويون وكذلك معالجة استشراء الفساد الإداري.

وإذا كانت الحركة الانفصالية في إقليم تيمور الشرقية قد نجحت في تحقيق استقلال الإقليم فإن ذلك ممكن أن يتكرر بالنسبة لحركات انفصالية أخرى مثل الجبهة الوطنية في آتشه وحركة بابوا الحرة في جزيرة بابوا أو الحركة الانفصالية في جزر الملوك.

وخلال حكم الرئيس السابق سوهارتو كانت تحل عن طريق القمع العسكري وبأساليب منافية لحقوق الإنسان مما ولّد حقداً متزايداً، وبعد سقوط هذا النظام عادت تلك الحركات إلى المطالبة في الانفصال عن إندونيسيا خاصة بعد تحييد دور الجيش الاندونيسي في حل تلك الصراعات، وقد عجزت كافة المحاولات التي بذلتها الحكومة لإيجاد حلول مقبولة لدى جميع الأطراف.

إن حل تلك النزاعات ضروري جداً لإعادة الأمن والاستقرار في إندونيسيا وإن فشلها يعني الكثير من القتل والتدمير والتدهور الاقتصادي، كما أن أسباب الفشل يكمن في عدم معالجة الأسباب والمشاكل التي اندلعت منها تلك الإضرابات أن العودة للحوار والأسلوب الديمقراطي ومعالجة الأسباب التي أدت إلى تلك الاضطرابات واتخاذ قرارات شجاعة وصائبة من قبل القيادة الإندونيسية وزعماء تلك الحركات كفيل بإعادة الهدوء والاستقرار فيها.

2 ـ القضاء على الفساد الإداري:

تحتل إندونيسيا وحسب إحصاءات ودراسات دولية مرتبة متقدمة في العالم في انتشار الفساد الإداري والرشوة، مما أدى إلى تعثر أجهزة الدولة في تحقيق العدالة والمساواة بين الناس واستشرى هذا الفساد في القعود الاقتصادية التي تجريها الدولة وكذلك فإن الشركات الخاصة للأحزاب والسياسيين والوزراء وحتى القيادة متخلفة في أجهزة الدولة وهي تسعى لجني المكتسبات المادية والمدافع الضيقة بعيداً عن المصلحة العامة لحسابها الخاص.

وقد عجزت القيادة التي أعقبت سوهارتو عن إصلاح هذه الأوضاع لا بل مارست ذلك وما سقوط الرئيس عبد الرحمن واحد إلا نتيجة ضلوعه في

فساد إداري وتلاعب في أموال الدولة وكذلك فعل رئيس البرلمان أكبر تاغونغ وحيث تمت محاكمته بشأن اختلاسات مالية كما اتهم زوج الرئيس ميغاواتي السيد توفيق كيماس باستغلال نفوذ زوجته في إجراء عقود وصفقات تجارية.

إن استشراء هذا الفساد ووضع ضوابط وحلول جذرية له أصبح مطلب جماهيري واسع يعيق التحولات الديمقراطية لإعادة الثقة بالدولة وهيبتها وتطبيق القوانين والإجراءات على الجميع.

3ـ دور الجيش:

تأسس الجيش الاندونيسي في 5/11/1965 منذ هذا اليوم اعتبر هذا التاريخ عيداً وطنياً، وهو في الأصل وليد الثورة الإندونيسية التي نشبت في آب 1945/وقد كان الجيش هو الابن البار للشعب في ثورته ضد الاحتلال الأجنبي.

ولكن هذه القوات مرت في نموها بظروف أدت إلى ابتعادها عن الشعب ودخولها في حلبة الصراع على السلطة نتيجة لظهور المذهب الذي أفسح المجال للجيش للتدخل في جميع الشؤون المدنية سياسية كانت أو اجتماعية أو اقتصادية وأصبحت القوات المسلحة ذات مهتمين عسكرية لغرض السيطرة السياسية بالقوة لممارسة الاستغلال الاقتصادي مما أدى إلى تواجد الضباط في إدارات الشركات التجارية والمزارع الكبرى والمؤسسات الثقافية والاجتماعية وحتى في السلطة التشريعية (البرلمان ومجلس الشورى الشعبي).

ولغرض فرض سيطرة الرئيس السابق سوهارتو على الأقاليم الإندونيسية فقد استغل الجيش لتحقيق مطلبه فكان هذا الجيش القوة الضاربة بيد الرئيس

لسحق الحركات الانفصالية في الأقاليم الإندونيسية وبشكل منافي لكافة حقوق الإنسان وقمع الاضطرابات الشعبية والطلابية مما أدى إلى زيادة نفوذ الجيش وتغلغله في كافة مرافق الدولة.

وبعد سقوط سوهارتو انحسر دور الجيش نتيجة المطالبات الشعبية بمحاكمة قادته عن الأعمال التي ارتكبوها بحق هذا الشعب كما ازدادت الحركات الانفصالية من عملياتها مطالبة بالانفصال عن إندونيسيا ونتيجة لانحسار دور الجيش فقد أوكلت مهمة تحقيق الأمن والاستقرار في البلاد إلى قوات الشرطة التي لم تكن مهيأة لذلك ولهذا عمت الفوضى وعدم الاستقرار والتفجيرات وحوادث العنف في إندونيسيا وتقف الحكومة الإندونيسية عاجزة عن معالجة هذا الوضع فهي بحاجة إلى إعادة دور الجيش في تحقيق الأمن والاستقرار ولكنها تخشى أن هي فعلت ذلك من إعادة نفوذه السابق في الحياة السياسية للبلاد .والمؤسسة العسكرية الإندونيسية ما زالت قوية ولها نفوذ واسع وتستغل الفرص لإعادة دورها وهيبتها، أمام ذلك تخشى الجماهير من المؤسسة العسكرية التي أذاقتها صنوف العذاب والقتل والتدمير.

وخلاصة القول أنه لابد أي بلد من جيش قوي يحمي حدوده ومصالحه ولكن يجب أن يكون دور هذا الجيش منصب على ذلك ولضمان استمرار الإجراءات الديمقراطية في إندونيسيا فعلى الحكومة إلغاء الوظيفة المزدوجة للجيش وكذلك إلغاء مقاعد البرلمان المخصصة لها.

الرؤساء الاندونيسيين الذين تعاقبوا على الحكم في إندونيسيا بعد الاستقلال:

1ـ أحمد سوكارنو 17آب 1945ـ 12آذار 1967.

2ـ سوهارتو 12آذار 1967ـ 21مايو 1998.

3ـ يوسف حبيبي 21مايو 1998ـ 20أكتوبر 1999.

4ـ عبد الرحمن وحيد 20أكتوبر 1999ـ 23يوليو 2001.

5ـ ميكاواتي سوكارنو بوتري 23يوليو 2001ـ 20أكتوبر 2004.

6ـ سوسيلو بانبانغ يودهولو 20أكتوبر 2004ـ حتى الآن.

1ـ سوكارنو أول رئيس لإندونيسيا[1]:

هو أول رئيس لإندونيسيا بعد استقلالها، نال شهرة واسعة بسبب نضاله لأجل الاستقلال، كما زج به الاستعمار الهولندي في السجن أكثر من مرة، ليخرج في النهاية منتصراً بتوليه منصب الرئاسة.

ولد أحمد سوكارنو في جزيرة جاوا عام 1901، وتلقى تعليمه العالي في معهد باندونغ للتكنولوجيا حيث تخصص في الهندسة المدنية.

وبدأت اهتماماته السياسية منذ سنواته الأولى في ذلك المعهد، فاعتبر أحد زعماء الطلبة البارزين المنادين بالاستقلال عن الاحتلال الهولندي، وكان سوكارنو عضواً في الحزب الوطني الاندونيسي ليصبح بعد ذلك زعيماً له.

---

1 - ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، أحمد سوكارنو.

اعتقلته السلطات الهولندية أكثر من مرة عام 1928، وفي عام 1933ألقي القبض عليه من جديد ونفي إلى جزيرة فلورس ثم إلى جزيرة سومطرة حتى عام 1942 حيث أطلقت قوات الاحتلال الياباني سراحه.

بعد هزيمة اليابانيين في الحرب العالمية الثانية أعلن الثوار الاندونيسيين استقلال دولتهم وانتخبوا أحمد سوكارنو رئيساً، وظل يشغل هذا المنصب طيلة الفترة من 1945حتى .1968

ومن أشهر الأعمال التي قام بها سوكارنو في السنوات الأولى لحكمه الدعوة إلى عقد مؤتمر باندونغ المشهور في الفترة من 18ـ /24نيسان1955/، وحضرته 29دولة من قارتي آسيا وإفريقيا، وكان الرئيس المصري الأسبق جمال عبد الناصر ورئيس الوزراء الهندي جواهر لال نهرو والصيني شوان والزعيم اليوغسلافي تيتو من أشهر الحاضرين، وكان من نتائج المؤتمر ظهور المجموعة الأفرو-آسيوية في الأمم المتحدة، ثم كتلة عدم الانحياز بعد ذلك.

وبالرغم من أن سوكارنو أصبح علماً من أعلام التحرر في العالم الثالث فإنه لم يستطع أن يواجه بقوة تحديات التنمية في بلاده، فاستغلت بعض الدول الغربية الكارهة لتحركاته التحررية هذا الأمر وألّبت ضده بعض قادة الجيش.

وفي سنة 1965أحبط الجنرال سوهارتو محاولة انقلابية مسلحة قام بها الشيوعيون، ووقعت أثناء قمع تلك المحاولة انتهاكات لحقوق الإنسان.

ومع تدهور الحالة الصحية للرئيس سوكارنو عين سوهارتو رئيساً بالوكالة سنة 1967ثم انتخب سنة 1968رئيساً لإندونيسيا.

واستمر سوكارنو يصارع المرض إلى أن مات سنة 1970 عن عمر يناهز التاسعة والستين.

2ـ سوهارتو ...ثلاثة عقود من الحكم الشمولي[1]:

هو الرئيس الثاني لإندونيسيا حكم لمدة تزيد على الثلاثين عاماً حول خلالها إندونيسيا إلى دولة صناعية في مختلف المجالات ولا تعتمد في توفير عائداتها على البترول والزراعة، كما ركز على أمن إندونيسيا ووحدتها.

ولد سوهارتو سنة 1921 لأسرة تشتغل بالزراعة في وسط جزيرة جاوا، وعاش متنقلاً بين أمه وأبيه وأقاربه بعد انفصال والديه ولم يكن قد جاوز السنتين.

تلقى سوهارتو تعليمه في مدرسة جاوية محلية، ثم عمل لفترة قصيرة في أحد البنوك ليلتحق بعد ذلك بجيش الاحتلال الهولندي سنة 1940، وفي سنة 1942 رقي سوهارتو لرتبة رقيب.

وبعد اجتياح القوات اليابانية لإندونيسيا إبان الحرب العالمية الثانية اقتنع سوهارتو بإمكانية تحرير إندونيسيا من الاستعمار الهولندي فانضم إلى القوات اليابانية.

وفي سنة 1945 التحق بالجيش الاندونيسي حديث التأسيس بعد استسلام اليابان في نفس السنة وإعلان إندونيسيا الاستقلال، وشارك في حرب السنوات الخمس ضد هولندا والتي انتهت باحتلال القوات الهولندية للعاصمة جاكرتا ومدينة جوكجاكارتا، غير أن عمليات عسكرية قادها سوهارتو مكنت

---

1 - ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

من استعادة جوكجاكارتا ومن ثم موافقة هولندا على الانسحاب من كامل الأراضي الإندونيسية باستثناء إقليم إيريان جايا الذي قاد سوهارتو حملة لاسترجاعه سنة 1960.

بعد الاستقلال تدرج سوهارتو في سلم الرتب العسكرية حتى انتهى إلى قيادة القوات الخاصة بحماية الأمن القومي والتي قاد بها العديد من العمليات العسكرية الناجحة للقضاء على حركات التمرد في مناطق متفرقة من إندونيسيا.

كما استطاع سوهارتو أن ينقذ حكم الرئيس سوكارنو سنة 1965 بقضائه على المحاولة الانقلابية التي شارك بها أعضاء من الجيش الاندونيسي بالتحالف مع الحزب الشيوعي، وقاد بعدها سوهارتو حملة تطهير واسعة ضد الشيوعيين.

وفي عام 1966 أقنع سوهارتو الرئيس سوكارنو بأن يمنحه سلطة إعادة الأمن والاستقرار إلى البلاد والتي كانت نقطة التحول في الدور السياسي لسوهارتو حيث عينه البرلمان رئيساً بالوكالة سنة 1967 ثم رئيساً منتخباً سنة 1968 ليصبح الرئيس الثاني لإندونيسيا.

عرف عن سوهارتو اهتمامه بالجانب الأمني لإندونيسيا وقد زاد تركيزه عليه بعد توليه الرئاسة، ففي سنة 1975 أرسل قوات لضم إقليم تيمور الشرقية إلى إندونيسيا بعد خروج الاستعمار البرتغالي منه.

كما سعى إلى إعادة العلاقات السياسية مع الدول الغربية، فأعاد عضوية إندونيسيا إلى الأمم المتحدة بعد أن كانت قد انسحبت منها في عهد الرئيس سوكارنو بسبب اختيار ماليزيا في عضوية إحدى مؤسسات الأمم المتحدة، كما

أعلن سوهارتو احترام إندونيسيا لجارتها ماليزيا، وعمل في بداية حكمه على تجميد العلاقات مع الصين.

ومن ناحية أخرى عزز سوهارتو مكانة بلاده الإقليمية فقادت إندونيسيا في عهده منظمة دول جنوب شرق آسيا »آسيان «وشاركت في مفاوضات السلام في كمبوديا، وسعى سوهارتو في التسعينات من القرن المنصرم إلى إعادة تطبيع العلاقات مع الصين من جديد.

ومما يلاحظ على سياسة سوهارتو الداخلية اهتمامه باستقرار المجتمع الاندونيسي ففي عهده ازدهر الاقتصاد الوطني وأقدم المستثمرون الدوليون على الاستثمار في إندونيسيا، وتقدمت حركة الصناعة وتحقق رخاء اقتصادي للمجتمع الاندونيسي لم يعهد من قبل، كما اهتم سوهارتو بالبنية الاجتماعية فطور التعليم وحقق قدراً كبيراً من التأمين الصحي.

غير أن ملامح أزمة اقتصادية حادة بدأت تلوح على إندونيسيا وبدأت)الروبية (العملة الإندونيسية تفقد قيمتها وارتفعت نسبة التضخم بشكل كبير واتسعت دائرة البطالة وأعلن مدراء صندوق النقد الدولي استحالة استقرار الاقتصاد الاندونيسي مع وجود سوهارتو في الحكم.

وفي آذار 1998أعاد مؤيدوه في البرلمان انتخابه رئيساً للبلاد للمرة السابعة ,ولكن وجهت اتهامات للرئيس سوهارتو وعائلته باستغلال منصبه والاستحواذ على المشاريع والمرافق الاقتصادية في إندونيسيا حيث جمع ثروة ضخمة من جراء ذلك تقدر بمائة مليار دولار هربت إلى الخارج ، إضافة إلى استبداده وتعطيله المؤسسات الديمقراطية في البلاد وتسخيرها لخدمته.

ولم يمض من ولاية سوهارتو إلا شهور قليلة حتى خرج الطلاب في مظاهرات عارمة احتلوا أثنائها العاصمة جاكرتا وحاصروا البرلمان مطالبين بإصلاحات ديمقراطية لينتهي الأمر باستقالة الرئيس سوهارتو في /21أيار 1998/فتولى نائبه حبيبي رئاسة البلاد لفترة مؤقتة إلى حين قيام انتخابات عامة.

3ـ رئاسة يوسف حبيبي (1998ـ1999) [1]:

أثناء الفترة القصيرة التي قضاها في منصبه قدم الرئيس حبيبي مجموعة من الإصلاحات وشرع في إزاحة معظم التدابير القمعية التي وضعها سوهارتو .فقد منح المقاطعات سيطرة أكبر على مواردها المالية وألغيت بعض الامتيازات الاقتصادية الممنوحة لعائلة الرئيس السابق، لكنه تجنب أي مواجهة مباشرة مع سوهارتو صديقه المخلص منذ الصبا، إلا أنه سرعان ما تقوض التأييد ا لشعبي ـ للرئيس حبيبي أثناء فترة رئاسته نتيجة فشله في التعامل بصرامة مع تراث سوهارتو، وتورطه في فضيحة سوء استخدام أموال البنوك، وكذلك إنهائه العمليات العسكرية في مقاطعتي آتشه وتيمور الشرقية التي عرض خيار استقلالها عن إندونيسيا، ومن ثم أدى ذلك إلى انفصال مقاطعة تيمور الشرقية عن إندونيسيا.

1 - ويكيبيديا، الموسوة الحرة.

4ـ عبد الرحمن وحيد[1]:

هو أول رئيس منتخب بطريقة حرة وديمقراطية والرئيس الرابع لإندونيسيا، اشتهر بتعاطفه مع الأقليات خاصة المسيحية والصينية، كما تزعم »نهضة العلماء «أكبر حركة دينية إسلامية في إندونيسيا.

ولد عبد الرحمن واحد في جزيرة جاوا سنة 1941 لأسرة عرفت بالتدين والمحافظة على التقاليد الإسلامية.

وبعد إتمام دراسته الأولى في إندونيسيا سافر إلى الجامع الأزهر بالقاهرة ليكمل تعليمه ومن ثم إلى العراق ليتم رحلته التعليمية في كندا.

كان واحد قبل توليه الرئاسة من الشخصيات الدينية والاجتماعية البارزة في إندونيسيا ونال احترام الملايين من الاندونيسيين، وقاد حركة »نهضة العلماء «أكبر تيار إسلامي في إندونيسيا إذ يبلغ عدد المسجلين في عضويتها وفق التقديرات الرسمية (30)مليون شخص.

عانى ـ وما يزال ـ من أمراض عديدة، كما أصيب بأكثر من جلطة دماغية وبسببها قال عنه مخالفوه أنه لا يحسن التفكير واتخاذ القرار فضلاً عن سرعة التقلب في الآراء .كما يعاني واحد من ضعف شديد في بصره ألزمه الاستعانة بمساعدين للحركة حتى داخل بيته، بالرغم من أنه أجرى عملية بأشعة الليزر في الولايات المتحدة الأمريكية.

1 - خضر شرقي، مصلح العلاقات العراقية الإندونيسية 1980-2000، أطروحة ماجستير مقدمة إلى جامعة المستنصرية - بغداد عام 2000.

وفي أيلول 1999 قرر واحد الدخول في سباق الرئاسة مما صدم الكثير من المراقبين فضلاً عن الملايين من الاندونيسيين، غير أنه وبعد انسحاب الرئيس السابق حببي من الانتخابات الرئاسية قبل يوم واحد من موعد الاقتراع ثم انسحاب نائب حبيبي في رئاسة الحزب انحازت الأحزاب الإسلامية داخل البرلمان لصالح واحد أمام منافسته وصاحبة الأغلبية البرلمانية ميغاواتي سوكارنو لينتهي الأمر بفوزه بأغلبية أصوات أعضاء البرلمان يوم 20 تشرين الثاني 1999م، وليصبح أول رئيس اندونيسي منتخب بالديمقراطية الحقيقية.

بعد فوزه بالرئاسة اختار واحد ميغاواتي نائبة له مما هدأ حدة غضب مؤيديها وأعضاء حزبها.

وما أن أدى الرئيس واحد اليمين الدستورية حتى بدأت الأزمات والمشاكل السياسية والاقتصادية تبرز بقوة ، فزادت أحداث العنف الدموي بين المسلمين والمسحيين، في تيمور الشرقية وآيريان جايا وجزر مولوكو وكالمنتان ومناطق متفرقة من الأرخبيل الاندونيسي، إضافة إلى الأزمة الاقتصادية الخانقة والمطالبة الشعبية بمحاكمة الرئيس الأسبق سوهارتو وأركان حكمه بسبب تهم الفساد الموجهة ضدهم.

وأخيراً واجه الرئيس واحد نفس تهمة الفساد المالي في فضيحتين ماليتين التي أجهزت على حكم أول رئيس منتخب قبل أن تنتهي نصف مدة ولايته.

5- **مياغاواتي سوكارنو بوتري**[1]:

مياغاواتي سوكارنو بوتري وهي الابنة الكبرى لأحمد سوكارنو أول رئيس لإندونيسيا كانت قاب قوسين أو أدنى من تولي رئاسة الجمهورية في المعركة الانتخابية التي خاضتها ضد الرئيس عبد الرحمن وحيد وبعد خسارتها في انتخابات تشرين الأول 1999رضيت بمنصب نائب الرئيس لكنها اقتربت بسرعة نحو قمة الهرم السياسي وبدأ نفوذها يتزايد في البلاد خاصة في ظل تدهور صحة الرئيس وحيد وتناقص شعبيته بمرور الوقت .تؤمن ميغاواتي بالمبادئ التي كان والدها ينادي بها بشأن ضرورة المحافظة على وحدة البلاد لذا وقفت موقفاً معارضاً للرئيس الأسبق يوسف حبيبي واتهمته بالتفريط في جزء من الأراضي الإندونيسية (تيمور الشرقية) وعارضت الحركات الانفصالية التي شهدتها مقاطعات (أتشيه وإيريان جايا). وهي من مواليد 1947 وتلقت تعليمها الجامعي في جامعة (بادجاجاران) ثم انخرطت في العمل السياسي وتولت رئاسة الحزب الديمقراطي الإندونيسي ثم انشقت عنه لتشكل حزب النضال من أجل الديمقراطية الذي استطاع الفوز بثلث مقاعد البرلمان في الانتخابات السابقة ومن خلال الأزمة الرئاسية التي شهدتها إندونيسيا عام 2001 تم انتخابها من قبل مجلس الشعب الأعلى لتكون رئيسة للجمهورية الإندونيسية واستمرت حتى العام 2004.

---

1 - أول سيدة تتقلد منصب رئاسة اندونيسيا بين 23 يوليو 2001 وحتى 20 اكتوبر 2004 خلفاً لعبد الرحمن وحيد، لديها شعبية كبيرة في الاوساط الفقيرة، انظر ويكيبيديا.

5ـ سوسيلو بانبانغ يودهونو[1]:

ولد عام 1949في التاسع من سبتمبر وصل إلى مرتبة جنرال في الجيش الاندونيسي، هو الرئيس السادس لجمهورية إندونيسيا، أول رئيس منتخب مباشرة من الشعب الاندونيسي، في شهر سبتمبر عام 2004أقسم اليمين في 20أكتوبر 2004خلفاً للرئيس السابق ميكاواتي سوكارنو بوتري وجدد انتخابه للفترة الثانية في سبتمبر عام 2009.

ويرى المهتمون بالشأن السياسي الاندونيسي أن الرئيس سوسيلو يُعد من أفضل الرؤساء في تاريخ إندونيسيا بعد سقوط سوهارتو عام 1998وذلك لأنه تربى في مدرسة سوهارتو الإدارية وشرب من معينها وتقلد مناصب وزارية عديدة بعد عهد سوهارتو الأمر الذي جعله متوازناً في سياسته ما بين التجربة القديمة والجديدة للبلاد .

---

1 - ويكيبيديا، الموسوة الحرة.



الفصل الرابع

الربيع العربي

الفصل الرابع

الربيع العربي

مقدمة

الربيع العربي كما شاعت تسميته هو في حقيقة الأمر تحول تاريخي مهم شهدته المنطقة العربية بدءَاً بتونس ثم مصر وليبيا واليمن وسوريا منذ بداية العام 2011، وستكون لهذا الحدث الذي ما تزال تداعياته متواصلة انعكاسات كبيرة على الوضع الإقليمي وإعادة تشكيل مستقبل المنطقة العربية ومنطقة الشرق الأوسط بأسره .

ونظراً لأهمية ما جرى، وما يزال يجري في المنطقة العربية تحت مسمى الربيع العربي، والتغييرات التي أوجدها، وكذلك المحتملة في منطقة حيوية لشعوبها وللعالم أجمع سنتناول في هذه الدراسة التي تسلط الضوء على ما حدث من حيث المفهوم والأسباب والنتائج والتداعيات المحتملة في المنطقة العربية والشرق الأوسط .

المبحث الأول:

مفهوم الربيع العربي وأسبابه

إن الغرب هو من أطلق مصطلح الربيع العربي على الأحداث التي جرت في المنطقة العربية بدءاً بتونس بداية العام 2011، حيث كانت صحيفة الاندبندنت البريطانية أول من استخدم هذا المصطلح . وقد يكون لذلك علاقة بثورات الغرب عبر تاريخه التي تعرف هي أيضاً بثورات الربيع الأوروبي واستخدام مصطلح ربيع براغ للتعبير عن انتفاضة الشعب الجيكوسلوفاكي عام .1965وهنا لا بد من الوقوف على طبيعة وملامح وخصوصيات أحداث الربيع العربي من حيث الأسباب والتباين والتشابه، وذلك بهدف التعرف على طبيعة هذا المفهوم، وتحديد ما إذا كان يندرج بالفعل ضمن نطاق " الثورات "أم ينصرف عند تحديده الى مجرد حركات احتجاجية .فمنذ اندلاع تلك الأحداث احتدم الجدل على الساحة العربية والعالمية حول هذه النقطة وما يزال.

يرى بعض المفكرين والأكاديميين "أن الثورة فعل جماهيري شامل، فحين تتأزم الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية وتصبح أحوال الناس لا تطاق، وعندما تتباعد الشقة ما بين الحكام والجماهير وتغيب وسائل التعبير السلمي عن المطالب لا تجد الجماهير أمامها إلا التحرك لتغيير الأوضاع تغييراً جذرياً .فبعض الثورات تكون سلمية ولا يراق بها الدم، فتوصف بأسماء دالة

على ذلك كالقول بالثورة البرتقالية، وثورات أخرى ارتسمت بالدموية كالثورة الفرنسية، المشهد الذي جرى في مصر وتونس يرقى إلى مستوى العمل الثوري."

وحسب رأي بعض الباحثين المتابعين للأحداث "فإنه يمكن القول إن الغالب على موجة الاحتجاجات العربية أنها احتجاجات (ثورية) وليست مجرد مطالب جزئية أو انتفاضات مؤقتة .إذ تنطلق تلك المقومات للحالة الثورية على كل من تونس ومصر وليبيا واليمن وسوريا، أما في الدول العربية الأخرى فهي اقرب إلى حالات احتجاج، كما هي أقرب إلى الحراكات المطلبية الجزئية منها إلى الخصائص الثورية الشاملة .إن ذلك التوصيف يتعلق بمشهد متحرك وحيوي، أي يظل مرناً وقابلاً للتعديل بحسب تطور الأحداث والتفاعلات داخل كل حالة، وفقاً للتفاعلات بين دواعي الاحتجاج وطريقة التعامل معها والعوامل الحاكمة لصيرورتها وتطورها".

ونتساءل :هل نحن بحاجة لإعادة تعريف الثورة؟، ونجيب :نحن نحتاج لتعريف يرى في الثورة عملية تحول مجتمعي وسياسي واقتصادي، ويرى في نخبتها الجديدة غير المركزية وغير الإيديولوجية وغير المؤسسة فرصاً اكبر في مشاركة الجماهير في اختيار نظامها الجديد .نحتاج لتعريف يرى الظاهرة ثورة وليس اللحظة فقط .ويرفض في الثورة استثنائية قوانينها وإجراءاتها ومؤسساتها، ويؤكد في المقابل مبدأ القانون واحترام حقوق الإنسان لكل المواطنين، دون أن يكون لقناعاتهم السياسية والدينية والاقتصادية تأثير في مواطنتهم ."فالانتماء للوطن يجب أن يكون فوق كل الانتماءات الفرعية الأخرى

ويمثل هوية المواطن الرئيسة العليا، وتأتي بعدها الهويات الفرية الأخرى، على مختلف تسمياتها وتوصيفاتها.

ولمزيد من التحديد يقتضي الأمر الغوص في العمق أكثر لتحديد طبيعة أحداث "الربيع العربي"، وهذا يتطلب التوقف عند الأسباب، وهي متشعبة، بل ومتعددة منها ما هو تقليدي، ومنها ما هو مستجد(4) . ولعل في مقدمة هذه الأسباب ما يمكن تسميته بالجمود السياسي حيث تشترك غالبية الدول العربية بالجدب السياسي "وعدم ممارسة الديمقراطية الحقيقية، وأهم معانيها تداول السلطة بشكل سلمي والتعددية السياسية .وهذه الحقيقة لا يمكن تغطيتها بالانتخابات الشكلية والحياة النيابية المقيدة، التي يشوب انتخاباتها الشك بنزاهتها ومدى تعبيرها عن نبض الشارع .ثمة قوى سياسية في بعض الدول العربية تحظى بهامش حرية نسبية، ولكن بالمحصلة لا يوجد تداول حقيقي للسلطة .وأدى ذلك إلى فقدان الأمل في أي تحسن أو تغيير في ظل تلك الأنظمة التي كانت مهيمنة في بلدان الربيع العربي وظلّت جاثمة على صدور الشعب العربي عقوداً طويلة دون أن تفكر بتطوير نظامها السياسي بما ينسجم مع التحولات الديمقراطية في العالم.

أما العامل الاقتصادي، فهو أكثر أهمية من سابقه، إن لم يكن المحرك الأهم لأحداث الربيع العربي .فالدول العربية هي الأعلى على المستوى العالمي بمعدلات البطالة على سبيل المثال، والتي تصل معدلاتها إلى نسب مخيفة بواقع (25%)من مجموع القوى العاملة .

كما تعاني الدول العربية في مجملها من ضعف اقتصادي على الرغم من امتلاكها الكثير من الخامات ومقومات الثراء الأخرى، والنتيجة المترتبة على ذلك،انخفاض مستوى معيشة المواطن وتراجع الخدمات الأساسية التي يتمتع بها، وبالتالي زيادة معدلات الفقر والبطالة وتراجع مستوى التعليم . وحسب رأي وزير المالية الأردني الأسبق الدكتور محمد أبو حمور فإن ارتفاع معدلات الفقر والبطالة بين الشباب العربي كانت من الأسباب الرئيسة لحدوث الربيع العربي، يضاف إلى ذلك ضعف المساءلة والشفافية واستشراء الفساد وانخفاض التجارة البينية والاستثمارات العربية داخل الوطن العربي وغياب العدالة في توزيع الثروات."

ومن الظواهر المهمة التي لفتت إليها تحليلات بعض المحللين السياسيين المهتمين بالشأن السياسي الدولي هي التداعيات السلبية للعولمة على المساواة أو العدالة بين الدول والعلاقة بين الحكام والشعوب في المنطقة العربية .فقد أشار بعضهم إلى أن العولمة المبنية على النموذج الرأسمالي تفرز وتُكرّسْ العديد من الظواهر الاقتصادية التي يصفها بأنها غير مقبولة أخلاقياً وغير مستدامة سياسياً، فيما يشبه النبوءة لقيام الموجة الحالية من الثورات التي كان فقدان شرعية نظمها مرتبطاً في احد أبعاده بالشعور باختطاف الدولة واستخدامها لصالح فئات ومصالح محدودة مع إهمال السواد الأعظم من مواطنيها.

وفي إطار الحديث عن محركات أحداث الربيع العربي لا يمكن إغفال ما يمكن تسميته بالاستقطاب الاجتماعي ببعديه الاقتصادي والثقافي وحتى المذهبي في الواقع العربي الراهن. فقد شهدت الدول العربية أخيراً تكريس الفجوة

الاجتماعية بين طبقات المجتمع وشرائحه، سواءٌ الفجوة بمعناها الاقتصادي أو الاجتماعي والثقافي، حيث ينقسم المجتمع إلى شرائح تنطبق عليها سمات الثنائيات المتناقضة)أغنياء وفقراء، متعلمون وأميون، علمانيون وإسلاميون متشددون(، يضاف الى ذلك انقسامات أخرى)مسلمون ومسيحيون (أو)سنّة وشيعة .(وتلك الاستقطابات الثنائية نقلت النسق الاجتماعي والثقافي العربي من حالة تجانس واتساق مع الذات إلى تشتيت وتوتر، وبالتالي قابلية للانفجار والتصارع على وقع تسارع وتيرة تلك الثنائيات المتضادة حتى عاد الدين عامل تفرقة وليس عامل توحيد كما عرف عبر التاريخ.

ولا يمكن التغاضي بالطبع عن التحولات الكبرى التي شهدها العالمفي ميدان تكنولوجيا الاتصال، وأثرها البالغ في أحداث الربيع العربي ، فقد كانت سهولة الاتصالات سبباً أساسياً في تسهيل اندلاع التحركات الشعبية والاحتجاجات في المنطقة العربية، فالتعرف لحظياً على ما يجري في اصغر قرية في أبعد دولة بالعالم، أو ما يحدث في قرية مجاورة كان كافياً لتأجيج مشاعر الغضب والاحتقان لدى الشعوب العربية أولاً بسبب المقارنة مع دول متحضرة ينعم الإنسان فيها بالكرامة والحرية، وثانياً لأن الإنسان العربي أصبح على علم بما يتعرض له مواطنوه في مكان قريب منه، وربما سيتعرض هو نفسه إليه لاحقاً.

فقد شهدت السنوات الأخيرة تطوراً مذهلاً في الأدوات الحديثة للتعبير والتواصل والتفاعل مثل المواقع الالكترونية والشبكات الاجتماعية للتواصل (الفيسبوك والتويتر)، حيث أصبح الفضاء الالكتروني ساحة كاملة للحوار، وفي

نفس الوقت أداة للتغيير والاحتجاج، بل وللتنسيق في التحرك وتنظيم الاحتجاجات .وهنا لا يمكن إغفال تأثير التركيبة الجيلية للشعوب العربية، فالشريحة العمرية من (40-15) عاماً أصبحت هي الغالبية العظمى في التركيبة السكانية لمعظم الدول العربية، الأمر الذي جعل الانفجار أكثر سهولة، ثم جعل الحركة والمطالب أسرع .فضلاً عن الفجوة الذهنية بين النخب الحاكمة التي تبدأ أعمارها عادة فوق الخمسين والشعب الذي أصبحت غالبيته من الشباب وتفكيره أكثر انفتاحاً وانطلاقاً من قدرة الأنظمة على الاستيعاب والتعامل .ما حدث هو تفاعل اجتمعت فيه الأسباب التقليدية مع المستجدات السريعة المتغيرة فحدث الانفجار بشكل غير متوقع وغير محسوب.

وعودة إلى التساؤل :هل أحداث الربيع العربي ثورات أم احتجاجات مطلبيـة؟، يمكـن القـول أن هذه الأحداث تحمل سمات الثورات من جانب،كما تحمل في الوقت ذاتـه عنـاصر الانتفاضـات المطلبية المستمرة .فالثورات وحسب تجارب الماضي البعيد والقريـب عـادة مـا تكـون لهـا قيـادات منظمة ذات رؤى وأهداف سياسـية وفكريـة موحـدة أو متقاربـة عـلى الأقـل، وهـذا مـا لم تتميـز به أحداث الربيع العربي، حيث اكتسبت التحركات زخـماً جماهيرياً هـائلاً ولكـن مـن دون قيـادة موحدة، وهذا بـدوره سـهّل عـلى القـوى الـسياسية المنظمـة في المجتمـع مثـل الإخـوان المـسلمين من ركوب الموجة لاحقاً، وتجيير التحركات لصالحها .لكـن بالمقابـل فـإن الظـروف الاقتـصادية الـصعبة واتـساع الفجـوة بـين الحـاكم والمحكـوم والجمـود الـسياسي، هـي عنـاصر رئيـسة محركة للثورات والانتفاضات المطلبية، وهذه الأسـباب تـوفرت الى حـدًّ كبـير في بلـدان الربيـع

العربي .وقد تضافرت معاً وأدت إلى اندلاع أحداث الربيع العربي .لذا يمكن القول أن ما حدث في بلدان الربيع العربي هو أقل من ثورات، بالمعنى المتعارف عليه للثورة، وهو أيضاً أكثر من انتفاضات مطلبية احتجاجية بدليل استمرار تداعياته تواصلها، وفي الحالتين، فإن ما حدث يؤشر إلى دخول العالم العربي مرحلة جديدة، يستبعد خلالها الرجوع إلى الوراء .

أما عناوين هذه المرحلة فهي المطالبة بالديمقراطية والكرامة ، ومعالجة قضايا الفقر والبطالة، وتحقيق العدالة وتكافؤ الفرص .وفي هذا السياق من الضروري الإشارة إلى حالة الفوضى التي ما تزال تكتنف بعض دول الربيع العربي .وهذا أمر طبيعي في ظل انهيار القبضة البوليسية، وإتاحة الفرصة لجميع مكونات المجتمعات للتعبير عن ذاتها، وعدم وجود قوى سياسية مجتمعية قادرة على الحسم . وقد يستمر ذلك إلى فترة من الزمن يصعب تقديرها حتى تتضح الأمور، وتستتب الأوضاع، لكن العودة إلى الوراء في ظل صحوة الشعوب إلى أنظمة الاستبداد والفساد باتت من الماضي، وسكن الاستقرار السياسي في البلدان التي حدثت فيها هذه الانتفاضات سوف لن يكون قريباً بفعل عدم نضوج النخب السياسية التي تمثل هذا الحراك وعدم امتلاكها برامج سياسية واقتصادية واجتماعية ناضجة قادرة على استقطاب الجماهير الغفيرة وترسيخ قناعاتها بالأنظمة الجديدة، لا سيما في ظل تضارب المصالح الدولية ودواعي تدخلاتها لتحقيق مصالح استراتيجية واقتصادية .

المبحث الثاني

الربيع العربي في عامه الأول ..ماذا تحقق؟؟

يتضح بعد مرور أكثر من عام على بدء ما سمي بالربيع العربي بأنه يمكن اعتبار الحالة الليبية هي الوحيدة التي تمّ فيها إسقاط كامل للنظام السابق بمساعدة قوات حلف شمال الأطلسي)الناتو (بشكل دراماتيكي، لكن ليبيا ما تزال حائرة، يكتنف الحياة السياسية فيها بعض الغموض، وعدم الحسم، وخاصة بعد الصدامات الأخيرة على أسس قبلية وجهوية، وبالطبع مصلحية، جعلها أقرب إلى الحرب الأهلية منها إلى النظام.

وفي تونس حيث كانت بداية الربيع العربي وانطلاقته الأولى، تمت الإطاحة بالرئيس المخلوع زين العابدين بن علي بعد 24عاماً من الحكم، بيد أن تونس لم تحدث قطيعة شاملة مع النظام القديم بمؤسساته وشخوصه، وإنما قامت بعملية تطهير شاملة .وجرت انتخابات رئاسية وبرلمانية أفرزت برلماناً تسيطر عليه حركة النهضة الإسلامية .وفي مصر تم إسقاط رأس النظام السياسي، وبعض رموزه، لكن مكوناته وبعض آلياته ما تزال فاعلة في الواقع المصري وغير متفقة على نظام سياسي بعينه على الرغم من نجاح الأخوان المسلمين بالصعود إلى قمة السلطة ومحاولتهم الاستحواذ على مرافق الدولة وفرض الأمر الواقع.

وتؤكد انتخابات الرئاسة المصرية بجولتيها عدم اتفاق قوى الثورة ذاتها على نهج واحد يجمعها . بدليل تعدد المرشحين المحسوبين على ميدانالتحرير .كما أن دور المؤسسة العسكرية فاعل ومؤثر، وقد أصبح محور شد وتجاذب على الساحة المصرية بين مؤيد ورافض له، وخاصة بعد القرارات الأخيرة التي اتخذها، وفق الإعلان الدستوري المكمل، وحل مجلس الشعب، والتي ينظر إليها من قبل أوساط سياسية مصرية بأنها تقليص لصلاحيات الرئيس الجديد، وإن الجيش الذي نصّي نفسه حامياً للشرعية الشعبية وحافظاً للتوازن في البلاد سيكون له الدور الحاسم في رجحان كفة النظام الذي يرغب فيه ويتعاون معه لفرض الاستقرار في البلاد.

أما في اليمن فلم يتجاوز التغيير حتى الآن رأس النظام، حيث ما زالت بعض القيادات العسكرية الموالية للرئيس السابق علي عبدالـلـه صالحفي مواقعها .ويعاني هذا البلد من الصراعات الداخلية التي شملت المؤسسة العسكرية أيضاً، بالإضافة إلى ما يسمى "الحراك الجنوبي "، وتحركات تنظيم القاعدة، ونهجها المتطرف إضافة إلى الحوثيين وارتباطاتهم الخارجية التي تحاول تصدير مشاريعها من خلالهم، ولكل هذه الأسباب وأسباب أخرى فإن عملية الاستقرار تبدو ما تزال بعيدة المنال.

أما في سوريا، فقد واجه النظام الثورة بعنف ولجأ إلى الخيار الأمني كحل وحيد في تعامله مع المنتفضين ضده .وقد أصبح الوضع في سوريا مفتوحاً على شتى الاحتمالات .وقد تتالت في الآونة الأخيرة التحذيرات العربية والدولية من دخول سوريا مرحلة الحرب الأهلية .ونحن نرى بعض التسرع في هذه

التحذيرات، حيث الحرب الأهلية تعني في أهم أوجهها الاقتتال بين مكونات المجتمع الواحد على أسس عرقية أو دينية أو مذهبية، وهذا لم يحصل في سوريا بعد، وستبقى الحرب الأهلية في سورية لزمن غير محدود وسوف لن يكون هناك حسم لأي طرف بفعل التعقيدات التي رافقت الانتفاضة السورية، وبفعل التدخلات الخارجية العربية والدولية، ولكن استمرار الصراع في سورية وحسمه مرتبط بالوضع الدولي والإقليمي والدولي وسيتقرر حسمه خارجياً وليس داخلياً .وقد انعكست أحداث الربيع العربي على باقي الدول العربية التي لم يحدث فيها مثل ما جرى في الدول الخمس المذكورة، فقد بادر العديد من الدول العربية إلى إجراء إصلاحات متفاوتة الحجم والعمق، في مجال الإصلاح السياسي .

وفي هـذا الـسياق يمكـن إدراج الأردن كنمـوذج متميـز في استـشراف طبيعـة المرحلـة، وإجـراء إصـلاحات ملموسـة وشـاملة، والأهـم أن هـذه الإصـلاحات التـي تمـت في انـسجام تـام بـين الإرادة السياسية للقيادة والمطالب الـشعبية، التـي اتـسمت بـالحراك الـسلمي، مـما مكـن الأردن مـن المحافظة على هذه الميزة .فقد تم إجراء تعديلات دستورية شملت 42مادة .عـززت الحريـات العامـة وحقوق الإنسان في المملكة .كما تم إنشاء المحكمـة الدسـتورية للمـرة الأولى في تـاريخ الأردن، وإنـشاء الهيئة المستقلة للانتخابات، وهي أيضاً المرة الأولى في تاريخ الأردن التي ستجري فيهـا انتخابـات نيابيـة بإشراف الهيئة .أما قانون الانتخاب الجديد الذي اقره مجلـس النـواب بتـاريخ 19/9/2012فقـد ألغـى قانون الصوت الواحـد، واسـتبدله بـصوتين ، صـوت للـدائرة الانتخابيـة، والثـاني للقائمـة الوطنيـة عـلى

مستوى المملكة .وزاد القانون عدد المقاعد المخصصة للمرأة لتفعيل دورها في صناعة القرار، لتصل الى 15مقعداً، وهذه الإجراءات الحكيمة من قبل قيادة الأردن مضافاً إليها الوعي الوطني الذي يميز شعب الأردن هي التي ستجنب الأردن ما يحصل في المنطقة العربية من تداعيات.

ومن النتائج الملموسة التي أسفر عنها الربيع العربي تصاعد دور الإسلاميين باتجاهاتهم المختلفة نتيجة حفاظهم على بُناهم التنظيمية، وعلى علاقاتهم بحاضنتهم الثقافية والشعبية داخل المجتمعات واستعدادهم لعقد الصفقات مع القوى الفاعلة على الساحة، وهو ما مكنهم من الحصول على أغلبية مريحة في الانتخابات البرلمانية التي حصلت في كل من مصر وتونس، ولكن هذه الأحزاب الإسلامية تفتقر إلى الخبرة والتجربة الكافية لإدارة بلدان عريقة تجذرت فيها ثقافة تعدد الأديان والتعايش المشترك مع المكونات الأخرى ولذلك اندفعوا بفعل الاستقواء بنتائج صندوق الانتخابات وانتهجوا سياسة إقصاء الآخر ومحاولة الهيمنة والاستحواذ على كل الفرص وهذا سيكون سبباً لرفضهم شعبياً.

وحسب نتائج الانتخابات البرلمانية المصرية، التي جرت على ثلاث مراحل بدءاً من 28/11/2011وحتى 11/1/2012تصدرت قوائم حزب الحرية و العدالة، الواجهة السياسية لجماعة الإخوان المسلمين نتائج غالبية الدوائر بحصولها على 3ملايين و 965 ألف صوت بما يعادل 39.9% من إجمالي الأصوات الصحيحة في مختلف الدوائر ، وبذلك حصل الحزب على

235 مقعداً من أصل 508 مقاعد، أي ما يعادل %47.18من أعضاء مجلس الشعب المصري .

أما حزب النور السلفي فجاء في المرتبة الثانية، حيث حصل على %24.29من مقاعد مجلس الشعب، أي 121مقعداً، وجاء حزب الوفد الليبرالي في المرتبة الثالثة، وتلته في المركز الرابع الكتلة المصرية)تحالف ثلاثة أحزاب ليبرالية (وهذه الأحزاب يدفعها سلوك الحزب الإسلامي إلى الائتلاف ضده ومحاولة كسب القوى الشعبية المناهضة .

أما الجولة الأولى من انتخابات الرئاسة المصرية التي جرت يومي 23، 24أيار من العام الحالي فقد أظهرت تقدم مرشح حزب الحرية والعدالة ، حيث حصل على 5.764.952صوتاً ، أي ما يعادل %24.78من إجمالي الأصوات الصحيحة ، حيث وصل إجمالي هذه الأصوات إلى 23.265.516صوتاً ، وكان عدد الناخبين المسجلين 50.996.746ناخباً ، وكانت نسبة المشاركة بالانتخابات . %46.42

وجاء في المركز الثاني أحمد شفيق آخر رئيس وزراء في عهد حسني مبارك، حيث حصل على %24.78 من الأصوات، وجاء حمدين صباحي في المركز الثالث ، حيث حصل على %20.72من الأصوات يليه عبد المنعم أبو الفتوح ، الذي حصل على %17.47 من الأصوات . وجاء عمرو موسى في المركز الخامس ، حيث حصل على %11.13من الأصوات، وبذلك تحددت الجولة الثانية من الانتخابات الرئاسية بين محمد مرسي واحمد شفيق . وقد جرت هذه الانتخابات يومي 16و 17حزيران 2012 وأعلنت نتائجها يوم الأحد

24/6/2012 وفاز فيها الدكتور محمد مرسي بنسبة (51,7%)من الأصوات، وهو أول رئيس منتخب من قبل الشعب، وهذه النتيجة يمكن اعتبارها أهم إفرازات الربيع العربي حتى الآن .

لكن انجازات الإسلاميين في الانتخابات يقابلها حقيقة أنهم أيضاً ليسوا القوة الحاسمة، أو القادرة بمفردها على إدارة شؤون الدول .فقوتهم التصويتية كما تشير الأرقام المذكورة آنفاً لا تزيد في أحسن حالاتها على %25من مجموع أصوات الناخبين .وهنا يبرز التحدي الرئيس أمام الإسلاميين، وهو ضرورة الاتجاه إلى القوى السياسة الأخرى والتفاهم معها بمنطق الحوار والتفاهم لبناء الدول وفق منطق العصر الذي لم يعد فيه مكان للإقصاء والاستفراد والهيمنة، وهذا ما ستكشف عنه الأيام المقبلة .

وكما أشرنا سابقاً فقد تضافرت جملة عوامل لتسهيل مهمة الإسلاميين وعلى وجه التحديد الإخوان المسلمين، في قطف ثمار أحداث الربيع العربي، أولها متعلق بهم، وهو أنهم الأكثر تنظيماً، والثاني خاص بطبيعة هذه الأحداث، التي تميزت بالتلقائية، حيث خرج الناس إلى الشوارع بزخم هائل، لكن من دون قيادات توجه وتنظم عملية التغيير، ضمن إطار سياسي وفكري وعقائدي محدد .

أما في تونس فقد أظهرت نتائج الانتخابات البرلمانية التي جرت في 23/10/2011 حصول حزب النهضة الإسلامي على أعلى المقاعد، حيث حصل على 90مقعداً من مجموع مقاعد البرلمان التي تصل إلى 217مقعداً، وحصل حزب المؤتمر من اجل الجمهورية على 30مقعداً يليه التكتل الديمقراطي على 21مقعداً .

المبحث الثالث

المواقف الدولية والإقليمية

من أحداث الربيع العربي

فـوجئ العـالم كلـه بأحـداث الربيـع العـربي، التـي مـا أن انـدلعت حتـى أصـبحت محـط أنظار السياسيين والمحللين، ولا غرابـة في ذلـك .فهـذه الأحـداث جـرت في منطقـة تعتـبر حيويـة وذات موقع جيو استراتيجي مهم عـلى خارطـة العـالم .الولايـات المتحـدة الأمريكيـة القطـب الأعظـم في عـالم اليوم، كانت مترددةفي حسم موقفها في البداية إزاء ما جرى في تونس، والأمر ذاته انطبق على مصر .وما زلنا نذكر تقلبات الموقف الأمريكي بتسارع كان ملفتاً إزاء مـا حـدث في مـصر، مـن الـتأييد في البدايـة للرئيس المخلوع حسني مبارك ونظامـه، ثـم الـتحفظ، ومـا أن أعلـن عـن تنحـي مبـارك يـوم الجمعـة 11/2/2011، حتى سارعت الولايات المتحدة إلى تأييد خيارات الشعب المصري .بل إن الرئيس الأمـريكي باراك أوباما قد ألقى خطابـاً بتـاريخ 12/2/2011أفـاض فيـه في مـدح الثـورة المـصرية، والثنـاء عليها .فالولايات المتحدة الأمريكية دولة عظمى لهـا مـصالح في المنطقـة، ومرتبطـة باتفاقيـات تعاون مع مصر الدولة العربية الكبرى، التي يؤثر ما يجـري فيهـا عـلى المنطقـة كلهـا، كـما أن مصر أيضاً مرتبطة باتفاقية سلام مـع إسرائيـل .ولم تجـد الولايـات المتحـدة بـداً مـن احـترام " خيارات الشعوب "كما تؤكد في تصريحات مسؤوليها المتتالية بخصوص الربيع العربي، وإن كان

ما يهمها بالدرجة الأولى ويحرك بوصلة سياساتها، الحفاظ على مصالحها في المنطقة وأمن إسرائيل والنفط .

أما مواقف دول مجلس الاتحاد الأوروبي فتبدو مشابهة إلى حد ما للموقف الأمريكي وتابعة له، وإن كانت قد انفردت بتدخل قوات حلف شمال الأطلسي)الناتو (للمساهمة في الثورة الليبية، والإطاحة بالرئيس الليبي المخلوع معمر القذافي، وهذا الموقف بالذات لم يكن البتة بعيداً عن موافقة واشنطن ومباركتها .أما بالنسبة للدول الإقليمية المؤثرة، فنجد من الضروري تسليط الضوء على مواقف كل من إسرائيل وإيران وتركيا إزاء أحداث الربيع العربي.

فقد حرصت مراكز صنع القرار في إسرائيل خلال الأيام الأولى من الثورة المصرية على تجنب الحديث عمّا يجري هناك مفضلةً ترقب ما ستؤول عليه الأوضاع ، ثم بعد ذلك توالت التصريحات الإسرائيلية الحذرة .

فقد حذر رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتياهو من أن عدم الاستقرار في المنطقة قد يستمر لسنوات، وذلك في إشارة الى الثورات الشعبية في الدول العربية، وحسب نتياهو "إننا في فترة انتقالية مع عدم استقرار يمكن أن يستمر لسنوات طويلة ...نحن نأمل أن ينتقل العالم العربي وكذلك إيران الى الديمقراطية الحقيقية ، ولكن علينا أن نعد أنفسنا لكل سيناريو . "

وأشار المحلل السياسي الإسرائيلي ناحوم بارنيع الى أن الثورات العربية ستكون إسلامية التوجه، وحسب قوله : إن النظم العسكرية في العالم العربي سقطت أو تخوض حرباً تدافع فيها عن بقائها، فالحاضر للجمهور في الشارع،

أما المستقبل للثورات العربية فهو للأحزاب الإسلامية، وسيكون أصعب على إسرائيل أن تتوصل الى تطبيع مع عالم عربي كهذا . "

وفي اتجاه مغاير ذكر المحلل السياسي الإسرائيلي دوري جولد الذي شغل سابقاً منصب المستشار السياسي لرئيس الوزراء بنيامين نتنياهو خلال فترة رئاسته الأولى في مقال بصحيفة إسرائيل اليوم بأن التحول الديمقراطي في العالم العربي يشكل مصلحة إسرائيلية، قائلاً :هناك فهم آخذ في الانتشار بأنه بسبب قلقها من عدم الاستقرار الذي سيوجه في النهاية نحوها، فإن إسرائيل تعارض الميل الديمقراطي الجديد .غير أن لإسرائيل مصلحة واضحة في أن ترى الدول في محيطها تتبنى قيماً ديمقراطية حقيقية . فمن الناحية العلمية أن انعدام الديمقراطية في العالم العربي قد ساعد في إطالة الصراع العربي الإسرائيلي في العقود الماضية، ولا تخفي إسرائيل توجسها ومخاوفها من احتمالات حدوث تغييرات في العالم العربي وخاصة المحيط بها خارج الحسبان ."وكان لافتاً تصريح وزير خارجية إسرائيل افيغدور ليبرمان في 22/4/2012الذي قال فيه "إن الثورة المصرية أخطر على إسرائيل من النووي الإيراني "الذي لا تخشَ منه إسرائيل في حقيقة أمرها.

من جهتها رحبت إيران بالثورات العربية من منطلقات عقائدية، ووصفتها قبل إجراء الانتخابات البرلمانية في دول الربيع العربي بالصحوة الإسلامية، وهو ما تطابق مع نتائج الانتخابات البرلمانية وفوز الإخوان المسلمين في الانتخابات التي جرت حتى الآن في مصر وتونس والمغرب .

لكن لا يمكن إغفال حقيقة أن الشارع العربي ينظر بسلبية، وعدم ثقة إلى سياسات إيران منذ تدخلها السافر في شؤون العراق والبحرين ودول الخليج ولبنان والمنطقة العربية عموماً، وخاصة بعد اندلاع أحداث الربيع العربي وخاصة دعمها للنظام في سوريا في حربه ضد شعبه، مما يضع إيران في موقع متعارض مع المعارضة السورية وجزء أساسي منها الإخوان المسلمين ، كما تتوجس إيران من احتمال انتهاج الإخوان المسلمين في أكثر من بلد عربي خطاباً معتدلاً تجاه الغرب وإسرائيل وهذا ما يتعارض مع المشروع الإيراني الذي يعتمد على بقاء عدم الاستقرار في المنطقة الغربية ليكون ظرفاً مناسباً لتحقيق مشروعها القومي.

أما بالنسبة لتركيا، فقد تميزت مواقفها تجاه الربيع العربي بالاختلاف النسبي في التعامل مع الثورات ، فابتداءً التزمت تركيا مدخل المتابعة والحذر للأوضاع في تونس، ثم كان الموقف التركي أكثر وضوحاً في الحالة المصرية، وهو تأييد التحرك الشعبي منطلقاً من مراقبته لما يجري في مصر ودعمه لنشاط الأخوان المسلمين الذي كانت تأمل أن تكون الغلبة لهم في نهاية الأمر .

أما بشأن ليبيا فقد كانت المواقف التركية أكثر تحفظاً إزاء التدخلات الخارجية، حيث هاجمت تركيا خطط حلف شمال الأطلسي بالتدخل العسكري في ليبيا، قبل أن ينقلب رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان على نظام القذافي المخلوع .أما تجاه الثورة السورية فكانت المواقف التركية واضحة في تأييد الثوار، وتوفير مكان آمن وحرية الحركة للجيش السوري الحر، والتيارات الإسلامية المتحالفة معه.

ويمكن فهم المواقف التركية من خلال جملة عوامل أولها أن الدول تحكمها دائماً مصالحها التي تحدد سياساتها .فتركيا دولة إقليمية مؤثرة وفاعلة، وهي تسعى لتكون لاعباً رئيساً في المنطقة واستعادة أمجاد الإمبراطورية العثمانية، إن لم يكن كلها فبعضها على الأقل، ولكن بمنظور حديث يخدم مصالحها، وهذا يستدعي إضعاف إيران عبر ضرب احد الركائز الأساسية للنفوذ الإيراني في المنطقة ممثلاً بالنظام الذي ما يزال حاكماً في سوريا، أضف إلى ذلك أن تركيا عبر التاريخ تعتبر واحدة من القوى التي تتصارع على سوريا، وهذه القوى هي مصر والعراق بالإضافة إلى تركيا .ولا شك أن تركيا تعي جيداً أن التغيير في سوريا، سيكون مدخلاً مهماً لإضعاف إيران، وتغيير الواقع السياسي المهيمن في العراق حالياً، إضافة لعدة عوامل أخرى لعل أهمها فتح الأسواق العربية أمام المنتجات التركية التي تعاني من منافسة شديدة في الكثير من الدول التي تتعامل تجارياً معها، كما تريد تركيا من هذا الدور في المنطقة العربية إعطاء رسالة للدول الأوروبية التي ما زالت تمانع الموافقة على انضمامها إلى الاتحاد الأوروبي واقتصاره على الدول الأوروبية باعتباره نادياً مسيحياً يرفض أي دولة إسلامية حتى لو كانت تقع في الأراضي الأوروبية وهذه الرسالة تتلخص بأن لتركيا خيارات أخرى غير الاتحاد الأوروبي منها العالم العربي والإسلامي الذي يرحب بها ويمكن لتركيا أن تكون دولة قائد فيه إذا استمر الأوروبيون برفض طلبها الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي.

المبحث الرابع

التداعيات المحتملة للربيع العربي على المنطقة

الربيع العربي أحدث تغييراً كبيراً في موازين القوى الإقليمية، وهو في طريقه لأحداث المزيد، حيث أن المحتوى الإيديولوجي الإسلامي الصاعد حتى الآن سيخلف فضاءً جديداً، من التعاون مع الدول الإسلامية غير العربية في المنطقة، أي تركيا وإيران،بكل ما يعنيه ذلك من انعكاسات على دوريهما الإقليميين .وعلى الصعيد العالمي ستحاول الولايات المتحدة الأميركية كقطب عالمي أوحد حتى الآن أن تشكل نظاماً إقليمياً جديداً يحفظ مصالحها ومصالح إسرائيل، وتحديداً بعد بداية تراجع المكانة الأمريكية بالتوافق مع صعود قوى دولية أخرى وهي : (الاتحاد الأوروبي، اليابان ومجموعة بريكس)البرازيل، روسيا، الهند، الصين، جنوب أفريقيا).

ولذلك فإن النظام الدولي المتعدد الأقطاب هو الأكثر ملاءَمة للقوى الصاعدة في العالم العربي كتداعيات للربيع العربي، حيث تمنحها تعددية النظام الدولي حرية الحركة والاختيار والمناورة في العلاقات الخارجية، ولا تخضعها لهيمنة قوة دولية واحدة .ولذلك نتصور أنه في ظلّ نظام متعدد الأقطاب فإن السياسات العربية سيكون أمامها مجال أوسع لبناء علاقات أقوى مع القوى والمراكز الدولية الصاعدة وفي صدارتها دول مجموعة بريكس .

وبالمحصلة، فقد أحدثت الثورات العربية حراكاً إقليميا جديداً لم ينته بعد، حيث انه من الصعب التكهن بالمدى الذي سيصل إليه هذا الحراك، وكذلك

طبيعة المعادلات الإقليمية الناشئة عنه، والتي ربما تفضي الى عالم مختلف في الشرق الأوسط، أي أوضاع إقليمية جديدة نوعاً ما.

وفيما يلي ابرز التداعيات المحتملة للربيع العربي على الدول والكيانات الإقليمية الفاعلة في المنطقة، وهي إسرائيل وإيران وتركيا.

إسرائيل:

يمكن إجمالي التداعيات المحتملة للثورات العربية على إسرائيل، وتحديداً الثورة المصرية في المحاور الأساسية التالية:

أولاً :إقامة مشروع مارشال جديد لكبح جماح الفكر الإسلامي المتطرف

نشر الكاتب الإسرائيلي إيلي فردنشتاين تقريراً في صحيفة معاريف الإسرائيلية قال فيه :يحاول رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو التقدم باقتراح إقامة صندوق دولي يشجع إجراءات ديمقراطية، يؤدي إلى نمو اقتصادي ملموس في الدول العربية؛ وذلك بهدف منع استيلاء منظمات وأحزاب إسلامية متطرفة على الحكم في تلك الدول .وبحسب فردنشتاين فإن نموذج نتنياهو يشبه مشروع مارشال الأمريكي لإنعاش الدول الأوروبية بعد الحرب العالمية الثانية، وقد سُمي على اسم جورج مارشال وزير الخارجية الأمريكي في نهاية الحرب العالمية الثانية .واستغرق تحقيق ذلك المشروع نحو أربع سنوات استثمر خلالها نحو 13مليار دولار (ما يقارب 100مليار دولار بأسعار اليوم) في دعم الاقتصاد وفي المشورة الفنية للدول الأوروبية التي انضمت لاحقاً إلى منظمة التعاون الاقتصادي التي تعرف اليوم باسم (OECO) وهو أمر يخدم المصالح الأمريكية والاستقرار في المنطقة على المدى البعيد.

ثانياً: مبادرة سياسية إسرائيلية

من جهته أكد المحلل السياسي الإسرائيلي زلمان شوفال في مقال بصحيفة " إسرائيل اليوم " ضرورة قيام إسرائيل بمبادرة سياسية جديدة، مبرراً ذلك بالقول : " لقد ضعفت مكانة الولايات المتحدة الأمريكية في الشرق الأوسط ، وتراجعت مكانتها عند حلفائها العرب، وعند أعدائها تركيا وإيران. وعلى ضوء ذلك يتوجب على إسرائيل أن تخرج بمبادرة سياسية بعيدة المدى في الشأن الفلسطيني تتضمن تنازلات كبيرة في مسائل الحدود والمستوطنات والقدس.

وتكون الأهداف حل القضية الفلسطينية، وتعزيز المعسكر الموالي لأمريكا واستقرار المنطقة في مقابل من يحركون القدر حولنا ".

وحسب قوله " فإننا إذا لم نبادر ونتوصل إلى تسوية مع دولة فلسطين بقيادة (أبو مازن) فقد نواجه خلال زمن غير طويل سلطة فلسطينية تحت قيادة متطرفة، كما قد يحدث في الدول العربية المختلفة مثل الذي حدث في قطاع غزة" وهذا احتمال غير بعيد.

ثالثاً : " التحول الديمقراطي في العالم العربي – مصلحة إسرائيلية ":

وقال المحلل السياسي دوري جولد الذي شغل سابقاً منصب المستشار السياسي لرئيس الوزراء بنيامين نتنياهو خلال فترة رئاسته الأولى في مقال بصحيفة " إسرائيل اليوم " بأن التحول الديمقراطي في العالم العربي يشكل مصلحة إسرائيلية، قائلاً : " هناك فهم خاطئ آخذ في الانتشار بأنه بسبب قلقها من عدم الاستقرار الذي سيوجه في النهاية نحوها؛ فإن إسرائيل تعارض الميل الديمقراطي الجديد. غير أن لإسرائيل مصلحة واضحة في أن ترى الدول في محيطها تتبنى

قيماً ديمقراطية حقيقية. فمن الناحية العملية أن انعدام الديمقراطية في العالم العربي قد ساعد في إطالة الصراع العربي – الإسرائيلي في العقود الماضية. وكنتيجة لذلك كان هناك موضوعان شددت الحكومات العربية عليهما وهما: الوحدة العربية (حتى منتصف الستينيات من القرن الماضي) والعمل ضد إسرائيل، وهذه كانت الأوتار التي عزفت الحكومات عليها كي تعظم شرعية النظام الديكتاتوري. وبتعبير آخر اعترف الرئيس السوري بشار الأسد بأن العداء المتواصل تجاه إسرائيل يشكل بالنسبة للأنظمة العربية شبكة أمان سياسية تساعده على البقاء في الحكم، كما أن الصراع ساعدها في صرف انتباه مواطنيها عن الالتفات لأوضاعها الداخلية، وتوجيه الانتقاد للحكم"، وأعفى الحكام العرب من إجراء إصلاحات سياسية واقتصادية حقيقية تتناسب مع الثروات التي تملكها بلدانهم.

وحسب رأي المحلل السياسي زلمان شوفال: " تثبت الفوضى في العالم العربي سخافة الإدعاء بأن الموضوع الفلسطيني هو مصدر كل المشاكل، حيث توجد أمام المسيرة السياسية بالفعل عوائق بعضها قديم، وبعضها جديد، ولكن إسرائيل تواصل البحث مع الولايات المتحدة عن إمكانيات مختلفة لإعادة تحريكها " وإنتاجها بشكل جديد يكون مقبولاً في المنطقة العربية.

رابعاً :مواقف الجيش المصري تجاه إسرائيل

أكد المحلل السياسي اليكس فيشمان بأن سقوط النظام المصري يعتبر إنذاراً أولياً ، بحيث يتوجب على الجيش الإسرائيلي أن يبدأ بالاهتمام بالجبهة الجنوبية مرةً أخرى .

وحسب قوله : " إن الجيش المصري هو أكبر الجيوش وأكثرها تسليحاً في المنطقة، حيث يمتلك سلاح الجو المصري أكثر من 400 طائرة حربية، وما يقرب من 100 مروحية حربية، وهناك 3600 مدرعة من طرز مختلفة تشتمل على دبابة (ابرامز) الأمريكية المتقدمة التي يتم إنتاجها في مصر، بل أن مصر توشك أن تصدر هذه الدبابات إلى العراق الذي فقد معظم أسلحته التي كان يمتلكها أبان النظام السابق بعد الاحتلال الأمريكي.

ويقول الخبراء العسكريون في الغرب إن دولة إسرائيل هي (التهديد الواقعي) الذي يدفع مصر إلى بناء قوتها العسكرية. وحسب وثائق ويكيليكس فقد اشتكى مدير عام وزارة الدفاع الإسرائيلية عاموس جلعاد على مسامع المصريين، بأنهم يجرون تدريبات تُعرّف إسرائيل بأنها عدو " وهذا ما يدفع إلى خلق أجواء متوترة فيا لمنطقة وعدم الثقة بين إسرائيل وجيرانها العرب..

خامساً : مسألة توقف تصدير الغاز المصري لإسرائيل " :

ذكرت صحيفة يديعوت احرونوت بأن إسرائيل قد نقلت خلال الآونة الأخيرة رسائل إلى القيادة العليا في مصر فحواها: احترموا التزاماتكم، واستأنفوا تصدير الغاز فوراً، وذلك في أعقاب انفجار أنبوب الغاز في ذروة الثورة في مصر.

وكان هذا الأسلوب الاستعلائي يثير حفيظة الشعب المصري الثائر وعلى إسرائيل أن لا تستغل ظروف مصر المضطربة لإبراز عضلاتها بشكل يستفز جيرانها الذين ترتبط معهم بمعاهدة سلام.

ونقلت الصحيفة تصريحات لمصادر حكومية قالت فيها بأنه ليس لدينا في هذه اللحظة أي مؤشرات على أن الغاز يوشك على أن يعود. ويدّعي المصريون حسب ما جاء في الصحيفة بأنهم لم يستأنفوا تصدير الغاز بسبب مشاكل فنية ونقص في قطع الغيار ، إلا أنهم يشككون في هذه الرواية، ويقدرون بأن الحديث يدور عن قرار سياسي يرتبط بالمنشورات عن التحقيقات في أعمال رشوة تتعلق بصفقة الغاز. وحسب مصدر سياسي إسرائيلي هناك أمور وأسباب أعمق، وأكبر من الأسباب الفنية.

وحسب تقرير لصحيفة يديعوت أحرونوت فإن الملياردير حسين سالم هو الشريك المصري ليوسي ميمان في صفقة الغاز، وسيرة حياة سالم (83 عاماً) مثيرة للاهتمام: فهو طيار (هنا تعرف على مبارك)، وخدم كذلك ضابطاً في أجهزة الاستخبارات، وكذلك عمل تاجر سلاح .

سادساً : احتمالات اندلاع انتفاضة فلسطينية غير عنيفة

ذكرت صحيفة هآرتس بأن قيادة المنطقة الوسطى وفرقة يهودا والسامرة (الضفة الغربية)، تتابعان عن كثب ما يجري في الدول العربية والشرق الأوسط، وتضعان الخطط للتصدي لانتفاضة شعبية غير عنيفة، يحتمل اندلاعها في المناطق الفلسطينية. ويقول أحد الضباط في الفرقة:" إن الأحداث الأخيرة في الشرق الأوسط أحدثت عندنا تغييراً هاماً " .

وحسب الصحيفة فإنه يسود منذ زمن بعيد في أوساط كبار الضباط ممن خدموا في المناطق الفلسطينية الإحساس بأنه ليس لدى إسرائيل رد جاهز على احتمال اندلاع انتفاضة فلسطينية جديدة. وقال ضابط رفيع المستوى يخدم اليوم

في يهودا والسامرة (الضفة الغربية) أنه " ليس لنا ما نفعله إذا حصل هنا ما حصل في تونس ".

وذكرت الصحيفة بأن التنسيق الأمني بين الجيش الإسرائيلي وأجهزة أمن السلطة الفلسطينية أصبح مدماكاً هاماً في مفهوم الدفاع في أرجاء الضفة الغربية، ومع ذلك فإنه في حال اندلاع الانتفاضة الشعبية لن يكون ممكنا الاعتماد على أجهزة السلطة فقط، فلا بد أيضاً من إيجاد سُبل حوار أخرى مع القيادة المدنية المحلية التي تسيطر وتحرك الميدان.

سابعاً : خطوات أخرى على المدى القريب:

أكد نائب وزير الدفاع الأسبق افرايم سنيه في مقال بصحيفة يديعوت احرونوت ضرورة قيام إسرائيل بخمس خطوات على المدى القريب.

ولخص تلك الخطوات بالآتي:

1. يتعين على إسرائيل أن تستولي من جديد على محور فيلادلفيا الحدودي بين قطاع غزة ومصر. وإذا لم تفعل ذلك فستتعاظم قوة حماس العسكرية، في قطاع غزة والتي باتت منذ اليوم لا تحتمل.
2. يجب بناء الجيش ليس على أساس الافتراض الذي كان سائداً منذ ثلاثين سنة: " مصر لم تعد عدواً عسكرياً " والعراق خرج من لعبة التوازن الإقليمي وسوريا ما زال مستقبلها غير واضح واحتمالات تقسيمها ليست مستبعدة أما الدول العربية الأخرى فلديها ما يكفيها من اهتمامات داخلية تبعدها عن الاهتمام بالشأن الإسرائيلي.

3. بناء جدار على الحدود مع مصر، ويمكن الاعتماد حالياً على التعاون مع الجيش المصري لمنع التسلل من سيناء إلى غزة وأراضي إسرائيل.
4. زيادة الاعتماد على الغاز الطبيعي من آبار الغاز من المياه الإسرائيلية وذلك لأن وقف تصدير الغاز من مصر من شأنه أن يكون من التعابير الأولية عن السياسة الجديدة لحكومة مصر والتي قد تشكل وسيلة من وسائل الضغط.
5. يجب تعزيز المحور المعتدل الوحيد المتبقي في الشرق الأوسط وهو المحور الأردني – الفلسطيني – الإسرائيلي .

وعلى إسرائيل أن تنزع صمام انفجار الصراع الإسرائيلي – العربي وذلك عندما يختطف حزب الـلـه لبنان، وتكون مصر معلقة بالمجهول، وعندما تخرج الولايات المتحدة من العراق. فإن إسرائيل ستكون محكومة بالعزلة الدولية في وضع إقليمي تحتاج فيه إلى أصدقائها وتحتاج إلى إعادة ترتيب علاقاتها الإقليمية والدولية بما ينسجم مع الأوضاع الجديدة في المنطقة.

إيـــران:

هناك حالة ارتباك واضحة في تعامل إيران مع أحداث الربيع العربي وتداعياته المحتملة، ترقى إلى تناقض واضح... ففي الوقت الذي تتبنى إيران رأياً يقوم على أساس دعم ما جرى في تونس ومصر والبحرين ورأت أنها مستوحاة من الثورة الإسلامية الإيرانية، فإنها تدعم بقوة إجراءات النظام السوري في التعامل بوحشية مع الشعب السوري المطالب بالحرية والكرامة، كما رفضت المظاهرات في العراق، وهذه سياستها المستوحاة من مشروعها الساعي إلى خلق دور جديد لها يؤهلها للتحكم بالمنطقة العربية وإعادة أمجاد الحضارة الفارسية.

هذا التناقض يطرح دلالة مهمة فحواها أن إيران تنظر الى تطورات الإقليم بمنطق الدولة التي تعي مصالحها، وليس بمنطق الثورة ذات التفكير الأيديولوجي. إيران قلقة على أوضاعها كما سلف، ليس من تداعيات الربيع العربي فقط، وإنما أيضاً من الاحتمالات المتوقعة لملف برنامجها النووي، وتوجس الدول العربية، وخاصة الخليجية من سياساتها في المنطقة، وتدخلاتها في الشؤون الداخلية للدول العربية، ومع ذلك تحاول إيران استغلال ما ترى أنه مكاسب يمكن تحقيقها من أحداث الربيع العربي ، يمكن حصرها على النحو التالي:

أ. توجيه اهتمام الرأي العام الدولي بعيداً عن أزمة الملف النووي الإيراني، مما يعطيها فرصة ثمينة لمواصلة إكمال المشروع النووي.

ب. تقليص حالة الأهمية والزخم التي حظيت بها حركة الاعتراض على نتائج الانتخابات الرئاسية الإيرانية التي أجريت عام 2003 واعتبار أن الإصلاحيين والمحافظين وجهان لعملة واحدة في السياسة الإيرانية.

ج. الاستفادة من الزيادة الملحوظة في أسعار النفط خصوصاً بعد وصول موجات التغيير الديمقراطي إلى ليبيا، وبروز توقعات باحتمال امتدادها الى دول نفطية أخرى في المنطقة، وغض النظر عن نشاطها في احتواء الحصار المفروض عليها من خلال التبادل الاقتصادي والتجاري الواسع مع العراق وتعويض ما تخسره جراء الحصار عن طريق التعامل المالي والتجاري مع المؤسسات العراقية المالية مضافاً إلى ذلك فإن إيران تدفع باتجاه ولادة مشروع شرق أوسطي جديد في المنطقة على أنقاض الأنظمة التي سقطت يُدْعى شرق أوسط إسلامي تبنته في مواجهة المشروع الأمريكي (الشرق الأوسط الجديد)، الذي طرحته الولايات المتحدة الأمريكية بعد احتلال العراق عام 2003، وذلك للبحث عن دور إقليمي جديد ومؤثر في المنطقة.

تركيا:

تشهد السياسة الخارجية التركية تحولات عميقة للتوجه شرقاً منذ وصول حزب العدالة والتنمية إلى الحكم عام 2002 وذلك على الرغم من الشراكة الإستراتيجية الوثيقة التي تربط تركيا مع الغرب باعتبارها تملك ثاني اكبر جيش في حلف شمال الأطلسي بعد الجيش الأمريكي، وطموحها في تحقيق حلمها بالانضمام إلى الاتحاد الأوربي.

ولا شك أن أحداث الربيع العربي كان لها تداعياتها على السياسة التركية، والتي يمكن إجمالها في المحاور الثلاثة التالية:

أ- في المجال السياسي:

أدت أحداث الربيع العربي لإعادة استدعاء الدور التركي كنموذج للتحول السياسي والاجتماعي في المنطقة العربية التي تمثل لها إرثاً تاريخياً، مع تجدد الجدل حول كيفية ومدى الاستفادة من الخبرة التركية.

ب-في المجال الاقتصادي:

أدت هذه الأحداث إلى فتح المجال لاستحضار دور تركي مساهم في إنقاذ اقتصادات دول الربيع العربي في إطار الحديث عن مشروعات تعكس سعي تركيا لتنشيط علاقاتها التجارية والاستثمارية معها، وفتح الأسواق العربية من جديد امام المنتجات والاستثمارات التركية التي تعاني من شح الأسواق.

ج-في المجال الأمني :

بروز ادوار أمنية عسكرية تركية على نحو ما ظهر في ليبيا بشكل خاص في إطار المشاركة التركية في حلف الناتو لفرض حظر التسليح وإيصال المساعدات

الإنسانية. وكذلك وجود خطط تركية للتدخل وإقامة مناطق آمنة داخل الأراضي السورية في حالة تدهور الأوضاع هناك للحد من التأثيرات السلبية وتدفق اللاجئين داخل الأراضي التركية، وهذا سيعزز دورها ونفوذها في المنطقة العربية من جديد.

الخاتمة

شكلت أحداث ما اصطلح على تسميته الربيع العربي، التي اندلعت في عام 2011 في كل من تونس ومصر ثم ليبيا واليمن وسوريا تغييرات كبيرة في المنطقة، لم تنته تداعياتها بعد، وما زالت احتمالاتها مفتوحة في شتى الاتجاهات. هذه الأحداث تحمل مواصفات الثورات في بعض جوانبها لجهة الأسباب والمسببات، كما تحمل سمات الانتفاضات الاجتماعية المتواصلة من جهة عدم توفر قيادات تدير وتوجه، ولكنها في كل الأحوال حدث تاريخي كبير سيكون له ما بعده بالتأكيد على الصُعد السياسية والاقتصادية والاجتماعية في المنطقة العربية والعالم، نظراً لما تحظى به منطقتنا من أهمية جيو استراتيجية. ولا شك أن العامل الاقتصادي بما يعنيه من ضعف الاقتصادات في دول الربيع العربي بالإضافة الى الفقر والبطالة والتهميش كان له الدور الأكبر في تحريك أحداث الربيع العربي ، ومن الطبيعي أن يكون لهذه الأحداث، وهذا التحول التاريخي أصداؤه وتداعياته العالمية والإقليمية في منطقة لها كل هذه الأهمية والحيوية، فالولايات المتحدة تتابع كل ما يجري، وتعمل في الخفاء والعلن لحماية مصالحها. والأمر ذاته ينطبق على دول الاتحاد الأوروبي، وعلى الصعيد الإقليمي فإن إسرائيل تبدي أكثر من موقف، لكنها في الوقت ذاته متوجسة مما يجري ، ومن احتمالات وتداعيات قد لا تكون في الحسبان. والأمر ذاته ينطبق على إيران القلقة على نفوذها في المنطقة وتمددها، أما تركيا فنراها تنشط لتزيد رقعة نفوذها في المنطقة العربية وشعبيتها، مستغلة تأييدها لأحداث الربيع العربي، وعلاقاتها التاريخية بمنطقتنا.

وأخيراً يصعب التنبؤ بما ستؤول الأوضاع في دول الربيع العربي باستثناء تونس ومصر، ولكن يظل ما حدث دليلاً على أن العرب دخلوا مرحلة جديدة في تاريخهم عنوانها الأكبر الحرية والكرامة والتوزيع العادل للثروات، وبناء دول حديثة تحاكي روح العصر، وهذا ما تقول به شعارات المنتفضين في شوارع دول الربيع العربي على الأقل.

وحتى تاريخ إعداد هذا الكتاب فإن النتيجة الرئيسة للربيع العربي هي وصول رئيس منتخب من الإخوان المسلمين بنسبة حوالي (52%) من الأصوات الى منصب الرئاسة في أكبر دولة عربية هي مصر. وبرزت التحديات كبيرة أمام الرئيس الجديد، وأمام الاتجاه السياسي والعقائدي الذي يمثله. فبناء الدول في عالم متغير أمر مختلف عن العمل في المعارضة، واستدرار العواطف، وحشد الأنصار، لذلك كان تدخل الجيش المصري لعزل الرئيس مبنياً على إرادة شعبية واسعة أعطته الشرعية اللازمة لهذا التغيير، ويظل بناء الدول في ظل تحديات اقتصادية كبيرة، وتحديات خارجية لا تقل خطورة، يتطلب التفاهم مع مكونات المجتمع، وقواه السياسية والفكرية كافة وفق منطق الحوار والتفاهم بعيداً عن الإقصاء والاستفراد والهيمنة، التي لا مكان لها في عالم اليوم وتبقى العبرة في التطبيق وليس الشعارات وما ستكشفه الأيام القادمة قد يكون مفاجئاً للجميع.

المصادر والمراجع

المصادر:

القرآن الكريم

المراجع العربية:

- أبو الصوف د. بهنام ، التاريخ من باطن الأرض، مطابع شركة الأديب، عمان،2009.

- الأحمد، سامي سعيد ، العراق القديم، بغداد، 1978، ج2.

- الأصفهاني، حمزة بن الحسن ، تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، دار الحياة، بيروت، 1961.

- البدوي، محمد طه ، أصول علم السياسة، المكتب العربي الحديث، 2011.

- البكري، صلاح الدين ، تاريخ حضرموت السياسي، ج2، المطبعة السلفية مصر، 1935.

- الطعان، عبد الرضا ، الفكر السياسي، دار الثقافة، بغداد، 2008.

- المطلك، منذر أحمد ، الدراسات العربية والإسلامية في أوربا: رسالة غير منشورة مقدمة إلى معهد صدام العالي لدراسة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة كجزء من متطلبات شهادة الدبلوم العالي في العلوم الإسلامية بغداد 2000م.

- المياح، علي، العراق ودول جنوب شرق آسيا، مجلة الحكمة، العدد 11، السنة الثانية، بغداد 1999.

- النعيمي، أحمد نوري ، الأبعاد المؤثرة في السياسة الخارجية، مجلة الحقوقي، العددان الأول والثاني، السنة التاسعة، بغداد 1977.

- الهاشمي، تغريد جعفر، و عكلا، حسن حسين، الإنسان – تجليات الأزمنة، تاريخ و حضارة بلاد الرافدين، دار الطليعة الجديدة، دمشق، 2001.

- باقر، طه: مقدمة في تاريخ الحضارات، بغداد، طبعة عام 1955.

- برون، جيفري ، تاريخ أوروبا الحديث، ترجمة علي المرزوقي، الأهلية للنشر والتوزيع، دمشق، 2006.

- حمادي، شمران ، الأحزاب السياسية والنظم الحزبية، ط2 بغداد: مطبعة الإرشاد، 1975.

- ديشان، هوبير، نهاية الاستعمار، ترجمة زهير السعداوي، بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1953.

- ديورانت، وول، قصة الحضارة، المجلد الثامن، الكتاب الثالث، الفصل الرابع عشر.

- رمضاني، روح الـلـه ، الخليج العربي ومضيق هرمز، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، البصرة، 1984.

- سليمان، علي حيدر، تاريخ الحضارة الأوروبية الحديثة، دار واسط للنشر، بغداد، 1999.

- عمر، فاروق ، تاريخ الخليج العربي في العصور الإسلامية الوسطى، الدار العربية، بغداد، ط2، 1985.

- عيسى، محمود خيري وآخرون، المدخل في علم السياسة، القاهرة، مكتبة الأنكلو مصرية ط3 1966.

- فوستر، هنري ، نشأة العراق الحديث، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الأولى 1989م.
- مقلد، إسماعيل صبري ، العلاقات السياسية الدولية، الكويت، 1971.
- مورتكات، أنطوان، الفن في العراق القديم، ت: د. عيسى سلمان وسليم طه التكريتي/ وزارة الإعلام العراقية.

المواقع الإلكترونية:

- شبكة القديس سيرافيم، الكنيسة الروسية خارج الحدود
- موقع أدب، الوحدة الإيطالية.
- موقع الأسر، البابا يوحنا بولس الثاني، أدوار ومهمات.
- موقع ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

المراجع الأجنبية:

References:

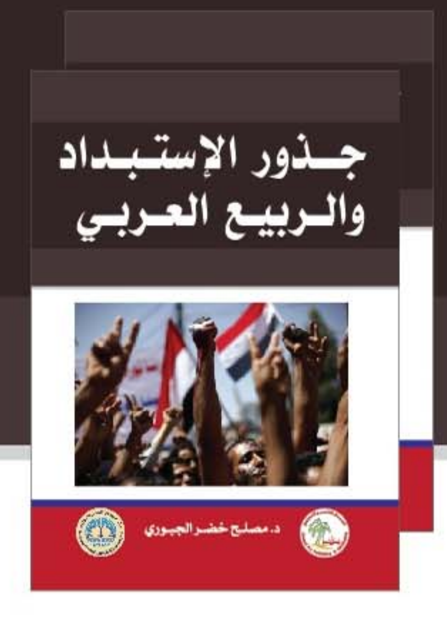
- Baghat Korany and All E.Hillal Dessouki, The Foreihn Policies oh Arab states (Boulder and London: west Press1984).
- Biddle, Martin; Seligman, Jon; Tamar, Winter; Avni, Gideon (2000). The Church of the Holy Sepulchre, distributed by St. Martin's Press.
- G.G. Lapin, 70 Years of Gidroproekt and Hydroelectric Power in Russia, August 2000, Volume 34, Issue 8-9.
- Havland, carandathers, Lommunication and persusion (Ivew,waveni yale university, press, 1953
- Kenneth Clarke: Civilization, BBC, SBN, 563102799. First Published 1969.
- Norman, A. Stillman The Jews of Arab lands: a history and source book.
- Religion in the Roman Empire – Wiley – Blackwell, by James B, Rives.
- Richard Sakwa The Rise and Fall of the Soviet Union, 1917-1991: 1917-1991. Rutledge, 1999. ISBN 0-415-12290-2, 9780415122900.
- Encyclopedia%281913%29/St.ambrose
- www.montaba.arahman.net/t2577html.
- http://legalcounsel.own0.com
- http://mapyourinfo.com/wiki/ar.wikipedia.org

فهرس المحتويات

السيرة الذاتية للمؤلف

مصلح خضر الجبوري

- مواليد 1952/ قضاء الشرقاط
- بكالوريوس علوم سياسية / جامعة بغداد
- ماجستير علاقات دولية/ بغداد
- دكتوراه نظم سياسية/ جامعة لاهاي
- عمل في السلك الدبلوماسي في سفارات العراق في: باريس ـ كولومبو ـ براغ ـ جاكارتا ـ أبو ظبي
- وزيراً للصناعة بالوكالة / 2005
- مستشاراً في مجلس الوزراء/ 2005- 2006
- صدر له كتاب بعنوان: «الدور السياسي للأقليات في الشرق الأوسط»







الأكاديميون للنشر والتوزيع
عمان - الأردن
تلفاكس: 5330508 6 962+
E-mail:academpub@yahoo.com

الرّمـال للنشـر والتـوزيـع
مقابل البوابـة الرئيسيـة للجامعة الأردنيـة
تلفاكس : 96265330508+
E-mail:alremalpub@live.com


ISBN 9789957449681